

نساء في سجون الحرية!!

أقوال، مشاهدات، قصص عن حرية المرأة
في أمريكا خاصة والغرب عامة

منيرة ناصر آل سليمان

مكتبة العبيكان

منيرة ناصر آل سليمان، 1429هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل سليمان، منيرة ناصر

نساء في سجون الحرية / منيرة ناصر آل سليمان. / - الرياض، 1429هـ

302ص؛ 14 × 21سم

ردمك: 978-603-00-1590-0

1 - المرأة في الإسلام 2 - الإسلام والمجتمع أ - العنوان

ديوي 219,1 1429/ 6318

رقم الإيداع: 1429/ 6318

ردمك: 978-603-00-1590-0

الطبعة الأولى

1430هـ / 2009م

حقوق الطباعة محفوظة للمؤلفة

التوزيع: مكتبة العبيكان

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة
هاتف: 4160018 / 4654424 - فاكس: 4650129 ص. ب: 62807 الرياض 11595

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا الكتاب

لا يصادر حرياتنا ولا ينفي عيباتنا!
لدينا باعتبارنا نساءً مسلماتٍ مشكلاتٌ، ولدينا مخاوف!
لكنها من المفترض أن تُحل باتِّباع ما قال الله تعالى وقال رسوله ﷺ .
متطلعات لنموذج حقيقي للمجتمع المسلم.
وليس بالتطلع لنموذج المرأة الغربية والأمريكية تحديداً.
لذلك يجيء هذا الكتاب ليدل على سقوط هذا النموذج بلسان
المعنيات في أكثره.



الإهداء

إلى الوردة التي ذبلت سريعاً
إلى الشمعة التي انطفأت في أوج توهجها
إلى الرائعة وهي ترحل في ريعان الصبا
إلى حبيبتي الصغيرة
أمل
شقيقتي التي لم تذبل ذكراها في مخيلتي
أهدي كتابي إليها
وهي تهديني أعظم نصيحة في هذه الدنيا الفانية:
العمر أقصر مما نتوقع!
اللهم اغفر لها وارحمها ووالدينا والمسلمين أجمعين





13	المقدمة
17	الحرية
21	حرية المرأة الأمريكية (مثالاً) لماذا وكيف؟
37	حين أصبحت حرة
51	هل نالت السعادة؟
63	نتائج حرية المرأة الأمريكية ومآسيها:
63	1- استغلال المرأة
70	2- الفراغ الروحي وغياب الدين
83	3- العمل
107	4- اللباس والعري الفاضح
118	5- الهوس بالرشاقة والجمال
121	6- الصديق المعاصر (البوي فرند) وأطفال الزنى ...
146	7- الزواج الحلم وكثرة الطلاق

166	8- حرية الإجهاض وقتل الأجنة
177	9- الخيانة من قبل الزوج والزوجة
183	10- التفكك الأسري واعتياد المحرمات
203	11- معاناة الأطفال وبعض مشكلاتهم
221	12- الحرية الجنسية وأمراضها القاتلة
223	13- الشذوذ وزواج المثليين
224	14- كثرة الجرائم والعنف ضد المرأة
232	15- انتشار وسائل اللهو والمحرمات
236	16- الضياع والتشرد
239	17- المرأة في الكبر وعقوق الأبناء
243	ثم ماذا؟
247	المسلمات الغربيات
265	همسات لك
299	الخاتمة
301	المصادر والمراجع



المقدمة

أحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه. وأصلي وأسلم على نبينا الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين.

وبعد

إن كل من يعيش في أي بلاد غريبة سيرى بأم عينه مساوئ عديدة لحرية المرأة المفرطة، قد يكون سمع عنها وقد لا يكون، لكنه حتماً سيدهشه حال النساء الغربيات وحياتهن المثقلة بالصعوبات والملأى بالمسؤوليات التي لا تنتهي، وقد كنت كذلك -في أمريكا تحديداً- فسمعت بعض تلك المساوئ وشاهدتها وبحثت عنها، وكذلك سألت عنها فعجبت لما وجدته، وأدهشني ما توصلت له، وبت أشعر أن وراء كل امرأة أو فتاة غربية مأساة بطريقة مختلفة! فقط لأنها امرأة متحررة في بلد متحرر. لهذا أثقل هذا الكتاب ببعض همومهن، وأتحدث عن زيف الحرية وبؤسها على السنة المعنيات والمعانيات في أكثره.

لكن ليس من السهل أن نطلق أحكاماً عامة على مجتمع ما، وخصوصاً حين يكون متعدد الأطياف كالمجتمعات الغربية التي نحن بصدد الحديث عنها، والمجتمع الأمريكي بالذات، أو نطلق التصور النهائي بفساد شامل لتلك المجتمعات بأفرادها جميعاً وليس المرأة فحسب، ويمكننا القول إنهم كأى خلق الله تعالى يعيشون في كدح ولهو، لهم عيوبهم ومزاياهم

وأخلاقهم وأفكارهم وقوانينهم ونجاحاتهم وإخفاقاتهم كغيرهم من المجتمعات، وهم أيضاً مجتمعات مادية منحلة أخلاقياً، ومفككة، فقدت الإيمان وحلاوته، وأصبح الدين شأناً فردياً لا يضبط تصرفاتهم ولا يهذبها أحياناً كثيرة، جل تركيزهم -برغم كل هذا النجاح في التكنولوجيا والاكتشافات والتقدم العلمي- على الماديات والملذات.

لكن حين يكون العالم الأول حسب تصنيفاتهم! والمجتمع الذي يراد عولته على المجتمعات كلها، واللباس ثوبه قسراً للشعوب كلها يمكننا وقتها أن نعرّي هذا المجتمع، خصوصاً من وجهة نظر إسلامية تتبع الحلال والحرام، كما قال الله تعالى وقال رسوله ﷺ، ولا يعني ذلك بالتأكيد أن كل ما في المجتمعات الغربية مخالف للدين، بل إن لهم من المزايا ما يجعلنا نراها من تعاليم الإسلام التي يطبقها غير المسلمين أكثر من المسلمين أحياناً، لكن تبقى الفوضى الأخلاقية المعاشة وما ترتب على الحرية المفرطة للفرد سواء امرأة أو رجل وصمات لافتة مخيفة.. وحين نتحدث عن المرأة من حيث ظلم الحضارة المادية الغربية لها، فإننا بالتأكيد نتحدث عن الجهد الذي تقدمه لأجل نفسها ومجتمعها ووطنها، فهي تقدم الكثير، ولكن على حسابها وفوق طاقتها..

وقد لجأت إلى تصوير تلك المآسي من عمق المعاناة، ومن حياة الشعب عامة... وعبر نقل آراء الغربيات أنفسهن من الأمريكيات خاصة، ومن مختلف بلاد العالم عامة سواء اللاتي يعشن في أمريكا أو خارجها، من مسلمات وغير مسلمات، ومن مختلف الفئات العمرية والدرجات العلمية والوظيفة، وكذلك المستوى الاجتماعي، ولم أذكر ذلك تحديداً إلا ما

تطلب ذكره، وذلك حتى لا يؤثر على رأي القارئ عن كلام المتحدث، ولعل القارئ يلحظ تكراراً للأسماء لكنها لشخصيات مختلفة أحياناً كثيرة، ومنها أسماء عربية معظمها لمسلمات غيرن أسماءهن بعد إسلامهن.

وكذلك عبر الوصف وعرض المشاهدات والمواقف، وسرد بعض الحوادث والقصص التي حدثت، بل وتحدث بكثرة وجعلتها نماذج فقط في حين أن هناك الكثير مما يحتاج لسلسلة من الكتب! وربما هناك ما هو أفسى مما سرده لكنني عمدت إلى نقل السائد فقط، وقد وجدت مترا بطة ومتكررة في أكثر من محور فهي مؤثرة ولازمة من حيث الإشارة لها وضرورة تكرارها لتأثيرها وبروزها في أكثر من محور، وخصوصاً فيما يتعلق بالحرية الجنسية وبالإنجاب خارج الزواج.

وإنه من المخجل والمحزن والمقزز بالنسبة لي أن تحدث بوضوح عن علاقاتهن الجنسية وبعض فواش مجتمعهن المتحرر، لكن كان لزاماً علي ذلك عبر إبراز هذه الظاهرة، التي تعدّ أسوأ إفرازات الحرية الموجهة والنتنة! لذلك أعذر لنفسي وكذا للقراء وللقارئات سلفاً.

وربما انقسم القراء في آرائهم، فمنهم من سيدهشه أن يحدث كل هذا! ومنهم من سيعده قليلاً مقارنة بما كان يظنه أو ما قد سمع وقرأ عنه في وسائل الإعلام أو شاهده بعينه! لكنني كما أسلفت نقلت السائد تقريباً في المجتمع.

وقد يقول قائل، إنها -أي تلك المساوئ والقصص المؤلة- قد تحدث في المجتمعات الإسلامية.

ربما!! لكنها إلى الآن قليلة ومستكرة ومما يفترض أن يعاقب عليها والخوف من تكاثرها كما هو حاصل في بلاد الحرية!! وتبقى منافية للدين الإسلامي وأوامره ونواهيه، كما لا تحمى من قبل المسلمين.

وقد عمدت إلى التركيز على السلبيات دون الإيجابيات، ذلك أن الإيجابيات لا مخافة منها، ومن ثم لا يحذر منها وهي واضحة وما أكثر ما تغزل بها كثيرون على الرغم من أنها ليست هدفاً لدعاة الحرية، ولا يركزون عليها كما يركزون على الهدم وسقوط الأخلاق!!

كما أنني لا أذكر مجتمعاتنا، فكل المجتمعات لديها أفراد سيئون بطريقة مختلفة، -لكننا نحن المسلمين- تحصل لدينا عندما لا يتمسك المسلمون بدينهم، ويضعف وازعهم الديني.

ثمة سؤال قد يتردد في الأذهان بأن الغربية لا تكثر بنا، بل لا تشغل بالها بنا، فلم نحن نشغل أنفسنا بالحديث عنها وتتبع حياتها!!؟

والإجابة لا تخفى على ذي لب، فكم هم المنشغلون بنا منهم على مستوى أكبر من مجرد امرأة من عامة الشعب!! كما أنها إذا لم تكثر بنا فما أكثر المكنثرات بها من المسلمات، وقد أصبحت مثلاً وقدوة لهن. أدعو الله تعالى أن يصلح حال نساؤنا ويصبرهن بالحقيقة ليكشفن المخططات التي تحاك ضدهن ويتعظن بما حدث لغيرهن، وأن ينفع بهذا الكتاب ويثبني ويثيب كل من قدم المساعدة.

والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل

منيرة ناصر محمد آل سليمان

أمريكة الينوي - marrfa@hotmail.com

الحريّة

أن تكون حراً، فهذا رائع!

أنت حر، ذلك فضل من الله تعالى

فالحريّة وإن تعددت معانيها وتفسيراتها باختلاف الزمان
والمكان، ودوافع المفسرين وثقافتهم، تبقى حقاً للإنسان يميل لها
بفطرته، ويسعى لها قدر استطاعته، يفرحه أن يكون حراً!! ويسوؤه أن
يكون مقيداً، لا سيما حين يُخضع لسلطة ما تفقده لذة العيش الهانئ
القانع، وتجعله أسيراً لها! لكنها أيضاً تبقى إيجابية حين تكون ملتزمة
محروسة بضوابط إسلامية سامية، وتصبح سلبية كارثية حين تتحرر
من الأخلاق السوية، وتقترب من البهيمية!

لأنها حتماً لن تكون حرية بعد كل هذا، بل سجنأ يحكم الإنسان
نفسه فيه، ويدور به في الهواء الطلق! ذلك أن نهمه يتواصل ولا حدود
له! لا سقف لشهواته ولا ضابط لحريته، فيخسر كثيراً بعد سلسلة من
مرارات التجارب وكم هائل من أساليب الحياة الشاذة، هكذا بدا
العالم الغربي وهو يمارس حريته الطاغية، وهو يقشر المرأة بالذات ثم
يقدمها على موائد يحسبها لذيذة، والخاسر الوحيد في كل ذلك هي
ومجتمعها فقط!!

بعد أن تجذر مفهوم الحرية لدى الغرب في آخر صوره المعاصرة!

(لك أن تفعل ما تريد، وتنطلق حيث تشاء، أنت حر، لا قيود تقيدك ولا ضوابط تعيقك، سلطتك نفسك فقط، وكل شيء مباح لك وأيضاً متاح!، تشبع غرائذك، وتسقي نهم شهواتك كما تشاء، وبأي وسيلة تراها! فقط لا تتعدى على حرية الآخرين!).

تقول (إلينا): في أمريكا بُرِجت عقول الناس على أن كل شيء من الممكن عمله.

(شينيون) تقول: قبيل اعتناقي للإسلام كنت أشعر أن أمريكا هي الحرية المطلقة!! كنت أشعر أن الحرية التي يعتقدونها هي أن تفعل ما تشاء بلا حدود، ودون أن تكون مسؤولاً عن أفعالك.

تقول (ليندا جي): أفضل شيء في حياتي أنه سمح لي بكثير من الحرية كوني امرأة، أفعل ما أتمناه، وأعبر عن نفسي ولا أقلق بشأن من أُرْضي ومن لا أُرْضي، ومع الحرية تأتي المسؤولية لذلك أنا سعيدة حتى مع حريتي في اتخاذ القرارات السيئة؛ لأنني أعلم منها فمن الجيد أن يكون لديك خيارات. حتى إن اخترت الخيار الخطأ، فنتيجة الخيار أقل أهمية من الخيار ذاته الذي هو الأهم.

* تقول (سكينة) قبل إسلامي كنت أرى الحرية مثل كثير من النساء الغريبات، فهي تعني أن أستطيع فعل كل ما يستطيع الرجل أن يفعله!! قوانين هذه البلاد أعطتني الحرية لأفعل ما أختاره، وأمام الخيارات الكثيرة، شعرت أنني أستطيع أن أفعل أشياء معينة بمجرد أن توافق الحكومة عليها!

* تقول (هبة): قبل إسلامي كنت أرى الحرية أن تفعل أي شيء تريد أن تفعله!! إن الحياة بوجود الحرية تكون مشوشة، فالخيارات كثيرة والأفكار كثيرة، ولا أحد باستطاعته التركيز في كل ذلك والخروج بخيار حكيم!! فالشخص لا بد أن يفقد السيطرة والتحكم مع هذه الحرية الزائدة.

وقد لخصت مسلمة أمريكية مفهوم الحرية على الطريقة الأمريكية في عبارة موجزة فقالت: الحرية هي أن يدفعوك لفعل الخطأ!!

الحرية التي تعطي المرأة خياراً عجبياً كما قالت (سيسيليا): المرأة العازبة هنا لديها الخيار في أن تصبح أماً، ويكون لديها طفل عندما تريد وفي أي وقت تريد.

الحرية التي عنتها (آنا) وهي تسألني بدورها: ماذا تريد أن تلغي من الحرية؟ أنا لا أريد أن ألغي أي شيء من حريتي ولا أريد أن يقول لي أحد لا بد أن تجلسي في البيت أو لا بد أن تلبسي هذا اللباس، لا أريد أن يقول لي ذلك لا ديني ولا زوجي ولا الحكومة!.

إنها حرية الفرد (رجلاً وامرأة) التي يتبناها الفكر الغربي وعليه فهو حر في ممارسة تلك الفوضى الأخلاقية وليصبح العالم الحر عالماً بهيمياً هابط القيم، تتنادى فيه الغرائز، وتتعاظم الأنا وعلى المسؤولين أن يحموا تلك الحريات المنحرفة!! الضابط الوحيد في حدودها هو ألا تتعدى على حريات الآخرين!!

حرب المرأة الأمريكية (مثالاً) لماذا وكيف؟

حينما طالبت المرأة الأمريكية بحريتها وحقوقها كونها إنسانة، هل كانت مظلومة، ومهضومة الحقوق من المجتمع والرجل تحديدًا؟ ولم يكن دينها ينصفها؛ بل يظلمها؟ هل عانت فقط لأنها أنثى؟ هل فقدت أبسط حقوقها بوصفها امرأة؟ (بالقدر الذي جعلها تنتفض بكل هذه القوة، وتسعى بدافع الانتقام، والحصول على أي شيء وكل شيء يخص الرجل وحده دونها؟ حتى وقعت في فخ التدرج الذي أوصل كثيرات منهن لحالة لا معقولة من العيش والتفكير؟).

الإجابة بالطبع نعم!! ليس في عصر الظلمات مثلاً حين استعبدت المرأة وتدنت النظرة لها دينياً واجتماعياً وضاعت حقوقها تماماً، بل في العصر الحديث وإلى سنوات ماضية قريبة، وقد تحدثت مع بعض من عاصرن ذلك الوضع وعانين منه، أو كن قريبات عهد به فوصفن حال قريباتهن ومعاناتهن، أو كن على دراية بتاريخ المرأة الأمريكية بحكم تخصصاتهن.

فخرجت بأقوال وملاحظات أجزها فيما يلي:

* تقول «أميرة» (أمريكية اعتنقت الإسلام): كانت النساء أثناء المئة عام الماضية يُحسبن من ممتلكات أزواجهن، وكأنهن ماشية

أو قطعة أرض، لم يكن مسموحاً للنساء بالتملك، وكل ما يكسبه من مال يسلبه أزواجهن، ولم يكن لهن الحق في الانتخاب، والحمد لله عملت بعض النساء بجهد للاعتراف بأن النساء بشر ولسن حيوانات.

* تقول (سوزان): في الماضي كان وضع الأمريكيات صعباً جداً فقد كن لا يستطعن العمل بسهولة، أو يكون أمامهن اختيار واحد أو اختياريين لنوعية العمل، وإذا تزوجن يضطررن لترك العمل إذا كن يعملن، ولم يكن يستطعن الطلاق بسهولة، ولا أن يملكن عقاراً بأسمائهن في بعض الأماكن.

* إن استطاعت العمل كان أجرها أقل بكثير من أجر الرجل، وهي محرومة من المهن الرفيعة كالطب والمحاماة، (تقول لندا): عندما بدأت العمل كنت آخذ راتباً أقل من الرجل!! وتقول أم زيد (عربية مسلمة): حين قدمت إلى أمريكا في السبعينيات عملت بأحد المصانع، وكان أجري ضئيلاً بالمقارنة بالعامل الرجل، وكذا الحال مع بقية العاملات. (تقول لندا): أعرف امرأة ذكية حاولت الإسهام في سوق البورصة ولم تستطع فقط لأنها امرأة!

* تقول (بارب): لم يكن يدفع للمرأة راتبٌ مساوٍ لراتب الرجل، وإن عملت بوظيفته نفسها ليس لها الحق في الانتخاب أو العمل في بعض الوظائف؛ ولأنه كان على الحكومة أن تحمي المواطن وبالذات ذوي الدخل الضعيف، أو من أوضاعهم صعبة، وحتى

يكون لهم دورٌ فاعلٌ ويعاملن بعدالة قامت بسن قوانين تخص المرأة والعائلات.

* تقول (إيلينا): (كانت النساء في جيل أُمي غير متشجعات على إتمام تعليمهن، بل طموحهن أن تكن ربّات بيوت جيدات، وقد فازت أُمي بمنحة دراسية في كلية ممتازة، ومع أول فصل دراسي تزوجت والدي، وكان متوقعاً منها أن تجلس في البيت وترعى أطفالها وهذا ما فعلته، لكنها لم تكن جيدة في رعاية الأطفال!! وبعد طلاقها من والدي وهي بعمر الخمسين عاماً كان أول شيء فعلته التسجيل في الكلية، واستطاعت أن تتم دراستها!) أما التي تستطيع إتمام تعليمها، فإن ذلك ينحصر في تخصصات محدودة بالنظر لوظيفتها فيما بعد.

* تقول (كاثلين): تخرجت من الثانوية العامة عام 1951م، كنت واحدة من بين 312 طالبة كن في فصلي واللاتي سيتخرجن من الكلية بعد أربع سنوات، كلهن إما عملن في شركة هواتف، أو عملن سكرتيرات لمدة بسيطة، وبعدها تزوجن وأنجن أطفالاً، وهذا متوقع منهن عندما كنت في سنتي النهائية في الكلية عام 1955م قال لي العميد: إنه من المخجل والعار أنني كنت أنثى (لم تتح لي الفرصة)!! لأنه كان من الممكن أن أكون محامية ممتازة، ففي ذلك الوقت لم تعمل النساء في مهنة المحاماة، وانحصرت وظائفهن تقريباً في التدريس والتمريض، لذلك أصبحت مدرّسة،

لكنني كنت أحلم كثيراً أن أكون محامية، وكثير من زميلاتي في الفصل كن يردن أن يصبحن طبيبات، ولكن في ذلك الوقت كانت الكليات الطبية تقبل 10% فقط من الإناث، الآن 50% من طلبة الطب من الإناث حتى طببة الأسنان، التي تشرف على علاجي أنثى، لم تكوني لتسمعي ذلك حينها أبداً!!

* تقول (باتريشا): عندما بدأت الدراسة في الكلية في عام 1963 كان لزاماً علي أن أختار تخصص الرياضيات لأصبح معلمة، وليس كوني عالمة، لأنني بالتأكيد لن يكون بمقدوري العمل بعد أن يكون لدي أطفال، وكوني معلمة يتيح لي ذلك الانقطاع والعودة للعمل إذا أنجبت طفلاً، ولكن إذا كنت عالمة سأفقد عملي لو تركته نهائياً! ولهذا احتجنا للحرية لنختار مهنتنا التي نريدها.

* تقول (آنا): أمي من أصول أوروبية، وعاشت في أمريكا في وقت مختلف حين كانت المرأة لديها حرية قليلة جداً. لم يكن لديها الفرصة لتجد نفسها أكثر من كونها امرأة تهتم بالعائلة، كبرت أمي وهي تعتقد أن أطفالها وزوجها هم محور حياتها: كيف تهتم بهم؟ وكيف تطعمهم وتعتني بهم؟ لم تكن تملك كثيراً من الخيارات ولم تكن تملك الشجاعة لتخرج خارج البيت، ربما لم تكن كل النساء اللاتي في عمرها مثلها لكن شعورها بالأمان كان داخل بيتها.

* لزوجها أن يضربها ضرباً مبرحاً ولا يُعدّ مذنباً؟ ومن ثم لا تستطيع أن تدافع عن نفسها، (تقول لندا): ضرب الزوجات

كان طبيعياً جداً وبالمقابل الطلاق صعب على الزوجة كونه حقاً لها قانونياً واجتماعياً. وتؤكد (سيسيليا) هذه الصعوبة، ومنها حاجة الزوجة لزوجها واعتمادها عليه كلية.

* تقول (فرناديللا): في الماضي كان الرجل مسيطراً على المرأة بالعنف وهي تخشاه لأجل ذلك، كما أنه يعدّها شيئاً من ممتلكاته وجزءاً منه.

* تقول (فادين): في الماضي كان الطلاق صعباً ويعدّ غير طبيعي، لذلك حين تزوجت جدتي من رجل سيئ (جدي لأبي)، اضطرت للبقاء معه حتى وإن كان يضربها، ويؤذي أطفالها، وقد كان مدمناً للكحول، ولديه ابنة كانوا متأكدين أنه يفتصبها وهي صغيرة؛ كانت محطمة وقلبها مكسور، أجهضت جدتي ست مرات من ضربه لها، وكان يفترض أن يكون لديها ثلاثة عشر طفلاً. عملت جدتي بمشقة؛ كانت تعمل ليلاً بعد أن ينام صغارها، لكنها لم تكن توفّي مصاريف صغارها، وجدي لم يكن يساعدها.

أعرف كثيراً من النساء اللاتي لم يتمكنّ من الحصول على عمل يكفي مصاريف عائلاتهن، بعد أن تورطن مع رجال لا يساعدهن، بل يضربونهن، لذلك النساء في الماضي طالبن بالحرية ليعتمدن على أنفسهن، ويقفن على أقدامهن، أما النساء اللاتي كان زواجهن ناجحاً لم يحتجن للمطالبة بالحرية فقط المتورطات والمعانيات هن اللاتي طالبن (هذا في الماضي والحاضر) هناك كثير من الأسباب التي تدفع النساء للمطالبة بالحرية.

* كان من الصعب أن تفتح حساباً مصرفياً، أو أن تقترض من البنك تقول (لندا هيب): لم يكن باستطاعة المرأة أن تتعامل مع البنوك فتفتح حساباً، أو تقترض مائلاً، لكنها قد تستطيع إذا كانت تحمل اسم زوجها نفسه، بالمقابل يصعب على التي تعيش وحيدة بلا زوج أن تفتح حساباً خاصاً باسمها.

* حين سألت (أليس) عن سبب مطالبة المرأة بحريتها قالت: لأنها لا تريد أن تكون عبدة! وكأن (أليس) تريد أن تذكرنا كيف ترافقت حركة التحرير النسوية مع حق الأمريكيين السود في التحرر من العبودية والتمييز ضد السود، فقد عانوا من التمييز كثيراً، ويصل الأمر في ذلك إلى حرمان السود سواء كانوا رجالاً أو نساءً من الحقوق التي يتمتع بها البيض، والتفريق بين المرافق والخدمات الخاصة بكل لون.

* تقول (ليندا هولدن): تحملت المرأة في الماضي كثيراً من المشاق فقد كانت النساء هن اللاتي يعتنين بالعائلة في ظل غياب الزوج باحثاً عن الطعام في رحلات الصيد التي تستغرق أشهراً، وهن اللاتي يعتنين بالأطفال والمزرعة وحيواناتها، ويحمين الجميع من المهاجمين، ويصلحن المساكن المدمرة من العواصف، ويأخذن الأطفال للمدرسة، ويتعاملن مع المشكلات التي تواجههن في ظل غياب أزواجهن.

* تقول (ليندا هيب): كان على المرأة أن تجلس في البيت وتهتم بأطفالها ومنزلها، والزوج هو الذي يعمل، ويقبض المال

ويتصرف فيه وحده، وإذا تزوجت وهي تملك المال يأخذه زوجها،
ويتصرف فيه على أنه شيء مسلم به!! لقد كان تطورنا بطيئاً
 واحتجنا لكثير من الوقت حتى تتغير المفاهيم وثقافة المجتمع،
 فمثلاً عندما تزوجت أمي كانت في سن صغيرة، أصبحت تعتني
بنا وبالبيت أما والدي فهو وحده الذي كان يعمل، ثم جاء جيلي،
فأصبحت أعمل قليلاً، أما جيل أختي التي تصغرني بسبعة عشر
عاماً، فقد صممت على أن تصبح طبيبة، وكانت كذلك.

* ثم ما الذي جعل أمريكيات عاملات في مصانع النسيج يخرجن
في مظاهرة احتجاجية في الثامن من آذار/ مارس في بداية
القرن العشرين؟ الذي أصبح اليوم العالمي للمرأة! إلا لأنهن كن
يعانين من ظروف العمل القاسية، ويطالبن بتحسين أوضاعهن
وزيادة أجورهن، وتقليل ساعات عملهن، وغيرها من ظروفهن
القاسية التي وضعن فيها، فقط لأنهن نساء! ذلك الوقت الذي
اضطرن فيه للعمل بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية التي
دفعته بالنساء لسوق العمل بعد ذهاب الرجال للحرب:

تقول (ليندا هولدن): لقد عملت النساء وإلى عهد قريب في المصانع،
وقدمن كثيراً من التضحيات في الحربين العالميتين، بينما كان أزواجهن
يحاربون في الخارج. وفي هذه المدة أدركت المرأة قيمتها الحقيقية
واتضحت إسهاماتها القيمة في مجتمعها بصفة كلية. وأدركت قدراتها
على التدريب تماماً كالرجل، وتعلم مهارات جديدة، فالتحقت بالتعليم
الأكاديمي، وأصبحت مؤهلة لفرص العمل للإسهام في المجتمع.

* وهكذا التفتت النساء للسياسة، والمطالبة بالحق في التصويت تقول
(لندا هيب) إن من أسباب مطالبة المرأة الأمريكية بحقوقها هو:
حرمانها قانونياً من التصويت، لقد قاتلت النساء الأمريكيات
طويلاً وبمشقة من أجل الحصول على حق التصويت، وأخيراً
وبعد أن أجري التعديل التاسع عشر على الدستور تم منح المرأة
ذلك الحق.

وتقول (ديانا): قبل عام 1920، وقبل أن تحصل المرأة على حق
التصويت في أمريكا كان الرجل وحده الذي يدير الدولة، وهو الذي
يذهب للحرب وهو الذي يتخذ الخيارات، وهو الذي يملئ على المرأة
كيف تتصرف؟ وماذا تلبس؟ وماذا عليها أن تفعل؟

هذا العام الذي انطلقت منه المطالبات بحقوق المرأة الأمريكية بعد
نيلها حقها في التصويت، الذي هاجمه الكاتب الأمريكي غاري نيلر
بمؤلفه (لجنة العام 1920) بسبب «النتائج المدمرة التي طالت المجتمع
الأمريكي بعد عام 1920، وهو العام الذي نالت فيه المرأة الأمريكية
حقها الوطني في التصويت»¹.

فقد تغيرت قناعات كثيرة كان مسلماً بها، وتغيرت عادات مجتمع
بأكمله! ولم يعد الأمر يقتصر على مساواة في الحقوق الطبيعية للرجل
والمرأة، والمطالبة بالمساواة بالرجل في العمل والتعليم، لقد تعدى ذلك
لكثير من الثورة على القيم والأخلاق أيضاً! حتى في شكل لباس المرأة

1- صحيفة الحياة عدد 16486 في 19 - جمادى أول 1429 الموافق 24 مايو 2008م

فظهرت السيقان أولاً -وخصوصاً مع دخول النساء لسوق العمل- تلتها الصدور بعد سنوات واستمرت صيحات الموضة تخفف الملابس إلى يومنا هذا!

تقول (راب دابريستاين): لديّ دراية بتاريخ المرأة الأمريكية وتطورها ففي العقد الثاني من القرن العشرين، نالت المرأة الأمريكية حقها في التصويت، ولكن (وحتى بعد هذا الحق) ظلت النساء يعتقدن أن هناك شيئاً ما خطأ يحدث، وغير طبيعي أيضاً في مدى الاستفادة من الدستور الذي حصلن عليه! فالرجال هم السياسيون، وهم الذين يشاركون في وضع الدستور (ولكن ليس هناك ما يحرمني بوصفي امرأة من المساواة بالرجل).

وفي 1920م عندما حصلت المرأة على حق التصويت بدأ التغيير في عادات المجتمع، وذلك عن طريق استطاعة المرأة الحصول على بعض فرص العمل، ولكن في الثلاثينيات من القرن العشرين دب اليأس في نفوسهن بسبب قلة العمل للرجال والنساء، ومن ثمّ كثر الفقر، فتحققت المساواة بين الرجل والمرأة في المعاناة من الفقر، وفي الأربعينيات، حيث الحرب العالمية التي أدت بذهاب الرجال للحرب، أصبح مقبولاً اجتماعياً أن تذهب النساء للعمل، حيث لا يوجد رجال يعملون، وأصبحت المرأة تعمل أعمال الرجال كالعمل في المصانع مثلاً، وصارت خطوة لهن ليخرجن من عادات المجتمع، ولكن حين انتهت الحرب أصبحت هناك ردة فعل مفاجئة، حيث فرض على النساء ترك العمل والعودة للمنزل والزواج

وتربية الأطفال، والرجال هم الذين يعملون فقط. ولكن في الخمسينيات أصبح مقبولاً أيضاً أن تعمل المرأة، وفي الستينيات ومع المظاهرات ضد الحرب في فيتنام كانت مظاهرات أيضاً للمطالبة بتحرير المرأة ونيلها حقوقها، ومن ثمّ في الستينيات والسبعينيات أصبحت المرأة ترفض قوانين العادات مرة أخرى، وظهرت حركات تحرير المرأة وموضة الفيمينيزوم، فأصبحت المرأة ترفض الزواج وترفض الرجل وترفض إنجاب الأطفال، ويتردد قول: نحن لا نثق في الرجال إنهم يستغلوننا، ولكن في الثمانينيات حدث تحول في تفكير المرأة، فهدأت الحال السابقة وتراجعت التفكيرات، وأصبحت المرأة تردد أنها إذا كانت تملك عائلة فهذا شيء جيد فالرجال لا يسببون لنا مشكلة، كما لا يجب أن نكرههم ولا يكرهوننا، ونحن نملك حق الاختيار الآن!

* الشيء اللافت ما حدث في الستينيات وما بعدها حين اجتاحت أوروبا وأمريكا ما يسمى بالثورة الجنسية؛ القائمة على إشباع الشهوات والنزوات بلا ضابط ولا حدود ولا تفكير في العواقب!!

تقول (لندا جي): (أعدّ عام 1968 عاماً مجنوناً!! فقد تفشت المخدرات بين أبناء جيلي واتجهوا لممارسة الجنس بكثرة (لكنني لم أفعل مثلهم) كان ذلك العام عام اختبار لحدود الحرية. فحين تأتي الحرية يأتي معها الشعور بالمسؤولية).

تقول (جولي): في الستينيات كانت الحرية الجنسية طاغية والحفلات الجماعية والجنس الجماعي سائداً! وكان تعاطي المخدرات بكثرة.

وتقول (إلينا) : عندما كنت صغيرة في السبعينيات والثمانينيات كان الانفتاح هائلاً ، فقد كان للفتاة عشاق كثيرون وعلاقات كثيرة ، وتمارس الفتاة العلاقة مع أكثر من رجل ، لم أكن مثلهن ، لكنني أعرف صديقات يفعلن ذلك . والمخدرات منتشرة بين الناس ، ولو ذهبت لبيوت الآخرين لرأيتهن يدخنون الماريجوانا ، ويتعاطون المخدرات والكحول ، ربما يتمتع بعضهم ولكن كل شيء كان متاحاً ومباحاً ولا شيء محرم .

تقول الأخت (رندة) (محاضرة في الجامعة) : في السبعينيات الميلادية حين قَدِمَتْ لأمريكا كان مفهوم الحرية لدى المرأة يعني : أن تكون مثل الرجل في حريته في مصاحبة الجنس الآخر والشرب مثلاً ، فهي تريد أن تستعمل الرجل ، وتبتذله كما يفعل هو بها!! ومن ثمَّ ينجبون أطفال الزنى!

* ونتيجة لهذا التحول في الفكر النسوي تقول (راب) : أصبح من الطبيعي أن تري المرأة القوية (سوبر ومن) التي تحصل على كل شيء ؛ تتزوج وتعمل ، وتربي الأطفال ، وتعتني ببيتها . هكذا هي المساواة التي من المفترض أن تكون عليه ، ولكن المرأة لا يمكنها أن تفعل ذلك في الوقت ذاته! لقد عشت في هذا الوضع ، وكذلك عاشت أُمِّي!.

فما هي إذاً مميزات الحرية التي تراها المرأة الأمريكية وقد حصلت على حقوقها؟ وماهي هذه الحقوق تبعاً لذلك ، بغض النظر عن ذلك الهدم الأخلاقي الذي بالطبع يلفت الانتباه لما كانت تفقده المرأة الأمريكية بوصفها امرأة وجعلها تطالب بتعديل وضعها .

* تقول (ليندا هولدن): من مميزات الحرية: العمل خارج المنزل، والتصويت، والتعليم الجامعي والحصول على درجات علمية، والسفر حيث أرادت ومتى احتاجت. وتبقى في منزلها إن أرادت! ومزاولة هواياتها، وإذا مات زوجها أو عجزت تستطيع إعالة أسرتها، وتستطيع خدمة الآخرين، وذلك عن طريق مجالات مختلفة في الطب والأدب والرياضة والحرية، تعطي الناس الفرصة لتحقيق أهدافهم.

* تقول (ليز): الآن المرأة أفضل، فهي لديها خيارات كثيرة تستطيع أن تختار المدرسة/ الوظيفة سواء أكانت تريد الزواج، وإنجاب الأطفال أو لا تريد.

* تقول (ليندا): لدينا في هذا البلد حرية الدين والكلام والصحافة (بالرغم من أنه لسوء الحظ أحياناً يأخذ العالم انطباعاً مشوهاً عن بلادنا بسبب وسائل الإعلام)، وتقول: المرأة الأمريكية تريد الحرية؛ حرية الاختيار، إنها تريد أن تتحقق إمكاناتها كاملة، وتعرب عن آرائها في القضايا التي تهمها وتهم أسرتها، وبطبيعة الحال مع الحرية تأتي المسؤولية!! وإذا نظرت للدستور فستبين أنه قائم على الحريات (انظري على سبيل المثال قانون الحقوق)، لكن لدينا أخطاء على طول الطريق، فبعضهم يأخذ الحرية على أنه شيء مسلم به!؟

* وتقول (بيكي): أعتقد أنه من الجيد أن يكون للمرأة الأمريكية حرية، فالمرأة إنسان لديه أفكاره لحل المشكلات، فإذا سمح لها

بإبداء أفكارها فبعض الأفكار ستُسمع، وبعض المشكلات ستُحل،
وهكذا تعبرين عن مشاعرك كونك إنسانة، وتسهمين في تطور
مدينتك حسب ما تستطيعين وفي أي اتجاه تريدين.

* وتقول (سوزان): أعتقد أن النساء الأمريكيات أصبح لديهن
مجالات عدة بعد أن حصلن على الحرية، فقد أصبحن يفكرن
ولديهن خيارات متعددة: لأن الناس يصبحون راضين وسعداء
ولديهم ثقة أكبر حين يكون لديهم القدرة على المشاركة، ويقولون:
هذا اختيارنا.

* تقول (ريتا): بالحرية نستطيع أن نصنع حق الاختيار، كما يجب
علينا عدم الاعتماد على الرجل لبنني عالمنا، ونستطيع أن ننال
المنزلة الرفيعة، ونوعية الحياة، وننال النفوذ والمال أيضاً. نختار
الزوج الذي نشعر بالحب نحوه، نستطيع أن نتساوى تماماً مع
الرجل كما نستطيع أن نعيش حياتنا دون رجل إذا أردنا؛ وذلك
لأننا نستطيع أن نعتني بأنفسنا من دونه.

* تقول (ديانا): نحتاج مشاركة الرجال والنساء معاً ليكون
هناك توازن، فالرجل ليس هو الوحيد الذي يقرر نحتاج
لكثير من النساء في الحكومة، فأن نسمع في الأخبار أن ولاية
وسكنسن (حيث تسكن) لا يوجد فيها إلا 30 امرأة في المجالس
السياسية من أصل 130 مقعداً، فهذه مشكلة بالنسبة لي،
نحتاج لنساء لديهن مقدرة وعواطف؛ لأن الرجال ليس لديهم
إلا أبيض أو أسود.

* تقول سوزان: أنا أعيش في زمن أعدّ فيه نفسي محظوظة: لأن المرأة أصبحت تنال فرصاً كثيرة، مع أنني أشعر أن الباب لم يفتح بسرعة كافية. أشعر أحياناً أن المرأة حين تعمل شيئاً أول مرة تنتقد بشدة، وهذا ما يشق عليها، ويصعب عليها، ولكن أنظر للماضي وأرى التطور فأرى أننا أحياناً نفتح الباب للنساء بطرق مختلفة، ولكن لا نقدم لهن الدعم لما يحتجنه وعائلاتهن.

* تقول (ميجان) (21 عاماً): من الجيد أن المرأة الآن تستطيع العمل خارج المنزل.. لأن المرأة عضو فاعل وخاص في المجتمع.. على سبيل المثال.. كنت أتردد على طبيبة أنثى طوال حياتي وكان ذلك جميلاً جداً ومريحاً أكثر بكثير مما لو كنت أتردد على طبيب «رجل» النساء كانوا كأمهات لي.. إنهن يشعرنني بالاهتمام ويتعاملن مع جسدي وشكواي كما تتعامل الأم الحنون.. المرأة لها إحساس صادق وحنون مما يثري جوانب معينة، عند عملها في مجال الطب، والتمريض والتدريس.. والدور الفاعل في أوقات الأزمات.. إلى آخره.. وإنه لجيد أن المرأة تستطيع إبداء رأيها في المجتمع حالياً.

* تقول (آنا): حياة عائلتي وصحتهم مهمة لي كثيراً، لكن أريد أن أعيش حياتي الخاصة، وأفعل ما أريد، فحياتي تختلف عن حياة أمي حين عاشت في بيتها فقط، لكنني أحب أن أخرج خارج بيتي، وأكتشف العالم، وأسافر متى أردت أن أسافر، وأستطيع

الحصول على العمل الذي أقدر على فعله، وأمضي فيه الساعات التي أريدها.

* تقول (ديانا): الحرية تعني أن تذهب للمحل الذي تريده، وأن تختار الشخص الذي تحبه وتتزوج، وأن تقود سيارتك وأن تكون لك حرية التصويت أن نختار قراراتنا لأنه يحملنا المسؤولية في حياتنا، وهذا يجعلنا أناساً ناضجين، ولا أحد يمكنه أن يصادر خياراتنا.

* تقول (ميري): الحرية تعني معاني مختلفة لأناس مختلفين في حياتي تعني قدرتي على اختيار الزوج والمدرسة والعمل أو الجلوس في البيت. كل هذه الحريات أملكها، ولكن إذا كنت أبحث عن السعادة لنفسي فلا بد أن أفكر فيمن حولي، إن الاختيار بالنسبة لي عندما كان أولادي صغاراً كان الجلوس في البيت، لكن مالي كان قليلاً جداً لكن هل كنت سعيدة؟ نعم لكن ليس كل الأوقات.. وعندما كبر أولادي أصبحت أعمل وقتاً كاملاً وأنا سعيدة بذلك وأحبه، ولكن ليس هذا كل شيء؛ فالسعادة تأتي بالعلاقات العميقة والدين وفلسفة الحياة.

* وتقول (أميرة أمريكية اعتنقت الإسلام): من مميزات الحرية أن أصواتنا صارت مسموعة، فنحن نستطيع العناية بعائلتنا إذا انشغل أزواجنا أو مرضوا، ويمكننا الاحتجاج مع عدم الخوف من السجن والآن إذا ضرب الرجل زوجته فسيذهب للسجن.

* تقول (ليندا جي): قامت أمريكة على فكرة أنها أرض الحرية والمساواة بلا اضطهاد والمرأة نصف المجتمع، بما في ذلك الإفادة من التعليم والتصويت، ويحق لنا كوننا نساء اختيار وظائفنا وشركاء حياتنا.

* تقول (إلينا): من المهم لي أن أكون مستقلة، وأعمل ما أريد عمله وأذهب للمكان الذي أريده، وهذا من شأنه أن يبعث على التفاؤل.

* (باتريشا) في الستينيات من عمرها تقول: الشق الآخر من الحرية بالنسبة لي هي أنني أستطيع أن ألبس ما أريده، وأضع المكياج وهذه حرية جيدة.

ميري (84 عاماً): المرأة الأمريكية حرة في أنها تتدرب على القيادة في أي مجال أو مهنة مثلاً لتصبح رئيسة الولايات المتحدة، أو مديرة شركة، أو مسؤولة عن مجموعة مدارس ولكن غالباً النساء هنا يستأن من وضعهن في درجة أدنى من الرجل.

هذه إذاً الحقوق التي ترى المرأة الغربية أنها حصلت عليها بعد حركات التحرير النسوية! هذا في الحقيقة يذكرني بمقولة للكاتبة الإنجليزية المسلمة ايفون ردلي¹: (كل شيء ناضلت لأجله حركة المساواة النسوية في السبعينيات كان متاحاً للمرأة المسلمة منذ 1400 عام)².

1- كاتبة وصحفية بريطانية أسلمت بعد اعتقال حكومة طالبان أثناء الغزو الأمريكي لأفغانستان عام 2001 لإسقاط النظام وأُفرج عنها بعيد أيام.

2- الكاتبة الإنجليزية ايفون ردلي كيف أصبحت أحب الحجاب، الثلاثاء -31- أكتوبر

حين أصبحت حرة!

وبعد أن استجابت المرأة الأمريكية (ومثيلاتها) للدعوات التحررية انطلقت -ومنذ مراحل شبابها الأولى- نحو كل شيء وأي شيء، فهي حرة نفسها تفعل ما تشاء تصاحب من تشاء، وتلبس ما تشاء، وتستقل سيارتها حيث تريد ومع من تريد!! فهي حرة وفي معقل الحرية!!

فلنتأمل إذا الشارع الأمريكي -وأمثاله من الشوارع المتحررة- وبعض ما يحدث فيها (مع وجود استثناءات)، سنرى نساء كثيرات شعبن حرية إلى حد التخمّة، وتحررن من كل شيء حتى من معظم ملابسهن (لا فرق بين مراهقة صغيرة، أو شابة أو حتى عجوز مضغتها السنون!) لا شيء معيب ولا أحد يمكنه أن يستنكر هذا الذي يحدث، منكرات شائنة معتادة عندهن، ومآسي متكررة لا تنتهي من حياتهن، فمتعة الكثيرات تنحصر بالاستمتاع بالسفر واللهو والرقص، وامتلاك الجسم الرشيق الذي يجذب الرجال، ويثير اهتمامهم، ولبس الملابس المثيرة التي تكشف أكثر مما تستر... يعتقدن أنهن بتمسكهن بالعمل حققن استقلاليتهن عن الرجل وأصبحن مساويات له تماماً!! وبإطلاق الحرية الجنسية لهن شعرن أن الزواج قد لا يكون مهماً أحياناً، وتستطيع أن تنجب من أي رجل!

نماذج عديدة لحرية المرأة الغربية ونساء مختلفات قالت عنها (ليندا هيب): مشكلات المرأة الأمريكية تأتي مع كثرة الخيارات التي تؤثر عليهن، وكل امرأة لها حياتها المختلفة، ومع الحرية تأتي المسؤولية بصورة إيجابية أو سلبية.

وقالت (ميري): ليس هناك نموذجٌ معينٌ نستطيع القول: إنه نموذج المرأة الأمريكية! هناك الكثير جداً من الأوضاع المختلفة في هذه البلاد، فقط الفرق الكبير الواضح هنا في المال، فهناك فقراء وهناك أغنياء، هذا هو الفرق الواضح بينهم! ففي الطبقة الغنية لديهم كثير من الحرية، ولكن في الجهة الأخرى فقراء ليس لديهم حرية، فما هو النموذج الحقيقي للمرأة الأمريكية؟ (تضحك متسائلة في استغراب!) وتتابع في التعليم أيضاً فالمتعارف عليه أنه للجميع، لكنه في الحقيقة ليس للجميع؛ لاختلاف الوضع الاقتصادي بين الناس، كذلك العنصرية بين المهاجرين والملونيين والعنصرية ضد الأديان وهذا بالذات لدينا كثيرٌ منه في هذه البلاد..! النساء اللواتي لديهن حرية لا يمثلن الأغلبية!

وتقول (سيليسيا): هناك فجوة كبيرة بين الأغنياء والفقراء، والمرأة التي لديها عمل ودخل تختلف عن الفقيرة التي تعتني بنفسها وأسرتها. هكذا أثقل المجتمع بنماذج عديدة لنساء مثقلات بمأس عديدة، فقط لأنهن متحررات! ولأنهن وجدن في مجتمع مادي بحث يعبد المال، ويجعله القيمة التي تزن الإنسان، وتحدد أهميته!

جملة من الصعوبات تواجههن، ونتائج مخيفة تدور في فلك حياتهن الحرة!

قالت عنها الكاتبة (دانيال كربتندن) وهي تصف وضعهن بدقة وباعتراف صريح): إن المطلع على الصحف والأخبار الآن سيكتشف إحصاءات قاتمة عن المرأة المعاصرة فالأغلبية منا مطلقات، أو لم يتزوجن

أبدأ مقارنة بالأجيال السابقة، وأكثر أطفالنا ننجبهم خارج إطار الزواج، وغالباً ما نكون مدمنات (من طائفة الحشاشين والسكرارى)، أو نموت من الفقر، وغالبيتنا يلجأن للإجهاض، ونصاب بالأمراض الجنسية المعدية، وإذا كنا أمهات أنجبنا مواليد أحجامهم صغيرة، ونحن نعمل دوام يوم كامل بالإضافة إلى تحملنا للأعمال المنزلية)¹.

الوصف ذاته تحدثت عنه أميرة أمريكية اعتنقت الإسلام فقالت: الآن معظم الأمريكيات يربطن الحرية بكشف أجسامهن. ويشعرن بحريتهن عبر ممارسة الجنس مع الرجال، وإجهاض الأطفال بعد تلك الممارسة، أو يكون لديهن أطفال خارج الزواج مما يسبب لهن الألم، فيقودهن ذلك لشرب الخمر، أو تعاطي المخدرات لتخدير الألم. أعرف كثيراً من النساء اللاتي أجهضن أنفسهن، و85% من الفتيات في الثانوية العامة يتعاطين المخدرات، و95% منهن يشربن الكحول وأغلب النساء اللاتي أعرفهن تعرضن للاغتصاب، والكثيرات تعرضن للضرب من أزواجهن، وأعرف الكثيرات طلقن من أزواجهن بسبب خيانتهم لهن مع عشيقات، وكثير من النساء ينظرن للطلاق على أنه مصدر للتمكين، ومعظم حالات الطلاق تعود لمشكلات ثانوية كالخلاف على إنفاق الأموال. هناك كثير من النساء لهن ثلاثة أو أربعة أطفال من ثلاثة أو أربعة رجال. لقد عملت النساء السابقات لأجل الحرية الحقيقية للمرأة الأمريكية، ولكن الحرية حالياً أصبحت ليست أكثر من التدهور والانتحار.

1- دانيال كربتندن، ما لم نقله لنا أمهاتنا، الولايات المتحدة ER SIMON and SCHUST 1999 م ص 22.

وتقول (سارة بوكير) (أمريكية اعتنقت الإسلام) فتجيب عن سؤالها عن الحرية بشكلها الآن بالقول: ما عليك إلا أن تنظري للإحصائيات الرسمية لحال المراهقات، والحوامل دون زواج، والطلاق والاغتصاب وضرب النساء وحالات الانتحار والكحول وتعاطي المخدرات، لتري نتائج الحرية المفرطة في المجتمع الأمريكي!! الحرية المطلقة بلا قيود أو أنظمة التي تُلبس على أي شخص تفكيره حتى وإن كان يعي الصبح والخطأ ويشعر بهما!!

كما فصل الكاتب الأمريكي (باتريك بوكانان)¹ (Patrick Buchanan) الحديث عن انهيار المجتمع الأمريكي والأوروبي وحذر من فناء الغرب وموته في كتابه (موت الغرب The Death OF The West) وأشار في أجزاء من كتابه لدلائل قوية تشير لذلك ذكر منها: تناقص معدلات المواليد وأشار إلى ذوبان العائلة والتقليل من أهميتها نتيجة لعزوف النساء عن الحياة الطبيعية المتعارف عليها مثل الزواج وإنجاب الأطفال والاهتمام بهم. وعزوف الشباب عن الزواج وشيوع الجنس واللواط، والحماية القانونية لهذه النزعات الشاذة. ويذكر بمزيد من الأسى! ما آل إليه المجتمع الغربي من (شيوع ظاهرة الاختلاط، والانفجار الخلاعي، وفلسفة الإباحية، وتمويل الإجهاض من دفع الضرائب)².

1- هو مرشح الجمهوريين لسباق الرئاسة 1992 عامي و1996 وكبير المستشارين لثلاثة رؤساء أمريكيين.

2- باتريك بوكانان، موت الغرب، الولايات المتحدة، ST. MARTINS PRESS، 2002، ص 44

(فيلا) (أمريكية من أصل فلبيني) تقول: أبرز مساوئ الحرية في أمريكة مثلاً أن أغلب النساء الأمريكيات يربين أطفالهن لوحدهن، والمراهقات يغادرن البيت عندما يبلغن الثامنة عشر من أعمارهن، كما أن الزواج يأتي بعد أن يكون الزوجين آباء لأطفال!! أو لديهم أطفال من زواج سابق؛ مما يتسبب في حدوث خلافات كثيرة بينهم لعدم التأقلم فيما بينهم.

لقد غرقت المرأة الغربية في جملة خيارات جعلتها تعيش فوضى لا تدري أيها الصحيح؟

* تصف (هبة) (أمريكية اعتنقت الإسلام) بعض تلك المساوئ فتقول: كون المرأة حرة في أن تتزوج أو لا! وهي تتمثل في كل هذه الفوضى المعاشة التي تُفرق الإنسان في كثير من الخيارات يصبح من الصعب أن يلتزم بشيء واحد، والمرأة مثلاً يصعب عليها أن تلتزم برجل واحد، وعائلة واحدة، أو أي شيء آخر، فتحن نواجه أخطاء كثيرة لحد الفظاعة، وبما أنه من الطبيعي أن تتزوج المرأة الرجل، فإننا لا نجدهم يفعلون ذلك بكثرة!! كذلك الشذوذ الجنسي والنشاط الجنسي العلني مع الأطفال أيضاً، والفن بصوره الإباحية. إننا محاصرون بالآخرين وحتى وإن لم نفعل مثلهم لكنها حطمت نفسياتنا!

* وأشارت أمريكية غير مسلمة بيدها لجمع من الناس وقالت بمرارة: هؤلاء أصبحوا كالحيوانات!!.

* تقول (ميري) (معلمة): لقد عشت في أماكن كثيرة في العالم، فقد ولدت في اليابان، وعشت هناك ثمانية عشر عاماً، ووجدت أن نساء اليابان يختلفن عنا في أمريكا، ليس لديهن حرية زائدة مثلنا بالرغم من اختلافهن الآن، كما عشت في بعض دول إفريقية، لذلك سأتكلم عن الحرية عبر عادات مختلفة اطلعت عليها، ولكوني مسيحية، فأعتقد أن القوانين في أحيان كثيرة تعطي بعض الأمان مثل الطرق السريعة في الجبال، فإذا لم توجد حواجز على الطريق فستحدث الحوادث بسهولة، والقوانين تعطي الحرية، ولا تعارض بينهما، فإذا انعدمت القوانين حلت الكوارث! لذلك القوانين تعطي الارتياح والأمان، ولكن بالمقابل إذا صارت القوانين صارمة فهذا يعني الكبح وليس الحرية.

* وتقول من عاصرت بدايات الحرية ولمست تأثيرها على الأجيال الحالية (باتريشا): أتمنى ألا تحصل البنات على حرية مطلقة؛ لأنهن يحملن أنفسهن ما يفوق طاقتهن ويتوقعن أنهن سينجحن لكن النتائج تكون عكسية! كما أن الليونة في القوانين لهن غير جيدة! وأعتقد أن قليلاً من الكبح مهم.

* تقول (إيلينا): عندما تؤخذ الحرية على نحو متطرف نفقد إدراكنا بمعنى الحرية. الحرية لها ثمن وأصبحنا لا نقدرها، يبدو أن الناس فقدوا قلوبهم ولا يابھون ببعضهم، بل تحول بعضهم ضد الآخر، المشكلة هنا في أمريكا أننا منعّمون على نحو لا يتصور، ونسينا الله الذي أنعم علينا. في أمريكا أصبحت

النعم نقماً، فتحن نعاني بسبب عصيان القانون، ولن نشفى من
أمراضنا حتى نلتفت ونتوب.

* وقالت (آنا): الحرية لا تكون جيدة إذا لم تضبط نفسك،
وتتحكم فيها الناس يكافحون كسلهم فلا بد أن نتحكم في
أنفسنا، وننهض ثم نعمل ما نريده. ثم لخصت بعض مشكلات
الحرية بقولها: مشكلات الحرية في التعليم والاقتصاد والضعف
العائلي، فالناس بعدوا عن بعضهم ولم يعودوا متقاربين، بل
منعزلين والعلاقات سيئة والناس لا يجدون العمل بسهولة،
وبالنتيجة لا يتوافر لهم المال.

* (أم خديجة) من أمريكة تقول: لي صديقات أمريكيات، ولاحظت
أنهم ينتقلون من رجل لآخر، وقيمون علاقات بينهم، وينجبون
أطفالاً دون زواج. ويمكن أن يكون للمرأة ثلاثة أو أربعة أو أكثر
من الأبناء وآباؤهم مختلفون، المرأة الأمريكية تستطيع الذهاب
إلى الحانة وتدخن، وتستخدم جسدها للحصول على رجل
وقضاء وقت معه، وأحياناً لليلة واحدة فقط، وتستطيع الإجهاض
إذا لم ترغب في الإنجاب، فأى حرية تلك؟!

* قالت من جرعتها الحرية كأساً مريرة على صغرها (ماري) وما
زالت تعاني: إن الحرية المطلقة للمرأة غير جيدة؛ فهي تقودها
لخداع زوجها، بل وتخسر احترامها له، وتفقده إياها مع أي
شخص يعجبها! فلا بد من الاحترام إن وجدت الحرية!

* وتقول أمريكية مسلمة: من مزايا الحرية عدم الاضطرار إلى زوجك لطلب الخروج، ولكن هذا سلاح ذو حدين؛ فهو يؤدي لكثير من الإغراءات كشرب الكحول والزنى والقمار والسلوك المنحرف.

* قالت الكاتبة الأمريكية (دانيال كريبتندن) في كتابها ما لم تقله لنا أمهاتنا: لماذا يفتقد حديث المرأة المتحضرة للسعادة؟ عن فضولها الذي دفعها لمعرفة ماهية حركة تحرير المرأة، ومساواتها بالرجل في نظر الفتيات اللاتي عشن في عالم تغير تغيراً جذرياً بدافع من أمهاتهن الناشطات في حركة التحرير النسائية؟ لكانها تريد أن تتحصل على ثمار ما غرسته أمهاتهن؟ (إيفي عمرها 21 سنة كانت تخطط للإنجاب خارج إطار الزواج، فهي تخشى من الزوج الذي قد يهدد خصوصيتها، وأخرى قالت لي: إنها أوقفت علاقتها مع عشيقها الذي كانت تحبه؛ لأنه لم يرغب أي منهما على تقديم تنازلات للآخر في خططه الوظيفية المستقبلية. مع قليل من الاستثناءات، فالتالبات عبرن عن العلاقات الجنسية، كل بنت قابلتها وضعت طموحاتها في عملها، وليس في الزواج والأطفال حتى وإن اعترفت بأنها تتمنى ذلك. كل واحدة منهن قلقة من أن أي ارتباط جدي مع الرجل -والأسوأ إنجاب الأطفال- سوف يكون خطراً على وضعها قبل الارتباط)¹.

1- دانيال كريبتندن، ما لم تقله لنا أمهاتنا، الولايات المتحدة ER SIMON and SCHUST 1999 م 18.

تتابع دانيال بمرارة موضحة أسباب هذا التفكير الخطر في أذهان الفتيات فتقول: (جيلهن قدمهن كفئران مختبرات للتجارب الاجتماعية في الخمس والعشرين سنة الماضية؛ لأنهم عاشوا مع أم عاملة في الحضانات، ودون أن ينظر للطلاق بوصفه خطأ، وكتب مدارسهم تزين بطفلة تقود طائرة وطفل صغير ينظف الأرض، وأخذت الطالبة لدراسة كيفية صنع الأدوات المعدنية والتسوق والتجارة بدلاً من الاقتصاد المنزلي، وشارك في مناقشات صريحة مع مدرسي مرحلتهم الدراسية عن تحديد النسل، وعن العلاقات الجنسية. تطورهم الفكري قصف برسائل حركة تحرير المرأة)¹.

* سألت (سوزان): حرية المرأة الأمريكية إلى أين؟ أجابت باسمه: سؤال جيد، لكنني لا أعرف إجابه! وتابعت: لكنني أحب أن أكون متفائلة وأتمنى أن يتعلم الناس أكثر ليتمكنوا من التفكير أكثر في ألا يبدأ الأطفال في الحمل في سن صغيرة (14 سنة) وهم عزاب، وأتمنى أن يتم تغيير ذلك، وأتمنى كثيراً من التعليم والدعم حتى لا تحدث تلك الأمور حدوثاً متزايداً، وحتى ننظر للتقارير، فنرى أن حمل المراهقات والنساء دون زواج قد انخفض، ولا بد أن تأخذ المرأة فرصة تطوير تعليمها إذا أرادت ذلك، إذا لم تحمل في سن صغيرة (بزواج أو دون زواج).

1- دانيال كربتندن، ما لم تقله لنا أمهاتنا، الولايات المتحدة and ER SIMON 1999 SCHUST م 18.

*وقالت (لندا هولدن): الحرية تضر حين تذهب بعيداً، أعتقد أن حريتي لا بد أن تتوقف حين تبدأ بمضرة الآخرين! كالمراهقات وكل الشباب الذين يجعلون سياراتهم تهتز من أصوات الموسيقى العالية التي تؤذي الآخرين، فلا بد أن نهتم بالآخرين ونكون حساسين من أجلمهم، فأنا لا أشرب الكحول، لكن إذا شربت لا بد أن أعتني بمن أشرب أمامه!

أحياناً عند سؤالي لبعض الأمريكيات يحاولن التقليل من آثار الحرية السيئة (مع الكم الكبير من الرافضات لمساوئها)، ولكن بعيد توضيح لنماذج من مساوئ الحرية ومناقشتها، تقول الواحدة منهن: إنها ليست مثلهن!! فهي متزوجة ولديها أطفال وعائلة وتذهب للكنيسة وسعيدة في عملها، وهي بذلك تؤكد من غير أن تدري في محاولتها هذه إثبات مساوئ الحرية برفضها لنتائج الحرية التي كانت تمتدحها قبل قليل، تلك النتائج التي تعتمد على ازدياد الأمومة، والتقليل من أهمية الزواج والأطفال، وقطع الصلة بالدين المتمثل في الكنيسة!! وحين سألت كاثلين (معلمة متقاعدة) عن حرية المرأة الأمريكية وصورها أشارت بيدها للشارع، وقالت: انظري ستجدين أمامك الكثير لتقوليه مما هو سيئ، أي شيء زائد جداً عن حده فهو سيئ.. سواء كان حرية.. أو سجن.. أو لباس.. أو أكل.. أو أي شيء آخر.. حتى زيادة الماء بشدة تعد سيئة.. لأنها تسبب السيول والفيضانات.. والفرق.. لهذا فزيادة الحرية سيئة.. لكنها قالت: يجب أن تعلمي.. أنه هنا في أمريكا.. معظم النساء يرون أن حركة تحرير المرأة إيجابية، لا أستطيع الاعتقاد بوجود

أي سلبيات للحركة النسائية الحامية للمرأة.. أحب أن يفتح لي المجال،
وأن أتقدم على الرجل.. في الواقع أرفض ان تستعمل المرأة كأداة للجنس
فقط..(١).

غير أن كثيرات يتحسرن على بعض المحافظة فيما سبق التي حطمتها
تلك الحركات! تقول من ألهما هذا الحال: مجتمعنا في تردٍ خطر ومن
سيئ إلى أسوأ، لم نكن كذلك كان لدينا محافظة أكثر من هذا الابتذال،
وهذا يعني بكل صدق وجود نماذج جيدة تتعلق بالمرأة نفسها في محاولة
الاحتشام، والبعد عن متهاتات التحرر ومفاسده، وكذا في أسلوب تربية
الأبناء، حتى إن بعضهم يمنعون التلفاز من البيت، لكنها تبقى أقل
كثيراً من نماذج الانحراف الذي يرونه طبيعياً جداً!!

وتقول (إل. أي): أنا أعدّ غير طبيعية بالنسبة لكثير من الأمريكيات،
بل يعدّونني موضحة قديمة، وتفكيري رجعي!! فأنا أحب الله وأحب
عائلتي، أنا مؤمنة وإن لم أغطّ رأسي فأنا أغطي نفسي من الداخل
(هي مسيحية). لدي ثلاثة أولاد وابنة، بقيت في المنزل حتى أصبح عمر
ابنتي ثلاث سنوات، وذهبت لمدرسة خاصة فقررت العمل، أحاول تعليم
ابنتي كيفية تجنب لبس الملابس العارية، أما أغلب النساء الأمريكيات
فمعكس تفكيري، ويفضلن المال والمجوهرات، لذلك هن منشغلات جداً،
ويعتقدن أنهن مثل الرجال، ويعتقدن بالمساواة مع الرجل، وهذا سيؤدي
لكثير من المشكلات، فأن تظن الزوجة أنها مساوية لزوجها تماماً
ستعرض حياتهما للمشكلات وأكثرها حدوثاً الطلاق! لدينا كثير من
الحرية وهذا ليس جيداً.

وقالت (أليس هول) : لقد أعطيت المرأة الأمريكية كثيراً من الحرية لدرجة أنها جعلت الرجل الأمريكي هو الذي يتنافس معها ، فهي لا تنافسه في سوق العمل فقط؛ بل في كثير من مسؤولياته ، فالיום نرى المرأة هي التي تدير المنزل وتضطلع بتربية ، الأبناء مما أدى إلى تقليص دور الرجل فيه كونه عائلاً لأسرته ، وهي بهذه الحرية الزائدة التي منحت لها فقدت احترامها لنفسها ولذاتها واحترام الآخرين بطريقتها مثلاً في اللباس ، أو ماذا يجب أن تلبس أو شبه لباس لما يظهر من خصوصيات جسمها! أما المرأة الأمريكية التي تنحدر من إفريقية فهي تحتاج لأن تتحرر من عبودية الذات! ((أليس) أمريكية من أصل إفريقي) .

هذا بعض نتائج جهود حركات التحرير النسوية التي أصبح لها نفوذ قوي في الدول المتحررة (يرى البروفيسور (تولي) أن رموز الحركات النسائية يتمتعن بنفوذ قوي في أمريكا ، أو في بريطانيا ، بحيث لا يجوز للمستشار المهني في أمريكا أو في بريطانيا - قانونياً - أن يقترح على الفتاة أو المرأة الشابة بأن اختيار الأمومة أو الحياة الأسرية وتفضيلها على الوظيفة خيار مقبول)¹ .

وقد بين الكاتب الأمريكي (غاري نيلر) خطر الحركة النسوية وسبب مهاجمته إياها وهو : « تدمير هذه الحركة للأرواح والعائلات والمجتمعات والدين »² . (مستوى ما يحدث يعلن أن حركة المساواة

1- إي ، جي ويلكنسن ، دراسة وتلخيص سوء تعليم المرأة في الغرب للكاتب البروفيسور جيمس تولي ، سلسلة تصدر عن مجلة البيان ، ص 17 .

2- صحيفة الحياة عدد 16486 في 19 - جمادى الأولى 1429 الموافق 24 مايو 2008 .

النسائية أسقطت المرأة¹. لذلك تلقي سؤاها على حركات تحرير المرأة: (أسئلة تتردد وتفرض نفسها علينا، تطاردنا من لحظة لأخرى ونطرحها على حركة تحرير المرأة لكنها لا تجيب عنها، وإن أجابت كانت إجابة غير مرضية لنا: هل العمل أكثر أهمية وإنجازاً من تربية الأطفال؟ ولماذا لا يرغب صديقي في الزواج مني كما أرغب أنا؟ ولماذا يكون التوازن بين أن أكون أمًا وعاملة يبدو أمراً محيراً ومراوغاً؟ لماذا تستطيع أمي العناية بأطفالها في البيت بينما لا أستطيع؟ إذا تركت عملي هل يعني هذا أنني تركت ذاتي؟ وهل ينبغي للرجل والمرأة أن يعيشا حياة متطابقة؟...)².

وتقول (ميجان) (21 عاماً): أعتقد أن وضع المرأة في المجتمع الغربي بعد حركة المرأة وتحريرها وما إلى ذلك أصبح معقداً جداً.

وتضع (ريتا) يدها على الداء بقولها: ما نفعله في حرياتنا نتيجة لما تعلمناه وشاهدناه.



1- دانيال كريبتدن، ما لم نقله لنا أمهاتنا، الولايات المتحدة and ER SIMON

SCHUST 1999 م ص 24.

2- المصدر السابق (ص 21).

هل نالت السعادة؟

ثمة سؤال يتردد كالصيحة! وتتوالد من رحمه أسئلة شتى، السعادة هل هي بالضرورة ترافق الحرية التي بلا حدود تحديداً؟
هل هي سعيدة تلك المرأة التي تنطلق، وتتحرر، وتعمل كل ما تريده؟
حرة! هي حرة! فلتفعل ما تبتغيه!
لا أحد يثنيها! صغيرة أم كبيرة!
تتعري كما تشاء! تزني بإرادتها، وتشرب، وتسافر، وتحمل أو تجهض لا فرق، وتعيش مع زوج أو صديق، فلتعاشر عشرات الرجال!
هي حرة!
لم تخرق قانوناً! ولم تقترب بنظرهم ذنباً!
وغيرها كثير، لكن هل تشعر بالسعادة؟ أم أنها واهمة فعلاً؟
هل هذا كل ما تريده المرأة؟ حين تعطى كل تلك الحريات وتفتح لها الأبواب، بل تُخلع وتُرمي أقفالها في حفر التحرر؟ هل يعني هذا أنها نالت كل حقوقها؟!

ويبقى ذات السؤال متردداً في الأذهان:

هل حققن السعادة وهدوء البال والمتعة الحقيقية في العيش كما تصورنهن وقاتلن لأجلها؟ الحقيقة لقد كان سؤالاً محيراً بالنسبة لي حين أعددت له لإلقاءه على الكثيرات؟ وجدته سؤالاً فضفاضاً لا يمكن قياسه على مجموعة من البشر، ولا حتى على شخص بعينه في أوقات معينة ذلك أنه يختلف حسب ظروفه المعيشية وما يلاقيه في حياته وكدحه، كما يصعب قياسه تبعاً لحالات البشر النفسية، ومدى تقبلهم لظروفهم المعيشية!

ولكن الذي أدهشني أنني تلقيت إجابات كثيرة قاطعة تعني أن المرأة الأمريكية (والغربية طبعاً) غير سعيدة في ظل ظروفها الآن، ومع كل هذه الحرية التي تعيشها! كثيرات تمايلت رؤسهن، وزمت شفاهن، وامتلات أعينهن بكلمات كثيرة حتى قبل أن يتفوهن! وكأنهن لم يكن قبل قليل يبتسمن ويضحكن ملء قلوبهن وكأنهن خاليات من الهموم! فهل يعني ذلك تعوداً أكثر منه تقبلاً؟ ربما ولكن بالنظر لكثرة المسؤوليات والضغط التي نراهن يعانين منها ففي سعادتهن نظراً! وخصوصاً مع إجابات بعض منهن بأن كثيرات محظوظات لأنهن سعيدات! ذلك أن ما أسرع ما ينحصر مفهوم السعادة الذي يريته فيمن تملك البيت والزوج والمال فقط!

ومنهن من ربطت السعادة بالشيء الذي تتمناه، لكنها تفتقده!

تقول (إلينا): الأمريكيات غير سعيدات فهن يواجهن ضغوطاً كثيرة، فالحياة تتطلب دخلاً لكل عائلة، فأنا مثلاً أشعر أنني مضغوطة فلا بد

أن أكون موجودة لأجل متطلبات أطفالي، وعملي الحالي يعطيني فرصة أن أكون بالبيت عند عودتهم من المدرسة، ولكن مع توضيحي بالإجازات الصيفية وبكثير من الأوقات العائلية لدي جدول أعمال مجنون، وبالرغم من أن لدي شهادات لا بد أن أستخدمها في العمل، لكنني لم أستغل كل قدراتي لأجل عائلتي، فالمرأة الأمريكية لا بد لها أن تقرر: إما العمل أو العائلة لقد كنت أعمل في شركة ودخلي كان جيداً، لكنني ضحيت به وجلست لأجل أطفالي حتى كبروا، أما صديقتي فقد اختارت العمل، لكن عندما عدت للعمل فالتفتني الفرص ولم أواكب التطور الحاسوب مثلاً لكن هذا اختياري، أما اللاتي يقررن مواصلة العمل فهو الخيار الأصعب؛ لأنهن يضيعن عائلتهن، ويشعرن بالذنب تجاه أطفالهن الذين يقضون معظم أوقاتهم في الحضانات، وهذا بالطبع شاق عليهن فكل واحدة تتمنى أن تجلس مع أطفالها، لكنه صعب أيضاً من الناحية الاقتصادية إن هي جلست.

تقول (إل. أي): تعتقد المرأة الأمريكية أنها سعيدة وتقول لنفسها: إنها سعيدة!!! لكنها في الحقيقة ليست كذلك فكيف تكون سعيدة دون إيمان؟ كيف تكون سعيدة دون قوة تدفعها لتضبط نفسها؟ قالت ذلك وعيناها مغرقة بالدموع، وتابعت: هي فقط تظن نفسها سعيدة.

(شينون) (أمريكية اعتنقت الإسلام) قالت: المرأة الأمريكية غير سعيدة مطلقاً، إذ كيف يكون الإنسان سعيداً، وهو يفتقد الحب والإخلاص والحماية والاحترام؟؟ الله تعالى خلقنا لنكون عائلة مترابطة!! نحن

الغريبات لا يوجد لنا حماية، نحن نناضل من أجل أنفسنا!! نحن نعيش مشقة كبيرة فلدينا أطفال بلا آباء نربهم لوحدنا، وقد استقللنا بأنفسنا لدرجة أن نقول: لسنا بحاجة للرجل في أي شيء!! بعض النساء في الحقيقة يحملن صناعاً دون رجل!! عشت حياتي (قبل الإسلام) امرأة مستقلة أشعر أنني لا أحتاج للرجل لأي سبب!! لدي ثلاثة أطفال أربهم بنفسني كنت أظن أنني بخير، وأنه من الطبيعي أن أعاشر رجلاً ما طالما أن العلاقة طبيعية (!) كصديق معاشر (بوي فرند) كنت أرغب أحياناً أن أذهب للبارات، وأشرب الخمر حيث يوجد الرجال الذين أشعر أنهم لا يحترموني، ولم أكن أستطيع أن أفهم لماذا؟

كنت ألبس الملابس الفاتنة جداً والمغرية بكل أنواعها، وفي الوقت ذاته كنت أتساءل لماذا لا يحترمني الرجال؟ شعرت بالضيق وبالوحدة وبالفرق!!

* تقول (فادين): كثير من النساء هنا لديهن خيارات كثيرة لكن هل تساعدن ليكن سعيدات؟ أم أنها تورطهن؟ وهذا ما يحدث أحياناً، لكن الخيار الصحيح يكون للناس الذين يتعلمون من أخطائهم، ليختاروا طريق السعادة. الكثيرات سعيدات بكثير من الخيارات لكنهن يكافحن ويعانين من اختيار سابق، ولكن أيضاً هناك كثيرات سعيدات.

تقول (إمبر) (عشرون عاماً): النساء الأمريكيات سعيدات إلى نقطة معينة، لكنني قابلت كثيراً منهن غير سعيدات؛ لأنهن يعملن

بمشقة لكي يحصلن على ما يردن الحصول عليه، هناك صعوبة وتمييز عنصري بينهم وبين الرجال، فالرجال يحصلون على راتب أعلى، إلا إذا حصلنا على شهادة جامعية وحتى إن حصلنا عليها من الصعوبة أن نحصل على عمل مناسب والراتب لا يساعدنا على العيش.

رندة التي عاشت طويلاً في أمريكا تقول: ليس كل ما يلمع ذهباً!! المرأة الأمريكية غير سعيدة برغم أن لديها كل شيء!! أجد أن نفسياتهن متعبة، وإذا أردن البوح مثلاً يلجأن للأطباء النفسيين ومع تأزمهن النفسي يلجأن للكحول أو للحبوب المهدئة للأعصاب، وخصوصاً أنهن يفتقدن الترابط العائلي الذي يُشعر بالاطمئنان.

وتقول (جولي): في أوروبا أسمع كثيراً عن افتقار الناس للسعادة وقلقهم كثيراً من المستقبل، لا سيما في فرنسا وألمانيا أعرف صديقة من أوروبا تقول: لا نستطيع أن نفعل شيئاً لنكون أفضل!

وكانها تعلن حقيقة أنهم بعد الحرية المفرطة التي جعلتهم يجربون كل شيء، لم يعد أي شيء يشعرهم بالسعادة، وخصوصاً بعد أن فقدوا دينهم وقيمهم.

تقول (باتريشا): بالنسبة لي أعمل في التدريس وليس لدي شكوى في حياتي، ولكن تأثير الحرية السيئ كان على ابنتي، فالذي حدث الآن أن النساء أصبحن يعملن أكثر، وحتى تحصل العائلة على بيت لا بد أن يعمل الأب والأم معاً والأطفال في الحضانات، وإذا لم يستطيعوا التوفير

فسوف يضطرون في النهاية للعيش في بيت رخيص في منطقة رخيصة وغير آمنة. هذه حرية، لكنها حرية خاطئة! وحين أصبحت النساء يعملن بكثرة عدن إلى عدم الحرية!

* (وتني) في البدء قالت: المرأة الأمريكية سعيدة لأنها تملك كثيراً من الحريات، في حين كثير من النساء في ثقافات مختلفة يفتقدن لها! ما أسهل ما ننسى ذلك ونركز على مشكلاتنا الخاصة، فنحن نملك حياة جيدة عامة ولكن (عادت لتعترف): في الحقيقة إن النساء الأمريكيات يضغطن على أنفسهن لينجحن في أعمالهن، وليملكن بيوتاً جميلة، ونحن بالطبع لا نستطيع أن نفعل ذلك بمفردنا، لهذا نحتاج لتغيير ذلك فهو يوجد الكآبة والحزن (!) لدى النساء العاملات، فهن يعملن أكثر من ثماني ساعات في اليوم ويعدن للبيت ليعملن فيه ما بين أربع إلى خمس ساعات في اليوم في أعمال عادية، أعتقد أننا أدركنا أننا لا نحتاج لكثير من هذا كله ولا بد أن ندعم أنفسنا بمساعدة الآخرين.

وحين ألقيت سؤالي على (أم جمال) وشقيقاتها اللاتي ولدن وتربين في أمريكا: تقاذفت إجابة واحدة على أسئلتهم وبكل إصرار: ليست الأمريكية وحدها غير سعيدة، بل النساء والرجال جميعهم يكونون سعداء فقط بفعل الكحول والمخدرات، وحين ينقضي مفعول سكرهم يعودون لمشكلاتهم وهمومهم الكثيرة، وخصوصاً أنهم يكدحون ويتعبون في أعمالهم لكنهم دوماً يعانون الديون والإفلاس! وأكثر وارداتهم

تضيع في اللهو، تقول (روز): بالتأكيد هن غير سعيدات فقد وهبن حياتهن وكل اهتمامهن للعمل الذي يشتكين منه فقط.

تقول مريم الأمريكية: إن المرأة الغربية غير سعيدة بالطبع، وهي فقط تعيش الوهم فهي أمام تكاثر مسؤولياتها لن تستطيع أن توفيهما حقها، وتنال مبتغاها مهما حاولت!

ترى (هبة) المسلمة الأمريكية أن هناك من النساء وخصوصاً الشابات من يعتقدن أنهن سعيدات مدة من الزمن، لكنهن يواجهن كثيراً من القلق في المستقبل، وخصوصاً حين يكتشفن أن الحرية ليست إنجازاً بحد ذاتها!! ومن ثمَّ يتحطمن نفسياً.

تقول (جيسيكا): تعيش المرأة الغربية حياة ملأى بالضغوط الاجتماعية والقلق النفسي، ليس هناك في المجتمع الغربي من يحمي المرأة ويقوم على حقوقها، الحقوق هنا لبعض الأفراد وليست لأفراد المجتمع كلهم... الثقافة الغربية علمتنا أن المرأة لا يمكنها أن تحصل على الزوج إلا بشكلها الخارجي، فالصورة الخارجية هي كل شيء، لقد تعلمنا أن نجذب الرجل بمفاتننا لنمتعه ونشبع غريزته الجنسية. فنتفنن في أساليب الإغراء جميعها ونظهر كل جزء من أجسادنا بصورة مغرية علناً لنفوز بحنان الرجل. المرأة الغربية عليها ضغوط كثيرة من الرجل، وكثيراً ما تلجأ لعمليات التجميل لتصحيح عيوبها كتكبير صدرها أو عملية في خديها أو شفيتها أو.... وكل هذا لتحوز على رضا الرجل! الذي لا تريد منه إلا الاحترام والعطف والحنان، وقد ترون

المرأة الغربية سعيدة حين تضحك وتحقق كل رغباتها من الاستمتاع وغيره، قد تشاهدونها على التلفاز وفي الأفلام وفي المجلات، وتظنون أنها حرة، ولكنها على العكس! بل هي ضحية الحرية؛ حرية استعباد الملذات والشهوات!

سأضرب مثلاً: إحدى الفتيات معي في العمل. هي وأنا بالعمر نفسه (28 عاماً)، كلتانا نقوم بالعمل نفسه، ونتقاضى الراتب نفسه. كلتانا تعيش وحيدة في شقة، وتملك سيارة جديدة، وتملك قطعة أرضاً، وحين نتحدث مع بعضنا كل واحدة منا تريد الشيء نفسه: الزواج وتكوين أسرة والاستقرار، لكننا نختلف في أساليب الحياة؛ فأنا فتاة مسلمة محجبة وهي كأي فتاة أمريكية، دائمة الاهتمام بنفسها والحفاظ على رشاقتها وشكل جسدها، وتلبس من أغلى العلامات التجارية وتنفق على شكلها بسخاء، وتحب أن تكون متميزة أمام الناس، وتقضي جلّ وقتها بين الحفلات مع الأصدقاء والمراقص والنوادي، فالحقيقة من يشاهدها يظن أنها أسعد مخلوق على الأرض، لكنها في الحقيقة عكس ذلك، وتلاحظون ذلك من عينيها قبل أن تتفوه بلسانها. وهذه حقيقة مؤلمة هي حقاً لم تستطع معرفة كيفية الحصول على ما تريد في حياتها، تعيش وكأنها تائهة، لديها صديق/ عشيق - منذ سنتين ونصف السنة، تربطهما علاقة جنسية لا غير، وتزاول تلك العلاقة مع آخرين أيضاً، ولا ترغب بالزواج من صديقها؛ لأنها لا تحبه ولا تراه زوجاً كنياً، فهي تبحث عن الرجل الجاد، والزوج المحب لذاتها لا لجسدها الذي يستمتع به ثم يتخلى عنها، لكنها مجبرة على اتخاذ الصديق لخوفها أن تعيش

وحيدة، بلا أم ولا أب ولا أخت ولا أخ ولا مجتمع، فتحاول أن تجد من يملأ عليها حياتها وإن كان مستغلاً مفاتها.

وهذه (إيملي) فتاة أمريكية صغيرة قالت عنها راوية القصة (ميري): إنها نموذج لفتاة أمريكية أعطيت كل الحريات!! (وأنا أقول: تُرى كم (إيملي) بينهن؟! تقول ميري: بدأت معاناة إيملي منذ طلاق والديها (ولدينا في هذه البلاد حرية طلاق كبيرة) والدتها كانت تتعاطى المخدرات (وهذا يعد اختيارها!) عاشت إيملي مع والدها الذي كان رجلاً جيداً، لكنها بعمر صغير بدأت تعيش حياتها بلا قيود، فلم تعد تذهب للمدرسة وأصبحت ترافق الشبان، وتعيش معهم، كانت ملابسها مثيرة جداً تثير الإعجاب (لكنها بالنسبة لي لا تثير إعجابي وهي تسعى لتُرى الآخرين جسدها بلبس تلك الملابس القصيرة جداً)، حملت (إيملي) وهي في عمر صغير، وأنجبت طفلة جميلة وتربت البنت دون أمها فجدها (والد إيملي) يرعاها: لأن (إيملي) تتعاطى المخدرات وكثيراً ما تسجن. الآن إيملي في العشرين من عمرها فقط وابنتها في السابعة، وكلما حاولت العلاج من الإدمان لا تستطيع وتعود للسجن مرات ومرات! وتتساءل ميري بحرقه: ماذا لديها؟ ماذا لديها؟ عندها بنت ولكن ليس عندها زوج، وعندها جسم جميل لكن ماذا تفعل به؟ هل هي سعيدة؟ من المستحيل أن تكون سعيدة فهي مدمنة مخدرات! القاضي يهددها بحرمانها من ابنتها إلى الأبد؛ لأنها أم غير جيدة، أنا حزينه عليها انظري لحياتها إنها في مجتمع ينظر للشخص حتى يكون شخصاً طبيعياً لا بد أن ينام مع الشباب! هذه حياة شابة أمريكية ما زالت تقابل شباباً كثيرين!! لقد حاول والدها مساعدتها لكنه يئس من ذلك فهو يحتاج للمال لأجل إصلاحها

(والدها من ضمن مجموعتي في الكنيسة) لكن (إيملي) سرقت منه مال الكنيسة الذي احتفظ به لمشروعات مساعدة! وحاولنا مساعدتها أيضاً لكن ماذا يمكن أن نفعل لأجلها؟ على الرغم من أننا نحن لا نلومها فهي جزء من هذه الثقافة، وربما عندها ضعف وقلبها مكسور، وهي فتاة أمريكية صغيرة لديها كل الحريات.

وربما لو حكيت لكم عن (إيزا) (من كندا) لعرفت أن حياتهم واهمة حد الإغراق في الوهم وهي نموذج لحياة أي شابة استسلمت للحرية، ورأت أنها الخلاص والسعادة في أي بقعة من العالم! تتحدث الأخت رغد عن هذه الفتاة التي تراها من ضمن طالبات صفها في المرحلة الثانوية، غير أن إيزا كانت تتعمد الاحتكاك (برغد) ومحاولة استفزازها، فتسألها مثلاً: ألا تشعرين بالحر حين ترتدين هذا الحجاب؟ كانت تظن أنها تعيسة ولا تشعر بلذة الحياة أما هي - (إيزا) طبعاً - فهي كما تظن في قمة اللذة والاستمتاع بشبابها وحياتها، ولكن لم تكن كلماتها بالتي تهز ثقة رغد في نفسها كانت تجيبها بما يستفزها أيضاً، فهي تعرف أهمية الحجاب في دينها وليست مجبرة عليه، وهي حين تنصاع لتحكم والديها بخروجها وحياتها تسعد بكونهم يحملون مصروفاتها (كانت تجيبها بذات التفكير المادي الذي يقنعها) تصفها (رغد) - وهي التي توافق وجودها معها طويلاً في المدرسة - بأنها تكذب كثيراً، وتسخر كثيراً، وتعاني من الغرور! (ملا بسها غير محتشمة قذرة في الحديث وفي التعامل مع الآخرين، وكثيرين ينبذون تصرفاتها، وعاقبة لوالديها بطريقة غريبة جداً، كما أن والديها يسيئون معاملتها كثيراً).

تقول محدثتي: رأيت بعيني كثيراً من المواقف لسوء تعامل متبادل بينهم! كان لديها الكثير جداً من العلاقات مع العديد من العشاق، فكانت ما بين مدة وأخرى تأتي مفاخرة بصديق جديد، وتستفزني بحركات مغللة بالأدب معهم! وهي أكثر من سخر من حجابي وطريقة حياتي كوني مسلمة. هذه صفات (إيزا) وهي في الحقيقة تتفق في كثير منها مع شقراوات أمريكية وكندا على وجه الخصوص، وتكون على أشدها في مرحلة الشباب. شعور بالغرور والوصول لأقصى درجات المتعة والحرية والوصول لكل شيء تريده، لا شيء ممنوع عليها بوصفها أنثى! ولكن! ها هي (رغد) تذهب للجامعة، أما (إيزا) فاضطرت للعمل في أحد المطاعم لعلها تستطيع أن تتدبر أقساط الجامعة!! تأملوا كيف تحولت السعادة الواهمة؟! تخلص الوالدان عنها في هذا العمر الصغير بحكم القانون حين بلغت الثامنة عشر من عمرها، وأصبحت مسؤولة عن مصروفها وحياتها ومستقبلها!

وتحدثت (أم جمال) بكل أسى عن زميلتها في العمل (تريسي) (25 عاماً) التي اضطرت لترك المدرسة في الصف الثاني الثانوي لتعمل، كان والدها سكيراً، يضرب والدتها دوماً وقد أدمنت تريسي أنواع المخدرات جميعها تقريباً، واضطرت لبيع الأثاث مع صديقها المدمن لتشتري الحشيش.. ثم انتقلت للعمل في ولاية أخرى لكنها دوماً مفلسة تهرب للسكر والمخدرات، ومضطربة نفسياً، وتغار من الأخريات، وهي لا تستطيع أن تغير حياتها - بالنهاية تزوجت صديقها، لكنها تقول: إنها غير سعيدة فقد اعتادت العلاقات مع الآخرين، ولا تستطيع أن تصبر على رجل واحد، وربما زوجها لديه الشعور والفعل ذاته.

نأج حرب المرأة الغربفة وما سبها

1- استغلال المرأة

حين نالت المرأة الغربية حريتها التي تريدها وانتزعت ما تراه حقها بدافع التحضر والتقدم، وحين أصبحت حرية الفرد هي الطاغية في تلك المجتمعات المادية، استطاعت تلك الحضارة بسلطة الرجل أن تستغل المرأة أبشع استغلال برضاها -ومنذ البدء- فقد كانت تواقع لتفعل كل ما يريدونه منها حتى تثبت أنها الأقوى وليست الأضعف ولا تزال كذلك، وأن باستطاعتها أن تكون رجلاً في شكل أنثى، لكنها وقعت في ضياع جديد ربما أقسى من سابقه، فقد أصبحت تمثل الدورين (الذكور والأنثى). تقول (جولي): الآن أصبحت المرأة لدينا تقوم بدور المرأة والرجل معاً!! ولكن عليها أن تعمل فهي تحتاج المال ولا أحد سيساعدها. لذلك فإن (فرص العمل التي أتاحت للمرأة، ومجموعة الفوائد المالية العائدة من العمل، أغرت المرأة الموهوبة لتكون خارج المنزل، وأبعدتها عن عاطفة الأمومة؛ لأن ذلك من شأنه أن يؤثر على عملها في الشركة، وملايين النساء الأمريكيات تركن المنزل لأجل المكاتب بجانب الرجال والتنافس معهم، وعشرات الملايين يتركن الزواج لإنهاء الجامعة، والمرأة المتحضرة الآن تقول: يمكن للمرأة أن تجمع كل شيء!! الطفل والعمل، فالطفل مع المربية، ولدينا إجازة الأمومة، والحضانة،

ودعم الحكومة والشركة للحضانة. الإغراءات ليست كاذبة، ولكن الشيء الذي لن تستطيعي فعله هو حضانة الأطفال في البيت بينما أنت في سباق وتحدي في المكتب! ¹.

لا أحد يمكنه أن ينفك من هذا الأسر الطاغية والمرأة بالذات، فأينما تذهب تجد المرأة وحيثما وجد العمل -أي عمل- تكون المرأة موجودة وبحضور يطفئ على وجود الرجل. وحتى بالنسبة للأفراد الرجال فإن أكثرهم يفضل الارتباط بالمرأة العاملة التي تسهم في نفقات المنزل.

تقول (هبة) (أمريكية اعتنقت الإسلام): تقوم المرأة بكل شيء هنا فهي تعمل لتحصل على المال، وتعتني بالمنزل، والعائلة ولا بد أن تكون كاملة وإلا سوف تشكك في نفسها.

تقول إحدى: المسلمات تقدمت ومجموعة من النساء للعمل في إحدى الشركات، وبعد تعبئة النماذج، حضر المرشد في العمل وألقى كلمة على المتقدمات، كان جل كلامه عن تحذير النساء من عرض أجسادهن ومفاتتهن في العمل، ومما قاله: لقد حان الوقت أن نعترف أمام الملأ بأننا كنا نستغل أجسادكن باسم حقوق المرأة وما زلنا كذلك، وحتى أصواتكن استغلت فأصبحت سلعة تروج في كل مكان، وعليكن أن تدركن حقيقة الخديعة التي أوقعتكن في أنواع الرذيلة كلها، لقد أضحكنا العالم عليكن أجمع، وعايركن!! فحان الوقت أن نقول: نحن نريد نساء

1- باتريك بوكانان، موت الغرب، الولايات المتحدة، ST. MARTINS PRESS، 2002، ص 33.

ذوات عقول نيرة؛ نساء مثقفات نتمسك بهن لأفكارهن وثقافتهن وليس لأجسادهن ومفاتيهن.

وحين طرحت سؤالاً على أخت عربية مسلمة -مقيمة من سنوات في بلاد الغرب وحاصلة على شهادة عالية- عن رأيها في حرية المرأة الغربية حاولت في البدء أن تدافع عن نماذج مضيئة تراها في المجتمع الغربي!! فأكدت لها أنني لا أنكر ذلك ثم سألتها: بالنهاية كيف ترين المرأة الغربية فضربت على الطاولة التي أمامها، وقالت: كالتاولة تستعمل عندما تكون في رونقها، ثم ترمى وتلفظ من المجتمع حين تضعف قدراتها!!

فهل يمكن أن نصف المرأة الغربية باللعبة في يد الرجل؟ هكذا تبدو! لذلك تحاول أن تتمتع بوقتها ولهوها ولا يهتمها ما يحدث لها فيما بعد، فهي حين تستهلك تماماً، وتصبح غير قادرة على أن تكون كالسابق، وتهمل وتستبدل بغيرها؟. (تبين أن المستفيدين من الحمل فالإجهاض هم رجال أنانيون يستخدمون المرأة، ثم يرمونها مثل مناديل الورق (الكليمنكس!!)¹.

هي تعلم ذلك، لهذا تجتهد في استغلال وقتها قبل أن تكون مهمة غير صالحة لشيء بنظرهم. وهكذا تلقن مبادئ الاهتمام بنفسها من النواحي جميعها منذ الصغر، ويصبح هو شغلها الشاغل، لكنها تتجرع المآسي حين تتذوق نتائج ذلك.

1- باتريك بوكانان، موت الغرب، الولايات المتحدة، ST. MARTINS PRESS، 2002، ص 44.

تقول (أميرة) (أمريكية اعتنقت الإسلام): على الرغم من أننا لم نعد من ممتلكات الزوج إلا أننا ينظر لنا الآن على أننا كائناتٌ جنسية. في الستينيات طالبت بعض النساء بحرية أكثر وكانت طريقتهن في المطالبة: بحرق حمالات صدورهن وتعاطي المخدرات وشرب الكحول والتقليل من ملابسهن، وبدلاً من أن نحصل على المزيد من الحرية أصبحنا ليس أكثر من متع جنسية للرجال، ونظراً لكثرة الاهتمام بالجنس في مجتمعنا أصبح الرجال خارج نطاق السيطرة، يفتصبون النساء، ويتخذون العشيقات أو يذهبون לנוادي التعري!.

إذا فهي مستغلة من حيث الجنس واعتماد الرجل طريق الصديقة أكثر من الزوجة برغم توقعها للزواج والاستقرار، لكنه (شاباً ورجلاً) يفضلها صديقة يستغلها بإرادتها، ثم يتركها ويرحل من حياتها بلا تبعات! وهي التي بالعادة تقوم على شؤون الأطفال وترعاهم أكثر من الرجل حين يطلقها أو يفترق عنها بوصفه صديقاً! ومستغلة من قبل الشركات ورجال الأعمال ويقوم عليها كثيرٌ من نتائجهم وأعمالهم، بل اقتصادهم يقوم كثيراً على استغلال طاقة المرأة وجهدها.

وقد أغروها بصيحات الموضة، وسهلوا لها التخفيف من ملابسها، وسكبوا ماء الحياء من وجهها، فإذا هي تصل لهذه المرحلة المفجعة من الكشف وانعدام الحشمة والستر تماماً من قاموس حياتها! فأمتعهم بجسدها ومفاتنها، ومع كل خطوة منها بتشجيع بعض الحركات النسوية التحررية (التي ترى الزواج عبودية وبغاءً من نوع آخر واغتصاباً من الزوج!! وتعدّ العائلة مسؤولية تثقل كاهل المرأة وتحد من انطلاقها

واستمتاعها بالحياة، ومن ثمّ سعت لتهميش دور المرأة أماً وزوجة ورسمت لها دوراً جديداً عاملةً خارج المنزل ومتمتعة بكل أنواع المتعة) تتبعها خطوات ذكورية متلقفة لهذا النشاط العجيب توظفه لكل ما يخدم مصالحهم المادية والفرائزية...، فمن مناجم الفحم التي كانت تسخرها كالعبيد للعمل لساعات كثيرة وبنصف راتب الرجل، إلى أداة تستغل وطاقة تمتص في وقت معين، وبماذج مختلفة.

ويبرز ذلك أيضاً في استغلال جسد المرأة لترويج السلع بطريقة خادشة ومؤذية للعين ومفسدة للمجتمع وأفراده، وذلك باعتماد طريق الإثارة والإغراء، والمضحك أنها سلع بعيدة جداً عما يخص المرأة لكنه طريق للإغراء الذي هو أفضل مروج لسلعهم، حتى وإن كانت لشاحنة أو بندقية! فالإعلان عادة يعتمد على جسد المرأة وحركاتها ورقصها وجمالها فقط، بغض النظر عن مزايا المنتج الذي تعلن عنه! وهذا يدل على الحط من شأن المرأة وهدر كرامتها فهي وسيلة لشراء سلعة فقط! (المرأة الغربية لا تزال تعامل على أنها سلعة حيث العبودية الجنسية آخذة في الارتفاع والمقنعة تحت تسويق مخادع، وحيث تتاجر بأجساد النساء في عالم الإعلانات)¹.

وما أكثر ما تحشد تلك الأنواع من الدعايات في الطرقات والقنوات والجرائد والمجلات والإنترنت والبريد أيضاً، فهو حصار إذاً للرجال وإغراء طوال الوقت... لا ريب أن ذلك يحدث في مجتمع يكاد يعبد المال

1- الكاتبة الإنجليزية إيفون ردلي، كيف أصبحت أحب الحجاب، الثلاثاء - 31 أكتوبر
www.yvonneidley.org 2006

ويسخر له كل شيء، وحتى في هدم قيم المجتمع والتفكير في كل ما هو ربحي فقط، بغض النظر عن خطورته على المجتمع والأفراد والنشء، وتغيير سلوكياتهم، والبحث عن الجديد الغريب الذي يثير الشهوات، حتى إن فكرة أن يعيش الصديق والصديقة كالزوجين في بيت واحد ولا سيما الشباب لصعوبة الزواج والارتباط بالرغم من تقادماها إلى الآن، إلا أنها تعتمد على النفع الربحي أيضاً، وفيها كثير من الاستغلال للمرأة وحاجتها!

كل ذلك في الحقيقة يصب في مصلحة الرجل كونه مستغلاً بطريقة مؤذية لها، فأرادها أن تكون حرة لأجله فقط ولتشبع نهمه للمال والثروة والمتعة! أما هي فتركض من أجل إرضائه ولفت انتباهه، كما تأسى لتجاهله لها وتعمل لتساعده، وتحمل مسؤوليات كثيرة كان من المفترض أن يتحملها وحده.

تقول أمريكية اعتنقت الإسلام: في هذا العصر أصبحت المرأة الغربية تعيش من أجل الرجل، والمفارقة أن غير المسلمة تسعى لسعادة الرجل فقط في حين أن المسلمة تتعبد ربها بإسعاد زوجها!!

وما أكثر ما يكون الاستغلال مؤذياً ومهدداً للحياة من قبل الأصدقاء وخصوصاً من يتعاطون المخدرات أو يدمنون الكحول -وما أكثرهم- فيكون الزوج أو الصديق بحاجة كبيرة لها لتوفر له ما يحتاجه من شراء المخدرات وتكون عرضة لتهديداته إن هي رفضت ذلك، وما أكثر جرائم القتل والإصابات الخطيرة الناتجة عن هذا الانتقام، تقول إحداهن: اضطررت للصبر على استغلال صديقي لي (يعيشان كالزوجين دون

زواج) سبع سنوات كنت أعمل وأصرف على البيت وكل متطلباته، وهو يأخذ مالي ويصرفه على المخدرات التي أدمنها وأثرت كثيراً عليه، كان يضربني بقسوة ويجبرني لأعطيه مالي، والشئ الذي أدخلني في دوامة من الرعب تهديده لي بالقتل، وملاحقته لي في كل مكان، وحين شكوته للشرطة حُكم عليه بالسجن مدة عامين فقط، والآن أخشى خروجه من السجن مخافة انتقامه بالرغم من أنني ارتحلت لمدينة بعيدة عن المدينة التي كنا نسكن فيها.

بالتأكيد فكل هذه الثروة الصناعية التي اجتاحت العالم والعالم الغربي المتحرر بالذات جاءت وبالأعلى المرأة المتحررة، وهي حين حررتها استعبدتها من جديد بطريقة أخرى، فعلى المرأة تقع تكاليف باهظة الثمن لا بد لها أن تقدمها أنثى فقط، بل جسداً أيضاً!! ومن هذا الجسد يجني الغرب ثروات ضخمة غاية في الضخامة: ملاهي ليلية، وبيوت دعارة، وتجارة الرقيق الأبيض (البغاء). بل منهم من عدّ البغاء وظيفة رسمية شريفة أيضاً كأى عمل تمتننه المرأة! كي تدر على البلاد المزيد من مصادر الدخل، وأصبحت التجارة الجنسية بطرقها المختلفة تفوق تجارة الأسلحة وتجارة المخدرات، بل هي سلاح من نوع آخر! أدواته وضحيته المرأة ذاتها ونشطت بالنتيجة لذلك شبكات الدعارة والعمل الرخيص واستغلت المرأة الفقيرة في ذلك أبشع استغلال، فأصبحت تباع وتُشتري من عائلتها من الدول الفقيرة في أوروبا إلى العالم الغني الحر!! الذي يتاجر بأجساد الضعيفات في وضع لا إنساني لا يمت للأخلاق بصلة، وخصوصاً القاصرات والباحثات عن لقمة العيش بأي ثمن حتى وإن باعت جسدها!

2- الفراغ الروحي وغياب الدين

المرأة الغربية نشأت في مجتمع علماني ينبذ الدين وكل ما تبقى منه!! ويقصيه تماماً عن الحياة العملية، وهذا التوجه العلماني بالطبع كان نتاجاً لضجر الناس من الكنيسة في الماضي، وتسلطها بتعاليم منحرفة، فتفر الناس من الدين، وأصبح شأناً فردياً فقط، فمن أراد أن يعبد الإله فليفعل، ومن أراد أن يلحد فليفعل أيضاً! وانحصر الدين فقط في الكنائس وأيام الأحد، وقد تكاثر غير المتدينين في العالم الغربي، وأصبح الدين منسياً أحياناً كثيرة، وضعف تأثيره في حياتهم ومن المؤسف أن ظهرت عقائد منحرفة كعبدة الشيطان مثلاً نسأل الله تعالى العافية.. وأصبح الإلحاد يجاهر به ويسوّق له في الإعلام!! ففني أحد البرامج الأمريكية مثلاً وجه مذيع أمريكي سؤالاً لجمهور الحاضرين: من يصدق بالله؟ فتجاوب عدد قليل وحين كان العكس من لا يصدق بالله تجاوب عدد كبير!! فما كان من مقدم البرنامج المشهور إلا أن يرسل قبلاته لهم سعيداً بهذا التجاوب الكبير!!

* تقول (سيسيليا): في أمريكا حرية الأديان وحتى الذين لا يصدقون بالإله لهم حريتهم لكن أستطيع القول: إن للإله شأنًا كبيراً في حياة الناس، وإنهم يذهبون للكنيسة (تشمل في نظرها كل أماكن العبادة للأديان كلها) لكنها حددت النسبة في نظرها التي تشمل الأديان جميعها بنسبة 60% وربما أكثر.

لكن حين سألت (ليندا هولدن) (المتدينة على حد قولها) عن مقولة أن الشعب الأمريكي متدين صرخت بقوة قائلة: لا، وتابعت بأسى ربما

بالمقارنة بأوروبية لكن الناس الآن أصبح إلههم المال والجمال والجنس، من الجيد أن تهتم بهذه الأمور، ولكن لا تأخذها بإفراط في حياتك. كل الناس لديهم إله لكنهم لا يميزون إلههم (الإله الحقيقي) إنهم منشغلون سبعة أيام في الأسبوع، وأربعاً وعشرين ساعة في اليوم، وتركيزهم على دفع فواتيرهم حتى إنهم لا يهتمون بعائلاتهم وأزواجهم فقلوبهم متعلقة بالمال، منذ الستينيات وحتى الآن فقد الناس التصديق بالإله وأصبحوا يصدقون بأنفسهم ويعتقدون أنهم صنعوا أنفسهم، ولم يعد للإله محل في قلوبهم أو يعتمدون عليه، وأنه الذي يقدر كل شيء، في الماضي حين كانوا يعيشون في المزارع وينتظرون المطر والشمس مثلاً كانوا يشعرون بحاجتهم للإله، ولكن حين كبرت المدن وتطورت الصناعة بعد الناس عن الله، ولم يعودوا يفكرون في أنه المقدر لكل شيء.

* تقول شابة أوروبية مسلمة تعيش في أمريكا منذ سنوات عدة: لم تكن عائلتي تعرف شيئاً عن الدين!! ولم أسمع أحد أفرادها يذكر الله تعالى. كنت كغيري من الشابات، لا ندري أن ما نفعله خطأ؛ لأننا لم نعرف جانب الصواب أبداً ولم نر من يعيشه حقيقة، فالقذوة الحسنة مغيبة تماماً في حياتنا.. لذلك غرقت المرأة الغربية ولا سيما الشابات في براثن الكحول والمخدرات بأنواعها؛ لاعتقادهم أنها تجلب لهم السعادة لكنها وهمٌ فعلاً فقد دمرتهم باعترافهم! وربما لا تتمكن من الانفلات من ضغط مجموع الصديقات والأصدقاء لتجرب وتخطئ.. ولم يكن للأهل دور يذكر في الإصلاح، فهم يشجعون على التجريب لمزيد من التعلم وخوض التجربة والتعلم من الخطأ، وإن حاول بعضهم

ثنيهم، فإنهم لن يستطيعوا السيطرة على أبنائهم. وهكذا أشعر أن الشابة أحببت تجربة كل شيء وأي شيء بدافع من الأهل والمجتمع، لكنها تشعر بشيء كبير ينقصها كنت أشعر به عبر تفكيري الدائم بأنه لا بد من إله خلق هذا الكون ويدبره (سبحانه وتعالى)! والحمد لله أن هداها لطريق الصواب والحق، فأصبحت مسلمة محجبة. وبالطبع لا تتمنى العودة لحياة الضياع التي قالت عنها: إنها مزيج من الشعور بالتكبر والقدرة على عمل أي شيء بتشجيع من المحيطين.

وهكذا أصبحت الثقافة السائدة لدى المجتمعات الغربية هي ثقافة اللهو والبحث عنه بكل السبل السليم منها والمريض!! والمتأمل لحياتهم يجدها كلها تدور في فلك اللهو والمتعة بكل حرية!! ويحاولون جميعهم نساءً ورجالاً استغلال أي وقت لذلك، كالإجازات وعطلة نهاية الأسبوع في السفر والرحلات والنزهات والسهر والرقص والموسيقى والغناء والجنس والمخدرات والمسارح والمجون والخمور والاحتفالات والتسوق واللعب والأفلام، وكل ما حولهم يدعوهم لذلك، بتهيئة الأماكن والدعاية لها إلى جانب كثرة الأعياد والمناسبات الاحتفالية.. وقد تحدثت أخت سويدية مسلمة عن بعض الدول الغربية، خصوصاً تلك التي تتمتع بدخل أعلى، وكيف تعيش انحلالاً أخلاقياً كبيراً وغياباً للدين أكثر من غيرها فلا شيء ممنوع أمام المتعة! فقالت: إنهم يعيشون في ضياع ولهو شديدين، وتندر الكوارث الطبيعية عندهم فلا يشعرون باختبار الله لهم! ومع هذا فأكثر معدلات الانتحار تحدث في بلادهم، والأمراض النفسية أيضاً لفراغ حياتهم وهشاشتها!.

والحقيقة أنهم شعروا حديثاً بهذا الخواء الروحي، فالمكتبات الأمريكية ملاءى بالكتب التي تحث على إشباع الجوانب الروحية، ولكن الحاصل في الواقع لتعويض هذا الفقد هو اللجوء للكحول وإدمانها والعقاقير الطبية والمخدرات بأنواعها، تقول سارة بوك: عندما أخذت الفجوة بالاتساع بين سعادتي وبين بريق حياتي لجأت للهروب من الواقع بتعاطي الخمر، وارتياح الحفلات تارة، والتأمل، واستكشاف الديانات والمعتقدات السائدة تارة أخرى، ومساعدة الآخرين والدفاع عن المستضعفين، ولكن سرعان ما اتسعت هذه الفجوة لتبدو وادياً سحيق الأعماق، بعد كثير من التأمل تولدت لدي قناعة بأن ملاذي لم يكن سوى مسكن للألم وليس علاجاً¹.

وحين أشبعت الحضارة المادية تلك الفراغ بقي الجانب الروحي فارغاً ومغيباً، لكنه مقلق حد الاكتئاب والأمراض النفسية المؤدية للانتحار فبالرغم من توافر المال لديهم وفرص العمل، وكذلك كثرة الأثرياء، لكن هذا كله لم يجلب لهم السعادة مطلقاً، والدليل أن أكثر العلاجات شيوعاً في أمريكا مثلاً هو علاج الاكتئاب.

وكذا شعورهن بالإحباط لجملة ما يواجهنه من مصاعب، فالمرأة مهما كانت قوتها تبقى مرهفة وضعيفة، وربما الشعور بفداحة ما يفعلنه (وخصوصاً من ذوات الضمير الحي) تقول (أمينة): قبل إسلامي وعندما كنت فتاة كانت أمي تغضب من خروجي للنواصي الليلة؛ بل كانت تقول أنت في النار!! وقتها كنت أرقص وجملة أمي (أنت في النار)

1 - جريدة الرياض الخميس 22 ذي الحجة 1427هـ - 11 يناير 2007م - العدد 14080.

كالمسمار في قلبي لذلك ما أكثر ما يبحثون عن كثير من اللهو، ولعل بعض المتعة تغيب حاجاتهم الروحية ولو مؤقتاً!!

تبعاً لهذا الخواء الروحي انحدر المستوى الأخلاقي، وتنوعت أشكاله بتنوع الأمزجة والشهوات بدافع من الحرية الشخصية، التي تفتح الأبواب لكل شيء وأي شيء، هم يعترفون بهذا الانحدار، وتنطلق من وقت لآخر صيحات مستهجنة ولكن ما من مجيب! (ماتت أخلاقيات الجيل الماضي فإلى عام 1950م كان الطلاق يعدّ فضيحة، والإجهاض مكروهاً ومقيتاً، وكانت الحرية الجنسية عملاً جريئاً ومقيتاً، الآن نصف الزواج ينتهي بالطلاق، والشذوذ أصبح مباحاً بقوة القانون ويتفاخر به الذين يمارسونه)¹.

وتتساءل (ديانا) قائلة: ما سبب الإنجاب خارج الزواج مثلاً هل هو ضعف أخلاقي؟ أم ضعف ديني؟ أعرف نساء في الحقيقة متدينات وحملن خارج نطاق الزواج، فبعض التدين لا يمنع ذلك!! وهذا خاضع لقرارهن ولا أعزيهن فيه! لكن هذا بالتأكيد لا يعني حرية أبداً!

وترى مسلمة أمريكية وكانت نصرانية متدينة أن المسيحيين يرون الله تعالى وتقدس والدهم وهم مثل الأطفال المدللين، ويريدون أن يدلّهم ويعطيهم كثيراً ويريدون المزيد، لذلك حين يدعون الله تتحصر مطالبهم في الدنيا (أريد بيتاً.. أريد سيارة وهكذا!!) حتى وإن أخطؤوا ببساطة يتأسفون وينتهي الأمر، ويعاودون اقتراف

1- باتريك بوكانان-موت الغرب- ص 43 نقلاً عن ران لستيج - عصر التغيير الديمغرافي والثقافي في أوروبا.

الخطأ، وقد نسوا الآخرة تماماً!! أو لا يؤمنون بها! ويرون الحياة واحدة فقط!

ومنهن كثيرات يعرفن أن ثمة خطأ في حياتهن لكنهم لا يعرفن ما هو؟! وخصوصاً مع عدم إشباع دينهم لروحهم وإجابته عن تساؤلاتهم تقول أمريكية كبيرة في العمر: ربيت نصرانية، لكن تغير تصديقي وإيماني، لذلك لست نصرانية جيدة، أنا أعتقد بأن هناك شيئاً أفضل، لكن لا أدري ما هو، لقد فقدت إيماني واعتقادي منذ كنت صغيرة وأتمنى أني ما زلت أملكه، ولكن لا أستطيع الآن، لقد ضاع إيماني وهذا سيئ، المفترض أن أصدق وأؤمن، فقد تعلمت ذلك وأحب أن يتعلم الصغار دروساً في الدين، وقد وجدت الأديان كلها متشابهة وكلهم يعتقدون أن هناك شيئاً أفضل، أنا أصدق بأن هناك شيئاً ما أفضل لكن لا أعرف ما هو، ولا أدري من هو الرب؟ يمكن أن يكون الله أو (God) أو بوذا؟! وربما أي أحد ولا أعرف بماذا أصدق، وربما لا أصدق بشيء قالت ذلك ضاحكة! حاولت التحاور معها في الإسلام، وإعطاءها كتباً عن الإسلام لكنها قالت: لا ينفع لقد تأخر الوقت كثيراً، قلت: ما زال معك الوقت، قالت: حاولت قبلك مسلمة، وأهدتني كتباً وأشرطة كانت تريد حمايتي، وكذلك شقيقتي نصرانية متدينة، وتخشى علي من النار لكنني أقول: فات الوقت الآن!!

تقول الأخت (روز): صادفت كثيراً من الأمريكيات وتحدثن معي عن شعورهن بأن هناك خطأ ما في حياتهن لكن لا يعرفن ما هو؟ تتابع (روز) حياتهم مملّة فارغة حيث ليس لدينهن تأثير عليهن

ليوجههن، ويملاً فراغ روحهن ويريحهن. وحين حدثتني (فيلا) عن هذا الفقد كانت عيناها مغرورتان بالدمع، وهي تقول: لقد توقفت عن الذهاب للكنيسة فما زلت أشعر بشيء ضائع في داخلي، شيء ما أفقده!! وأحاول تعويض هذا النقص بمساعدة الأطفال المحتاجين، والتبرعات لمرضى السرطان مثلاً، وبادرتها بثقة أن ضالتها ستجدها في الإسلام، فطلبت مني تزويدها بما يعرفها بالإسلام.

ومنهن المتشككة في دينها أيضاً.

سألت إحداهن: ما ديانتك؟ قالت: كاثوليكية.

قلت: هل أنت مقتنعة به؟ قالت: ليس كثيراً.

(سارة بوكر) (أمريكية اعتنقت الإسلام) تقول: اطلعت على طوائف مسيحية مختلفة، كانت عائلتي أحياناً تذهب للكنيسة في المناسبات، ثم بتحفيز من أمي اعتنقت الطائفة اللوثرية وكنت أعتقد بالله ولكن لم أكن أصدق بكل ما يقال في الكنيسة من غناء وعبادات وصور صلب المسيح وصور المسيح، وأكل لحم المسيح وشرب دمه، أشياء لا يصدقها العقل!!¹.

بل وحتى في المسمى تقول (ليندا هولدن): لا أحب كلمة مسيحية أو كاثوليكية حين سُئلت عن ديانتها (تقول: إنها متدينة منذ مراهقتها) ولا أستخدم هذه الكلمة، فكثير من الناس يعتقدون أشياء سيئة عن المسيحيين، وأفكارهم مضطربة عنهم، لذلك أنا أقول إنني أتبع عيسى المصلوب! وأقرأ الإنجيل وأذهب للكنيسة يوم الأحد.

1 - موقع إسلام أون لاين www. islamonline. net

تقول راهبة سابقة: الناس لا يفهمون دينهم!

(رييت كاثوليكية أذهب للكنيسة كل أحد لدراسة الدين؛ لأن والدي يجبرني بالقوة على الذهاب....: وعندما أصبحت في السابعة عشر من العمر توقفت عن الذهاب تماماً)¹.

وكم هن اللاتي عرفن طريق الإسلام حين عجزت الكنيسة عن أن تجيب عن أسئلتهن، في حين كان الإسلام في عقيدته الصافية مقنعاً ومجيباً لكل ما يرد على أذهانهن، ولا يضعهن في حيرة أمام صورة مشوشة غير واضحة حتى في العقيدة، ويبقى عرضة للأوهام والتخبط!!

ومع انتهاء سلطة الدين وأهميته تماماً في قيادة المجتمع والتأثير على الأفراد، تلاشى تأثير الكنيسة والقساوسة بالطبع وهم، وإن رفضوا هذا كله الذي يحدث من تحرر ومجون لا يستطيعون المجاهرة بالرفض مخافة أن يفقدوا مرتادي كنائسهم!! بالرغم من محاولة بعضهم محاربة مفاصد الحضارة والتقدم، فهذا القس جيرى فالويل². قال بعد هجمات الحادي عشر من أيلول / سبتمبر³. عبر وسائل الإعلام: إن انتشار الشذوذ الجنسي والإلحاد وقضايا الحقوق المدنية وتشريع الإجهاض قد أثار غضب الرب فأسهم بحدوث ما حدث.

وقد انشغلت الكنائس بنفسها وبمنافساتها وجمعها للمال! حتى إن بعض الرهبان يظهر في برنامج في إحدى المحطات المستأجرة، ويطلب

1 - carol l. anway، بنات الطريق المخالف، Yawana Publications MO. USA، 2002 ص 12.

2- مات حديثاً عام 2007م وهو كان أحد أقطاب تيار اليمين الإنجيلي الأمريكي.

3- سقوط برج نيويورك عام 2001.

من الناس إرسال مئة دولار مقابل أن يدعو لهم!! وظهر انحراف بعض القساوسة متمثلاً في الزنى والشذوذ والاعتداء الجنسي على الأطفال!! وقد تحدثت وسائل الإعلام عن كثير من تلك الجرائم البشعة من رجال الدين! ومنها أيضاً قس في أحد الكنائس يستغل أموال التبرعات التي يتبرع بها مرتادو الكنيسة على علاقاته مع الساقطات!! وبالتأكيد تلك الزلات الخطيرة ومع تضخيمها إعلامياً تفقد الناس الثقة في الدين! لهذا فأخطاء رجال الدين لديهم تبصرهم بأن ثمة أخطاء في الدين ذاته! فهذا أيضاً أسقف يعترف قبيل أسبوعين من وفاته (كان مريضاً بالسرطان) لزوجته وأبنائه أن له ابناً من عشيقته! هذا الابن يبلغ من العمر 42 عاماً ومتزوج وله أبناء، وقد كان يتمنى التعرف على عائلته ولكن الأب أخفى سره طوال هذه المدة! والمدهش أنه والد طليقة أحد المسلمين التي كانت تتندر على التعدد في الإسلام! وكان هو يسبب الأذى لهذا المسلم بسخريته من المسلمين!

تقول راهبة سابقة: لقد تركت عملي راهبة في الكنيسة وذلك لجملة الأخطاء التي لاحظتها!! إنهم في الكنيسة يقترفون خطايا كبيرة، فالراهب ينام مع الراهبات، ويمارسون الجنس بالرغم من أنه يمنع ذلك بتعاليم دينية مشددة (قالت لي راهبة أخرى: إنهم يعتقدون بزواج الراهبة من الله (تعالى الله وتقدس)، لكنه زواج ليس فيزيولوجياً!! وأرتني خاتماً فضياً في إصبعها عليه رسم ما يعتقدون أنه للمسيح المصلوب له رمز معين لديهم!) تتابع الراهبة السابقة: أعرف

راهبات حملن ولجان للإجهاض؟! بل أعرف راهبة حملت من المعمد نفسه، وعندهم مقبرة خاصة للأجنة التي يجهضونها!!

وليست هذه المرة الأولى التي أسمع ذلك فقد حدثتني (كارينا) من المكسيك عن معرفتها براهبة من ضمن الراهبات في كنيسة فوق جبل! حملت من المعمد! أيضاً ولجأت للإجهاض.

تتابع الراهبة السابقة: لقد كان انضمامي للكنيسة على أي راهبة (هنا في أمريكا) محزناً بالنسبة لي برغم السنوات، فلم أحب تعاملهم في الكنيسة إنهم لا يريدوننا أن نتعلم أكثر، بل يضعون أقدامهم في طريقنا كلما حاولنا الحصول على فهم أكثر!! لقد استغرقت محاولة انفكاكي عن هذا العمل اثنتي عشر عاماً!! أشعر أن حياتي أفضل الآن فأنا امرأة تعيش حياة طبيعية! فالحياة داخل الكنيسة تمنعك من رؤية الحياة الحقيقية، وفي الكنيسة رجال غير جيدين وهم غير صادقين، إنهم يصلون من أجل أن تتوقف الحرب لكنهم يسهمون فيها!! كما أنهم يعتدون على الأطفال جنسياً ويستولون على مال الناس ولا يساعدون الفقراء إطلاقاً! وتعاملهم سيئ جداً! وهم أغنياء جداً! وحولهم فقراء جداً، فكبيرة الراهبات مثلاً تعيش في بيت كبير جداً وفيه من وسائل الراحة والترفيه الشيء الكثير، وفي الجانب الآخر من مجتمع ومحيط الكنيسة فقراء جداً، ولا تساعدكم إطلاقاً: بل تقول إننا إذا أطعمناهم سيعتادون على ذلك!! وحين شرحت لها الزكاة على سبيل المثال اندهشت كثيراً وقالت: لو كانت الكنيسة تفعل مثلكم لأصبح عدد الفقراء عندنا قليلاً جداً.. وبالطبع كانت تسأل عما نعتقده في

ديننا، وقد اندهشت حين قالت إنها تصدق بأن المسيح مثلنا إنسان وليس إله. أهديتها بعد ذلك كتاباً بلغتها عن الإسلام، وجاءتني بعده بأيام قليلة بوجه غير الذي كنت ألقاها به وقد علته ابتسامة وانشرح في قسماتها، ومدت ذراعها بقدر ما تستطيع واحتضنتني بقوة، وهي تقول مؤكدة: لقد دخلت في دينكم! وطلبت نسخة لترجمة معاني القرآن الكريم فالله أكبر.

وتؤكد (فيكي) ثراء منتسبي الكنائس فهم يملكون الكثير ويطالبوننا بدفع الأموال لهم! حتى حين يموت ميتنا لا بد أن ندفع لهم كثيراً لمراسم الدفن!

وقد عبرت لي إحداهن ببالغ الأسى بعد أن امتدحت حجابي، وقالت إنها تعجب كثيراً بمن تتمسك بدينها، لكنها حقاً توقفت عن الذهاب للكنيسة، فكلما ذهبنا طالبونا بدفع الأموال، واستعرضوا ما قاموا به من إصلاحات في الكنيسة حتى وإن أصلحوا مصباحاً!! كما قالت لي إحداهن: إنها (كانت) تذهب للكنيسة مع والدها!! والتفتت (روحيليا) لصديقتها تسألها هل تذهبن للكنيسة؟ لقد توقفت تماماً أعرف وأؤمن بالله لكنني لم أعد أذهب للكنيسة! وأكره ما يطلبونه من مال دوماً في حين أنهم لا يساعدون الفقراء، كما أنني لا أحب الذين يطرقون بابي ويذكرونني بالدين، فأنا أذهب إذا قررت الذهاب بنفسني فقط!

ومن الغريب أن من الأشياء المتعارف عليها: أن الكنيسة أفضل مكان لاصطياد الفتيات والفتيان؟ لإقامة العلاقات معهم ومعهن! وربما وجدوا عشاقهم فيها تقول أمريكية في مجموعات أنشطة الكنيسة: قد

تجد الفتاة صديقاً أو الفتى صديقة، وعلقت جولي: إن ابني تعرف على صديقه لأنها ضمن مجموعته في نشاط الكنيسة.

بل إن وجود الخمر والكحول في الكنيسة متعارف عليه!! تقول راهبة كاثوليكية (أندوسية تعيش في أمريكا) في إجابة عن استغرابي المتعلق بشربهم للخمر في الكنيسة وتقديمه للمرتادين!! كانت محدثي الأمريكية تضحك باستغراب أيضاً، قالت الراهبة: نحن نشرب قليلاً من النبيذ الأحمر؛ لأننا نعتقد أنه دم المسيح، وعلقت الأمريكية ضاحكة بأن بعض الكنائس تقدم ألواناً أخرى ولا تشترط اللون الأحمر!

الذي يُلحظ كثيراً في كنائسهم أنها تابعة لفكرة الطبقية، ففي أمريكا مثلاً هناك كنائس خاصة بكل طبقة وبكل جنس، فالأغنياء لهم كنائسهم الفاخرة ومقابرهم المزينة بالتماثيل الفاخرة وحدائق الأشجار والورود.

ولا تزال العنصرية والتمييز مقلقة لديهم إلى حد كبير بين طبقات المجتمع.

تحدث إمام أحد المساجد في أمريكا (أمريكي من السود) فقال: دعيت يوماً في لقاء للأديان وقد ركز الحديث على العنصرية والفرقة بين الطوائف المسيحية، ولماذا تكون الساعة الثانية عشر من ظهر كل يوم أحد ساعة عنصرية في كل أمريكا؟ يقول: كانوا يريدون رأيي في الموضوع!! وكان مما قاله لهم: لو حضرتم يوم الجمعة مثلاً للمسجد لرأيتهم المسلمين من الأطياف جميعها، عرباً وعجماً، سوداً أو بيضاً، ومن

كل مكان، أما الكنيسة فلا يمكن أن تجد قساً أسوداً يقول موعظة يوم الأحد للبيض!! أو العكس أو حتى لدى المكسيك أو البولش!! حتى وإن كانوا من الطائفة نفسها، فالجنس لديكم مقدم على الدين!! انظروا للأطفال في الروضة سترونهم منسجمين تماماً بالرغم من اختلاف أديانهم أو أديان آبائهم؛ وذلك لأنهم على الفطرة التي خلقهم الله تعالى عليها، لكن الآباء يؤثرون عليهم!! حينها قامت راهبة ومبشرة على مستوى العالم، فقالت أمام الجميع؛ وهم جمع من كبار القساوسة من كنائس متعددة ورفعت إصبعيها السبابة والوسطى وقربتاهما قائلة: هذه هي المسافة بيني وبين دينك!

وللفقراء كنائسهم المتواضعة وقبورهم المتواضعة أيضاً!! وللبيض كنائس وللأسود أيضاً، وهكذا قس على الطوائف والأصول كلها التي تعود لها كل جماعة!! يلاحظ ذلك كل من يمر بالطريق؛ ويمتد الاهتمام بالشكليات ومحاولة إبراز مظاهر الغنى والترف بالنسبة للأغنياء بعد مماتهم أيضاً، فتجدهم يتنافسون على شراء توابيت غالية الثمن، واختيار القبور التي تكون في أماكن راقية ومظهر المقبرة لا بد أن يكون جميلاً! ونصب قبور عجيبة وبعضها باهظ الثمن، والفيصل في ذلك مستوى معيشة الفرد، هذا التباين الطبقي حتى في المقبرة! وبالنسبة للبقية فلكل شيء ثمن حتى في الموت!

تحدثت أمريكية عن هذا الغلاء فقالت: في هذه البلاد يكون الاحتفال بموت أحد أفراد العائلة عن طريق الذهاب لبيت تجهيز الموتى، الذين يعرضون عليك التابوت وبالطبع تحتاج أن تختار تابوتاً

غالياً، فتقول: أنا أحب والدي ولن أختار له تابوتاً رخيصاً، ثم تختار مكاناً ليودعه الناس أما بالنسبة لوالدي بحثنا عن مكان يتسع لمئتين وخمسين شخصاً عبر بيوت الموتى أو الكنيسة، ويعدون شهادة الوفاة ويجهزون الورود ويضعون إعلان الوفاة في الصحف والإنترنت، ولا بد أن تشتري مكاناً في المقبرة للتابوت، وبالنسبة لوالدي كانت مقبرة الكنيسة أرضاً لنا، واشترط عليهم أن يكون قبره فيها.. ولكي تجهز الجثة وتعد للتوديع من قبل الناس يكلف ذلك ما بين سبعة إلى عشرة آلاف دولار، والمستشفى تتكفل بذلك لمن ليس لديه عائلة تستلمه، هناك من يطلب حرق الجثة؛ لأنه أرخص لكن لا بد من مكان للتوديع وأخذ الرفاة. بعض المقابر غالية لأن الأرض غالية، فبعضهم يشتري قبره منذ أن يصبح في العشرين من العمر حتى يصبح جاهزاً له عند موته، أما أنا فقد قلت لزوجي: أن يسلم جثتي بعد موتي للتشريح والتعليم، أو يحرق جثتي لأنني جزء من الأرض وليس لأنه أرخص، فأنا لا أريد أن ألزم الناس بزيارة قبري، ولا أحب فكرة زيارة القبور وقد زرت قبر والدي مرة واحدة فقط.

3- العمل

يخطئ كثيراً من يظن المرأة الغربية تعيش في رغد وراحة وهناء، وأن الأمريكية بالذات -وهي تعيش في بلاد التقدم والحضارة- قد وصلت لطموحات نساء العالم في العمل والتمكين! وحقيقة الأمر أنهن كادحات بطريقة عجيبة تثير التساؤل والاندھاش، إذ كيف باستطاعتهن تحمل كل ذلك؟ وهل يمكن القول مع هذا إن أمريكا هي بلاد الفرص

الوظيفية وحلم الرخاء والغناء؟ ها هم مواطنوها إذأ يعانون وكل من
هاجر إليها ينخرط معهم في الرتابة والكد واللهاث ذاته. والمرأة بالذات
لها النصيب الأكبر من هذا العناء كله، مع تكاثر مسؤولياتها وتحملها
أدواراً كثيرة في وقت واحد.

ولأنه لا يمكنها أن تثق بالرجل تماماً حتى لو ارتبطت به وشاركته
حياته زوجاً أو صديقاً، فلا أب ولا زوج ولا أخ ولا ابن أيضاً يمكن أن
يتحمل مصاريفها وفي باحتياجاتها، تقول (ليز): مع هذه الخيارات
كلها نحن مسؤولات عن أنفسنا، لا نستطيع أن نتوقع أن أحداً سيعتني
بنا سواء الأزواج أو الوالدين!!

ولأن الحركات النسوية ومؤتمرات حقوق المرأة الدولية ترى أن عمل
المرأة في بيتها بطالة، فهو لا يجلب المال، ومسمى العمل يطلق فقط على
العمل خارج البيت!

وبالنظر للوضع الاقتصادي في أمريكا وغيرها الذي يتطلب عمل
المرأة والرجل أو الأم والأب معاً.

ولأن الحكومات تسعى للإفادة من خدمات المواطنة العاملة أكثر
من المواطنة الأم!!

هذا كله غرس حب العمل وأهميته في تفكيرها، وأصبح يعني حياتها
واستقلاليتها وقدرتها على العيش كما تحب وتتمنى! وهو ما يرفع قدرها
في مجتمعها متجاهلة أدوارها الرئيسة كلها في الحياة أو على أقل تقدير
تجعلها في المرتبة الثانية.

ولكن هل حقق العمل بهذا الجهد والمشقة ما تشده النساء، وهن يغادرن منازلهن اليوم كله؟

(النساء اللاتي يغادرن عائلاتهن كل صباح على متن القاطرات، والنساء اللاتي استبدلن لباس البيت ببذلة العمل، ومكنسة البيت بالحاسوب، وغرف استقبال الضيوف المؤثثة بالفرش والستائر، لأجل المكتب المؤثث أيضاً، وقد قذفن بأطفالهن في موجة غضب من مطالبهم، من أجل تنفيذ طلبات زملاء العمل في موجة غضب أيضاً، هن كمن بدل الحزن بحزن آخر. بعد كل ذلك يهاجمنا شعور غريب بأن الحرية التي نتمتع بها الآن أمر محير، والسعادة التي من المفترض أن تتواصل أصبحت محيرة، وحتى الآن لم تحقق الغاية المعقولة من قائمة الضروريات)¹.

إنهن بهذا الكدح المتواصل، وضغط العمل بملامحهن الذابلة وشكواهن الواهنة مع زيادة المسؤوليات والمهام بدت أوقاتهن كما لو أنها لم تعد تستوعب ذلك كله، فما بالك بطاقتهن واحتمالهن؟ تقول (ليندا هيب): عمل المرأة هنا مضاعف والناس في هذا البلد معروفون بالجري والعمل الدؤوب، وعدد كبير من النساء مجهدات جداً في حياتهن بين العمل ورعاية الأطفال والمنزل والأسرة. تقول (سيليسيا): أكبر مشكلات الحرية المفرطة هي أنك تريد أن تعمل كثيراً من الأشياء في وقت قصير، فتشعر أنك لا تستطيع؛ لأن اليوم محدد بساعات معينة!

وما أكثر ما تتغير ملامحهن، وتتوالى إيماءات رؤوسهن بالموافقة، تتبعها زفريات حري كأنما نتت من قلوبهن حال سؤالي لهن عن صعوبة

1 - دانيال كريبتدن، ما لم نقله لنا أمهاتنا، الولايات المتحدة ER SIMON and SCHUS 1999 ص 24.

العمل والإرهاق الذي يقاسينه في حياتهن! ومهما اشتكين من ضغط العمل، وتقن لمن يتحمل عنهن مسؤولياتهن الكثيرة فلن يستطعن التخلي عنه، فهن مجبرات على تحمل تلك الضغوطات كلها، فراتب واحد لا يكفي وعمل الأم أصبح ضرورة الآن أكثر من ذي قبل.

تقول سوزان: وظيفتي بالتأكيد تأخذ من وقتي كثيراً وأكون خارج المنزل معظم الوقت. أعتقد أن الدولة في الغالب لا تدعم العائلة التي يعمل أفرادها، وأشعر أنني كنت محظوظة عندما كنت أمّاً صغيرة كان لدي الوقت لأقضيه مع أطفالي، حيث لم أكن أعمل طوال اليوم مثل الآن، وكان معظم وقتي لبيتي، لكن أغلب النساء يحتجن للعمل طوال الوقت لإطعام عائلاتهن!! أحياناً أشعر بالغضب لأن هذا البلد (أمريكة) بلد غني فلماذا لا توجد طريقة لأن تستطيع العائلة العيش براتب فرد واحد من العائلة، ولماذا لا نعطي الدعم الكافي للعائلة التي يضطر أفرادها للعمل جميعهم؟! هذا الشيء الذي أريد أن يتغير في هذا البلد نريد أن ندعم الناس والعائلات أكثر.

إذاً راتب واحد لا يكفي للعائلة؟ فهي أم وزوجة، لكن لا بد أن تعمل أو قد تكون إحداهن أمّاً لأطفال تخلق عنهم والدهم، أو غير متزوجة، وتعيّل نفسها أو تعمل لتدفع نفقات دراستها، أو حتى عجوزاً تخلق عنها أبناؤها! وأصبحت المرأة وقد اعتادت هذا اللاهث تماماً، فهي ملزمة بالكثير حتى وإن كانت تعيش لوحدها بلا أسرة، حيث متطلبات الحياة الغالية، والفواتير والأقساط التي لا تنتهي من حياتهم إلا بموتهم.

تقول (آنا) : عندما كان أولادي صغيراً، وحين ينتهي عملي كنت أركض للبيت لأطعمهم وأهتم بهم، وأنا أشعر أنني مقصورة في حقهم، بينما أرى بعض النساء لا يفعلن مثلي كنت أتساءل ما هو شعورهم، وهن يفعلن ذلك تجاه أطفالهن؟ لكنهن يشعرن بالارتياح حتى وإن كان خطأ مما يعني أن هذا ليس سلبياً، لأنها مشكلة الحرية أن ترتاح لما تفعله، وتختار الذي تعتقد أنه الصح، ولا تشعر بالذنب طوال الوقت وأحياناً تشعر أن لديك حرية، لكن لا تدري ماذا تفعل بها؟ بعض النساء منعزلات ولا يتحدثن مع صديقاتهن ولا تدري كيف تتخذن القرار السليم.

وما أكثر شكواهن عموماً وبقوة أيضاً فتسمع من تقول: نعم نحن مضغوطات، بل مطحونات في هذا المجتمع، ونتمنى الجلوس في البيت، لكننا لا نستطيع. ومهما حاولن إيهام أنفسهن بالرضا تفضحن ملامحهن الذابلة وأحاديثهن العفوية، كتلك العاملة في أحد مطاعم الأسواق الكبيرة خرجت لدقائق رفقة زميلتها لتشعلا سيجارتيهما، أجابتي حين سألتها عن عملها: بكل تأكيد أنا سعيدة في عملي لأنني أنفق على أسرتي، ثم قالت: أنا في الخمسين وأماثل زميلتي في الفرص وهي في العشرين!! ثم استأذنت في العودة إلى عملها، ولوّحت بيدها في الهواء إشارة إلى الضرب من رؤسائها إن هي تأخرت، قلت لها هل رأيت؟؟ فأطلقت وزميلتها ضحكة مجلجلة عليها سمة الاعتراف الحقيقي!!!

* وتقول (ليندا هولدن): المرأة الأمريكية تحرص على العمل لاعتقادها أنها ليست امرأة جيدة مثل بقية النساء إذا لم تعمل، وهذا خطأ بالطبع، فالأطفال أيضاً يحتاجون لأمهاتهم.

* تقول (ميجان) وهي شابة أمريكية صغيرة تعدّ حفيدة لأجيال النساء المطالبات بالحرية: المشكلة المعقدة في المجتمع.. هو أنك لو تركت عملك لمدة سنوات قلائل.. أصبح من الصعب أن تجدي عملاً مناسباً مجدداً، كثير من الغربيين يعتقدون أن المرأة التي تجلس في بيتها لرعاية أطفالها كسولة.. ولهذا فهم لا يريدون إعطاءها فرصة للعمل وأما المتعصبين للمرأة.. يعتقدون أنهم ساووا المرأة بالرجل.. لكنهم لم ينجحوا بذلك.. قبل حركة مساواة المرأة بالرجل.. كانت المرأة تقوم بأعمال تستطيع القيام بها ومألوفة.. بعد هذه الحركة.. أصبحوا ينتظرون منها أن تقوم كذلك بأعمال الرجل.. ولهذا أصبحت المرأة منهكة.. ومتعبة.. المرأة لم تَلَّ الحرية التي يعتقدون أنهم حققوها؛ الحرية للمرأة هي أن تقوم بما تود القيام به.. وما تعتقد أنه ذو أهمية لديها.. هذا يعني أنه إن كان لدى المرأة طفل فمن حقها أن تجلس في بيتها لترعاه، إلى أن يصل إلى ست سنوات.. من حقها أن تنال مالاً من الحكومة فتعيش هي وأسرته حياة طيبة، وتتجنب الفقر أو اليأس.. وعندما يكبر أطفالها.. إن أرادت العمل مرة أخرى فليحترموها وليتيحوا لها الفرصة لذلك.. الناس اليوم لا يحترمون المرأة بالشكل الكافي، ولا ما تقوم المرأة به.. تعتقد هذه الحركة أنها أتت للمرأة بالاحترام.. لكن نتيجة حركة المرأة ومساواتها بالرجل.. هي أنهم باتوا لا يحترمون تقاليد المرأة والقوانين الخاصة بها كما كانوا يفعلون في السابق..

* تقول (ميري) (معلمة): إذا كان الأهل يعملون ويجمعون المال فهذا سيؤثر في الأطفال، وأحياناً العائلة نفسها، وإذا كانت حياة المرأة كلها قيود فستصاب بالإحباط ويؤثر على الأطفال لأنها لن تكون أمّاً سعيدة.

كما أن مفهوم: لتحصلي على المال عليك أن تعلمي مع ما يتبعه من رفاهية وحب الاستقلال. تقول أمريكية: هنا في أمريكا لتحصلي على المال عليك أن تعلمي، زوجة أخي أتت من بلد اعتادوا فيه على أن تجلس المرأة في بيتها وتهتم بالزوج والأطفال والبيت، ولكن عندما جاءت إلى أمريكية رغبت في العمل لتشعر بأنها مهمة! خارج نطاق البيت لكنها لم تكن تحب أن تقضي وقتها خارج البيت، فلم يعد لديها الوقت الكافي لتهتم بأطفالها وبيتها وأصبحت الآن متعبة جداً وليس لديها الوقت الكافي لترعى بيتها وأطفالها، ولكن الاهتمام بالزوج والأولاد ليس كافياً ليشعرونك أنك حالة خاصة! أخي (زوجها) يقول الآن: زوجتي أصبحت أمريكية وهو لا يحب ذلك؟

فهو يقول: لم تعد تعتنيني بي، ولم تعد تشعرني بالحب والاهتمام، ولا تطبخ أو تهتم بالبيت لكنها أصبحت مشوقة للحديث معها!!، وتتابع بأسى من الصعب حين تخرجين من البيت أن تسمعي توسلات صفارك لتجلسي معهم!! لكنك تذهبين وأنت تشعرين بكثير من الألم، هذا يحدث طبعاً عندما تكون الأم منشغلة ولا ترعى أطفالها.

تقول (إيلين أزمه): (أعمل في ثلاث وظائف في الأسبوع!! لقد تعبت كثيراً وأهملت بيتي وأطفالي، فحالياً نقسم الوقت زوجي وأنا لأطفالنا

في الليل خاصة، فحين يكون لديه عمل ليلاً أكون معهم، والعكس كذلك والآن أحاول التخلي عن أحدها.

إذاً هي كالرجل تماماً لذلك أرهقت كثيراً بهذه المساواة، حتى إنها تعمل ما يفوق طاقتها العضلية وصبرها الغض.. تحمل الأثقال كالرجل تماماً!! تحمل السلاح وتلتحق بالجيش بكل ما فيه من أخطار وويلات بعد أن قاتلت من أجل الالتحاق بصفوفه، تحصد الحشائش وتقتلع الأشواك!! تبني وتدق المسامير في نعش راحتها وسعادتها!! أراها مبعثرة الشعر مفتولة العضلات تحتضن مقود شاحنة تسلك بها طرقاً موحشة ليلاً ونهاراً.. أراها شرطية تطارد المجرمين وتقتفي مخاطرهم.. أراها بائعة في محطات الوقود تسهر الليل كله في وحشة وخوف، حيث يتأهب اللصوص لغفلة الأمن وقد تصبح جثة في أي لحظة.. وهي أيضاً سائقة في سيارات الأجرة، وعاملة في المطاعم والنوادي الليلية، وحارسة في مختلف المباني، وتعمل في السباكة وغيرها من الأعمال التي تختص في بلادنا بالرجال فقط!، وهي عاملة وسط الطرقات الطويلة وفي أنصاف الليالي لتحصل ضرائب الطريق!! وسائر الأعمال التي تتطلب جهداً ذكورياً خاصاً تجدها بارزة لا ينقصها عنه شيء.

وهي تعمل ساعات طويلة وربما النهار كله -وخصوصاً في أوقات الشتاء- ولا تعود لبيتها إلا ليلاً!! وبالكاد تستعد ليوم جديد، تقول إحداهن: إنها تعمل منذ الساعة السابعة صباحاً وإلى الخامسة (في بعض الولايات والدول الغربية يكون الشتاء معظم شهور العام ومن ثم يقصر النهار كثيراً فالسابعة مثلاً لم تشرق الشمس بعد في حين أن الخامسة

يكون بعد المغرب) هذا إذا استطاعت الوصول لبيتها بعيد المغرب أمام الزحام الخانق ساعة الذروة، والمسافة الطويلة التي تقطعها بين بيتها ومقر عملها تصل لأميال عديدة، قد تصل لساعة وأكثر؛ نظراً لغلاء البيوت في مناطق العمل التجارية. بالفعل هو لهات ومكابدة حد الشقاء، أراهن لاهئات منذ الفجر وإلى مغيب الشمس، كل واحدة عليها أن تعمل لتعيش! أمام إشارة الطريق تشرب قهوتها وتضع زينتها، بل وكثيراً ما رأيتها تتناول طعامها! تركض في سباق أنك أنوثتها، وأقلق ضعفها ووهنها، فهي تريد أن تكون شيئاً مهماً في وظيفتها وهما الأكبر الحصول على ترفيات توصلها لمكانة الريادة والمناصب القيادية، وكيف تضمن مستقبلها الوظيفي، هذا الهم الأكبر لديها الذي أقلق حياتها كلها.

كما أراها تبدأ العمل في سن صغيرة، وتدفعها أسرته لذلك لتفي متطلباتها، لهذا نراها صغيرات يعملن بعد انتهاء اليوم الدراسي (الطويل والشاق) مع تخفيض أجور ساعات العمل للطلاب عادة حتى لا يكتفوا بالعمل دون الدراسة. تقول إحدى الأمهات: بالرغم من أنها غنية فيما يبدو جعلت ابنتي منذ أن كانت في الرابعة عشرة من عمرها تعمل في مطعم شقيقي حتى تقدر المال، والآن هي في السادسة عشرة وتعمل نادلة ليس في مطعم واحد، بل في مطعمين!

تحدث (وفاء) عن زميلتها في المدرسة ذات الستة عشر عاماً تقريباً بشيء من الأسى، فهي متفوقة في دراستها، لكنها فجأة أصيبت بالمرض والوهن وعدم القدرة على التركيز، بل عدم القدرة على مواصلة الدراسة، فهي كانت تضطر للعمل بعد خروجها عصاراً من المدرسة

وحتى المساء؛ لتساعد والدتها التي تسكن معها، وقد أدمنت الحبوب المنبهة لتحارب النوم، وتتمكن من إنهاء أعمالها وواجباتها المدرسية، تقول (وفاء): كانت نشيطة جداً وتنجز أعمالاً أكبر من طاقتها. وتقول (إيلينا): (إن ارتفاع تكاليف التعليم قد تحرم الفتاة من إتمام تعليمها الجامعي بالإضافة إلى الضغوط من الأهل حين يحملون أولادهم ما لا يطيقون في الدراسة والتوقعات منهم، أو يكون الأهل غير متعلمين، فحتى تتم الفتاة تعليمها قد تلجأ للقرض، برغم أن الناس يخافون القروض، بالنسبة لي اضطررت لذلك، فحين كنت في المدرسة وفي طريقي للكلية انفصل والداي، ففقدت كل أموال الكلية فاضطررت لأعمل عمليين وأحياناً ثلاثة أعمال، وأدفع من بطاقة الائتمان، لكنني بالنهاية اضطررت لاقتراض أكثر من خمسين ألف دولار لأنتهي من فصلين دراسيين فقط!! وهذا يعدّ عادياً مقابل ما فعله أحد الذين أعرفهم حين اقترض مئة ألف دولار، وهكذا لا بد أن أحصل على راتب كبير وهذا مؤذٍ طبعاً.

وبالطبع لا بد من سداد المبلغ بعد العمل، وحتى تستطيع العيش جيداً لا بد من راتب كبير يغطي القروض ومتطلبات الحياة.

وفي المقابل تواصل العمل في كبرها وبعد تقاعدها من عملها الأصلي فنرى عجائز قد انحنت ظهورهن وبالكاد تستطيع الواحدة منهن الوقوف على قدميها، تعمل في مهن بسيطة كأن تبسّم للمتسوقين الداخلين أو الخارجين لمراكز التسوق وتحييهم.. بالرغم من اهتمامها طوال حياتها براتبها التقاعدي، وكذا اهتمام دولتهم بهن، ولكن متطلبات الحياة

والأقساط الكثيرة والمتراكمة والربوية في حياتها السابقة ربما مذ كانت شابة، ترغمها على العمل في الكبر، وليس هذا بمستغرب، فكل حياتهم وشؤونهم تعتمد على التقسيط، وخصوصاً أمام فرط الشراء والتسوق الذي يعدّ معاناة اجتماعية، ليس للمرأة فحسب، أمام صيحات الموضة والتجديد المستمر فيها ومتطلبات العيش والرفاهية. ومن المسيء حقاً والمهين للمرأة الغربية، ولا يعكس التقدم والحرية والرفاهية للمجتمع الغربي الذي يتغنون به، هو ما رأيته من امتهان المرأة لأعمال تهدر كرامتها وتذلها، فقد رأيت فتيات يرقصن في الشوارع على أنغام الموسيقى ليحصلن على المال، وليس سرّاً أن نسمع عن فتيات يدرسن في الجامعة، ويعملن في نواد ليلية يدرن الخمر على الموائد وربما عملن ما هو أكثر حقارة ودناءة؛ ليسدن أقساط الجامعة فالأهل غير ملزمين بتأتمن بدفع تلك الأقساط. عليها أن تتدبر أمرها بالطريقة التي تراها وتناسبها، وإن رغبت في النصح كان لها ذلك فقط فالفتاة كالفتى تماماً.

ومنهن من تضطر لعمل آخر بعد انتهاء عملها الأصلي حتى وإن كان لا يناسب مؤهلاتها ومركزها، فتجدها تعمل بائعة في أحد المحلات، أو حارسة، أو نادلة في مطعم، أو حتى جليسة أطفال، وقد تعمل أيام الأسبوع كلها بما فيها السبت والأحد (إجازتهم الأسبوعية) لتفي بمتطلبات عملها، وخصوصاً حين يكون حراً، مثل صاحبة المنزل الذي أسكن فيه تقول، وهي مرهقة غاية الإرهاق: أعمل أيام الأسبوع كلها. بالرغم من أن لها أكثر من بيت تؤجره، وزوجها يعمل ولديه راتب تقاعدي أيضاً، وكل بناتها مستقلات ويعملن حتى الصغيرة! حكّت لي الأخت (رنا) عن

فتاة في عمر الزهور (21) تعيش لوحدها في شقة، ولا تجد الوقت الكافي لزيارة والدتها ولا صديقاتها، فهي تعاني ضغطاً شديداً في العمل على وقتين، فهي تعمل صباحاً في رياض الأطفال، وبعد انتهاء عملها تذهب لعمل آخر في إحدى المحلات وتعود في المساء لشقتها وحيدة وحزينة، ومنهكة، ومتعبة!! المدهش حين سألتها محدثتي وهي تصف كل هذا الألم والتعب الذي تعانيه: لم تجهدين نفسك في العمل؟؟.

فأجابت: ومن أين سأعيش؟ وكيف سأستمتع بالسفر والرحلات فأنا أدخر المال لهذا الغرض؟؟ إجابة غريبة فهي تحرق شبابها في العمل طيلة أيام العام لأجل بضعة أيام فقط تقضيها في متعة السفر!!

والمرأة هي التي أقحمت نفسها في هذا العمل الشاق (العسكرية بأنواعها)، فقد كان يقتصر على الرجال فقط كونه لا يتناسب وقدرات المرأة، لكنها أثبتت إلا أن تقتحم أعمال الرجال كلها، وحين قُبِلَتْ ووُضعت في الصفوف الخلفية طالبت بوضعها في الصفوف الأمامية كالرجل تماماً! وسعت للحصول على الرتب العالية (وبرغم أن عدد النساء اللاتي يخدمن في القوات المسلحة الأمريكية ما زال ضئيلاً نسبياً، إلا أنه أخذ في التزايد ففي العام 2005 كانت هناك نحو (203 آلاف) أمريكية في الخدمة الفعلية، يشكلن 15% من مجموع عدد القوات المسلحة الأمريكية، وكان نحو 35 ألفاً منهن من الضباط)¹.

1- نشرة واشنطن تصدر نشرة واشنطن عن مكتب برامج الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأمريكية، 15 آذار/ مارس 2007.

بالتأكيد كل هذا حتى تتساوى بالرجل؛ هذه المساواة هي المنغصة كثيراً الآن في حياة المرأة، فقد أخلت بموازين المجتمع، وبطبيعة المرأة الجسدية وعدم قدرتها على احتمال كثير من المشقة، ولكن هل الرجل يعنيه ذلك؟ يرون بكل بساطة أنها تأخذ راتباً مثلهم وعليها أن تتحمل مثلهم، ولا يعنيه، بل يتأفف من مساعدتها فيما ينهك قواها! والرجال عموماً لا يرحبون بمشاركة المرأة لهم في أعمالهم، فهي لا يُعتمدُ عليها سواء من الناحية البدنية أو العاطفية!

حدث في شيكاغو ما عدّ فضيحة ويدل كثيراً على أن المرأة ضعيفة تكذب نفسها ومن وثق بها! فقد كانت الشرطة في مهمة خطيرة للقبض على أحد المجرمين، وحين طلبوا تعزيزاً لعناصرهم جاءتهم شرطيتان، وما إن بدأ المجرم في رمي الرصاص حتى ولّتا هاربتين وصورتهما كاميرات الشرطة، فُصِلَت الشرطيتان طبعاً عقاباً لأي فرد يتخلى عن مسؤوليته، لكنهم لم يعترفوا بضعف المرأة عموماً، بل جعلوه خطأ فردياً بحثاً وقرروا تدريس الحادثة في كليات الشرطة!

وبرغم هذه التضحيات كلها، فالرجل لا يرحب بقيادة المرأة له، وخصوصاً في الشركات الكبرى، وما زال الشعور بانتقاص أدوارهن والتقليل من شأنهن مقلقاً لهن! وما زال بعض منهن يثابرن للحصول على مناصب رفيعة في الشركات العريقة، والتي كانت إلى عهد قريب تمنع من الحصول عليها لمجرد أنها امرأة لفقدان الثقة في قدراتهن، وكذا لأن المرأة تشغل أكثر بهم البيت والأسرة والحمل والولادة والإجازات مما يؤثر على سير العمل. تقول (باتريشا): لقد عملت النساء كالرجال

من أجل الحرية وتقدم من تدريجياً ولكن بنسبة ضئيلة كنت أشتغل في شركة، ووصل بعضهم لمواقع جيدة في الوظائف، فواحدة منهن وصلت لمنصب نائبة الرئيس، ولكن كان لديها القدرة لتحضر مربية لأطفالها في المنزل، أما الأخريات فقد ضحين بأطفالهن بوضعهم في الحضانات وهن قلقات عليهم، ويتأكدن أنهم بخير دوماً.

والمدهش أن نسبة الحاصلات على درجات علمية عالية أقل بكثير من نسبة الرجال! هذا ما أكدته لي (أمينة) (مسلمة عربية) عملت محاضرة في إحدى الجامعات الأمريكية - ولعلنا نتذكر برغم تاريخ أمريكة الطويل إلى الآن لم تتول رئاستها امرأة! وإن حدث، فيبدو قد تأخر كثيراً أمام نشوة الوصول التي تفاخر بها الحضارة الأمريكية بالنسبة للمرأة. وربما منذ الصغر لا تميل الفتاة للمواد العلمية مثل الفتي، تؤكد ذلك (إلينا) (معلمة) قائلة: منذ المرحلة المتوسطة لا نجد ميلاً للطالبات للمواد العلمية (العلوم والرياضيات) وتحتاج للدفع كي تدرسها، وكذا الحال في الجامعات!

وإلى الآن لم تماثل الرجل في الراتب تماماً في بعض الأعمال تقول (إمبر) (21 عاماً): المرأة هنا لا بد أن تكون أعلى درجة تعليمية من الرجل حتى تستطيع أن تحصل على عمله نفسه! (وهو أقل درجة منها)، وإذا كانت المرأة سوداء سيكون ذلك أكثر مشقة عليها! ((إمبر) أمريكية من أصول إفريقية) (لقد حققت الأميركيات مكاسب مهمة في كفاحهن من أجل مساواة الفرص في المجالين الاقتصادي والسياسي للأمة، إلا أنه لا تزال هناك مشكلات يتعين التغلب عليها.

على سبيل المثال، أفادت مصلحة تعداد السكان أنه في العام 2005 شكّلت النساء ممن تجاوزت أعمارهن سنّ 16 نسبة 59 في المئة من قوة العمل، لكن في المتوسط بلغ أجرهن 77 سنتاً مقابل كل دولار من أجور الذكور الأمريكيين. وقد يعزى السبب في ذلك جزئياً إلى أن النساء واصلن التحلّق حول مهن ووظائف ذات أجور متدنية، هذا استناداً إلى أحدث معطيات تتوافر لدى مصلحة تعداد السكان¹.

والتمييز أيضاً في الترقّيات وطبيعة العمل، فالثقة في الرجل دوماً، وقدرته على التحمل هي الفيصل في هذا الأمر! تقول (إيلينا أزيمة): (جئت في جيل مساواة الرجل بالمرأة ولا أشعر بالدونية أمام الرجل في العمل، وخصوصاً إذا كان رئيسي في العمل، ولكن ما زالت الفرص محددة أمام المرأة لتصبح رئيسة في العمل!! وتتابع: إن فرص العمل المتاحة حالياً للمرأة أقل من الرجل والراتب كذلك، فمثلاً كنت أعمل في إلينوي حيث تأخذ المرأة 81 سنتاً مقابل دولار واحد للرجل!! وفي أماكن كثيرة أيضاً، وفي شركة الحلوى التي عملت بها، كنت موظفة مع كثير من الرجال نعمل العمل ذاته. محللين ماليين، وبالرغم من أنني أحمل الماجستير كنت أ تساوى في الراتب مع موظفين يحملون شهادة البكالوريوس!!).

(في الواقع نحن النساء لا نزال نعاني من مشكلة في الغرب، حيث الرجال يظنون أنهم هم المتفوقون، وهذا ينعكس على نظام الترقّيات

1- نشرة واشنطن، -15 مارس- 2007، مكتب الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأمريكية.

وقيمة الرواتب من عاملات النظافة واللاتي يحرزن تقدماً نحو مجلس الإدارة أيضاً¹.

وتقول (فادين): عندما كنت مراهقة كان أخي يستطيع الحصول على العمل بسهولة، وأنا لا أستطيع، ربما تغير الحال الآن، لكن ما زالت النساء يأخذن راتباً أقل من الرجال؛ لأننا لا نعمل مثلهم. فلا أحد مثلاً سيوظف نساء لجزء العشب.

ولا عجب بعد كل هذه المعاناة أن تظهر أصوات عاقلة تحث النساء على العودة إلى بيوتهن، والاستمتاع بتربية أطفالهن، فهذه مقدمة برامج ألمانية، ومن أشهر الوجوه الإعلامية هناك تُولف كتاباً بهذا الخصوص، (أثارت (إيفا هيرمان) إحدى الشخصيات التلفزيونية الشهيرة في ألمانيا جدلاً قومياً واسع النطاق بتناولها دور المرأة في كتاب بعنوان (مبدأ حواء.. من أجل أنوثة جديدة)، وذلك بتأكيد أنها ينبغي للسيدات أن يكن مسرورات بكونهن أمهات، وربات منازل مقيمات في بيوتهن².

لهذا فمنهن من بدأن يشعرن بأهمية الجلوس في البيت ورعاية الأسرة والأطفال، وليس سراً أن البقاء في المنزل حلم يصعب تحقيقه تقول (ميري) حين سألتها: نعم أتمنى البقاء في المنزل بجانب أطفالي لكنني مجبرة على العمل من أجلهم، إنه من الصعب جداً أن تكون الأم

1- الكاتبة الإنجليزية إيفون ردلي، كيف أصبحت أحب الحجاب، الثلاثاء -31- أكتوبر

www.yvonneidley.org 2006

2- موقع قناة الجزيرة net.aljazeera.

وحدها هي المسؤولة عن تربية الأطفال دون الزوج. إذ إن تخلي الأب عن أطفاله شيء سائد كثيراً عندهم سواء كان أباً شرعياً أو لا، ولعل من المفاجئ أن نسمع من يتمنين الزواج بالرجل العربي؛ لأنه يحافظ على زوجته ويفضل جلوسها في المنزل، وهذه الأمنية على لسان بعض الممرضات والطبيبات والمريضات أيضاً في مستشفى يعمل فيه زوج الأخت رنا.

وتعترف أمريكية برغبتها في الجلوس في البيت -ومثلها كثيرات- فتقول: على الرغم من أهمية العمل في الاستقلالية وعدم الاعتماد على أحد، لكنني أتمنى الجلوس في البيت، فلا أريد أن أصبح رجلاً!! ومثلها كثيرات. ومن الحالات النادرة التي قابلتها أثناء سنوات إقامتي هناك جارة لي في المسكن، تحدثت عن سعادتها بجلوسها في المنزل وتركها للعمل منذ اثني عشر عاماً بعد حملها بطفلتها الأولى (لديها ثلاثة أطفال) تقول: أنا سعيدة بجلوسي في المنزل والانشغال فيه، ألبس ملابس بسيطة وأظل أعمل في منزلي ويسعدني أن أستقبل أطفالتي حين عودتهم من المدرسة، ولكن هيهات لهن الآن ومعظم النساء عاملات، وكأنني باقتصادهن سيتأثر لو جلست ربع النساء العاملات في البيت،

وبالطبع فإن البحث عن الترقى في الوظيفة..، والتميز فيها وجعلها هي الهدف الرئيس في حياة المرأة جعلها تؤخر الإنجاب أو لا تفكر فيه أصلاً، وبالطبع على حساب حياتها الأسرية، فمثلاً حتى تكمل دراستها الجامعية لا بد لها من سنوات عدة، فهي تعمل لتستطيع تسديد أقساط الجامعة، وفي كثير من الأحيان تبدأ حياتها الوظيفية الحقيقية في

الخامسة والعشرين من عمرها، وحتى تصل إلى مكانه مرموقة أو تحصل على ترقيات جيدة تتمسك بعملها، وتهدم معظم حياتها له، فلا تحرص على الإجازات مثلاً وتؤجل كل ما يشغلها عنه، وخصوصاً إنجاب الأطفال -هذا إذا لم تنجب في مراهقتها- وربما أفنت أكثر من عشر سنوات أو خمسة عشر عاماً لتحصل على هدفها وحلم حياتها في مركز مرموق محترم اجتماعياً.. مما يعني وصولها إلى عمر يجعل من أمل الإنجاب لأول مرة في حياتها خطراً عليها حسب رأي الأطباء، أو يضعف فرصها في الإنجاب.

(بعض النساء اللاتي يتبوأن مناصب سامية يجدن أنهن قد تخلين عن عائلتهن. وقد وجدت (سيلفيا آن هيوليت)، وهي اقتصادية وواضعة مؤلفات عدة عن النساء المهنيات، أن نسبة 42 في المئة من النساء في مناصب عالية في كبريات الشركات لم ينجبن أطفالاً بحلول سن الأربعين، ونسبة 14 في المئة منهن فقط ينوين الإنجاب)¹.

وربما تعمل المرأة في بيتها أعمالاً تجارية تخصصها ولكن! تقول سيليسيا: المرأة الأمريكية تكافح لتعمل أشياء كثيرة في آن معاً، بعض النساء يعملن في المنزل أعمالاً خاصة بهن، وبعضهن محترفات، ولكن أولادهن في البيت يزيدون ضغط العمل لديهن، فهم بين العمل والاهتمام بالأطفال كثرة الضغوط تتسبب في الأمراض الخطيرة التي قد تبدأ بأمراض بسيطة، ثم تتحول لخطرة لم تكن نسمع من قبل عن كثرة المصابين بالسرطان مثلاً، الآن كثير من الناس يموتون بهذا المرض وتضيف:

1- نشرة واشنطن، -15 مارس- 2007، مكتب الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأمريكية.

وهناك ضريبة لجلوسها في البيت حتى وإن عملت نصف اليوم مثلاً فقد تفقد فرصاً أكبر أمام المستمرات في العمل حينما تريد العودة للعمل تقول (إيلينا): (عندما كنت عازبة كان العمل يأخذ من وقتي كثيراً، وأسافر كثيراً وأعمل أياماً كثيرة، ولكن عندما تزوجت وحملت اخترت ألا أعمل كثيراً، فقلصت ساعات العمل، بحيث أعمل جزءاً من العمل فقط لأجلس مع أطفالي كانوا يقولون إنني أخذت طريقة أُمي!! وكنت متأكدة أنهم عندما يكبرون سأعود للعمل بالطريقة السابقة، لكن بكثير من الحزن!! فمهاراتي بالطبع ستقل كما أن عالم الأعمال سيفضل العاملين الشباب، وخصوصاً الذين ليس لديهم أطفال!! لذلك أشعر أنه يجب عليك أن تبقي في العمل وتتعامل مع مراكز العناية بالأطفال مع شعورك بالذنب؛ لأنك لم تجلسي مع أطفالك، أو تبحتي عن عمل مرّن في الجدول وبأجر قليل!! ولكن في أمريكا نحتاج لمصدرين للدخل حتى نربي أطفالنا فعندما تتعود على حياة معينة من الصعب أن تغيرها!)

وتقول (بيكي): من المشكلات التي قد تحدث جراء الحرية بالرغم من أنها نظرية جيدة لكن ما حدث بعد الحرية في هذه الثقافة هو أن المرأة أصبحت تشتغل بأعمال مختلفة، وترشح للحكومة مثلاً، ولكن المرأة ما زال يُتوقع منها أن تهتم بالعائلة والبيت والأطفال حسب الأنظمة القديمة.

وبعض النساء يتعرضن لمشكلات كثيرة جداً حين تهتم بالبيت والعمل معاً، وهذا يسبب لها الكآبة فهي بين الأنظمة القديمة والحديثة، وهذا يعدّ كثيراً جداً على الشخص أن يفعلهما سوية.

جيد أن تعمل المرأة ما تريده وما يعود عليها بالفائدة، لكننا نحتاج لتغيير عادات الرجل أيضاً، ليشترك في أعمال البيت والاهتمام بالأطفال!!

ومن الغريب أن يعتقد بعضهم أن المرأة في عملها تتمتع بحمايتها كونها أنثى!! بالتأكيد هناك كثير من المضايقات والتحرشات، وربما في أماكن لا نتصور أن يحدث فيها ذلك، فهذه ممرضة أمريكية تحدثت لجارتها المسلمة عن اعتداء يحدث لها حتى من المرضى!! (تتعرض المرأة للتحرش الجنسي طوال حياتها. وقد أبلغت نسبة تتراوح بين 40 إلى 50 في المئة من النساء في الاتحاد الأوروبي عن تعرضهن لبعض أشكال التحرش الجنسي في مكان العمل)¹.

ولا شك أن جانب الاختلاط (بين النساء والرجال) حاضراً بقوة في العمل وغيره، لكنه في العمل يكاد يكون مطلقاً ولا أظن أن هناك أعمالاً خاصة بالمرأة بلا رجال تماماً والعكس أيضاً صحيح!! وله تأثيره الذي لا يخفى في العلاقات والخianات والطلاق! ومساوئها ولا تخفى على ذي لب.

تقول (سوزان): لا يوجد أماكن في الأعمال تكون خاصة بالرجل فقط أو المرأة فقط، أغلبها أعمال من الممكن شغلها من الجنسين، ولكن بعض الأوقات نحتاج لتذكّر أن الرجل يظل رجلاً والمرأة تظل امرأة، وينبغي ألا نرغم الرجال والنساء على الاختلاط إذا رفضوه، وينبغي ألا نجبر المرأة على أن تعمل عمل الرجل إذا كانت لا ترغب في ذلك، والعكس أيضاً فلا نرغم الرجل ليعمل عمل المرأة إذا كان لا يشعر بالراحة تجاه ذلك العمل..

1- موقع الأمم المتحدة www.un.org.

إن ما يميز أمريكا كثرة الاختيارات ولكن حين تكثر الاختيارات لا تدري ماذا تختار.

وماذا عن مساعدة الرجل الغربي لزوجته داخل المنزل التي يتغنى بها بعضهم؟ هل هي حقيقة دوماً كما يعتقد؟ تقول إيلينا:

زوجي يساعدني، لكن ليس بالقدر الذي أريده، نتقاسم العمل، فهو يشتري مثلاً الأغراض أو يطبخ، وأنا أقوم بالتنظيف ربما أنا محظوظة، لكنني أعرف كثيراً من الصديقات لا يساعدن أزواجهن.. لهذا فالمرأة تعيش ضغطاً كبيراً، فهي لا بد أن تعمل خارج البيت، ولا بد أن تهتم بالأطفال، وخصوصاً أنا حين أعود من عملي أساعد أطفالي في واجباتهم المدرسية، وأحضر لعملي (تعمل معلمة) وهذا يستغرق وقتاً طويلاً من اليوم، أعتقد أننا بحاجة لكثير من الإجازات. تقول (إمبر): إن حقيقة ما يجري الآن أننا يجب أن نساعد أنفسنا، فلا أحد يساعدنا كما أن الرجال لا يتعاونون معنا حتى في البيت.

تقول (باتريشا): أشق شيء على ابنتي العمل، ومن ثم العمل في البيت، فالزوج مهما تعاون لا يتعاون معها كما يجب، ولا يؤدي كل ما يحتاجه الأطفال، فبعض المتطلبات خاصة بالأم وحدها أو هكذا يرون، فزوج ابنتي حين يخرج مبكراً من العمل يشتري لهم طعاماً بدل أن يطبخ لهم، ويراقبهم وهم يشاهدون التلفاز فقط! اضطرت ابنتي لإحضار مربية بالرغم من راتبها المرتفع الذي يفوق طاقتهم المالية، ولكن ابنهم كان كثيراً ما يمرض في الحضانة، ويقضون أوقاتاً في الإسعاف فمناعته لم تكن جيدة.

تقول (ديانا): نحن محظوظات بالنسبة للنساء في بعض الدول، حيث يعانين من القسوة في المعاملة، ونحن لدينا قوانين في صف المرأة ولكن علينا أن ندفع ضريبة ذلك، فنحن دوماً منشغلات والرجال لا يشاركون في الأعمال المنزلية كما يجب، فهم فقط يشاركون بما نسبته 30% إلى 40% طبعاً يدخل في هذه النسبة التبضع للمنزل وللعائلة وورعاية الحداثق المنزلية التي ينفقون لأجلها كثيراً من أوقاتهم.

(راب) تحدثت بصراحة فقالت: لدي إمام بالتاريخ وقد تعلمت شيئاً مشوقاً بالنسبة لي، فالمفترض بالرجال أن يعطوا المرأة بعض الصلاحيات بأن تقوم بأعمال الرجل إذا غاب (كما حدث في الماضي)، فإذا ما عاد الرجل للبيت واحتاج للعمل، تعود المرأة للمنزل وتترك العمل للرجل، لكن الناس لم يتفهموا هذا الشيء، فقوانين المرأة كلها منسوبة للرجل، لقد تغيرت قليلاً، ولكن ليس هناك ثقة في المرأة حتى من المرأة نفسها، ففي سباق الترشيح للحزب الديمقراطي للخوض في منافسات الترشيح لرئاسة أمريكا (عام 2008) لم يتقبل الناس المرشحة (هيلاري كلينتون) رئيسةً للولايات المتحدة، بالرغم من أنني أحببتها، فهي تعبر عن نفسها بثقة وتعبر بالطريقة التي أريدها حيث تخاطبني كوني شخصاً، لكن الناس يتكلمون ضدها لأنها تتصرف كرجل، ولكن حين تتصرف كامرأة كأن تبكي في موقف ما أو تضحك، يقولون: إنها ضعيفة لأنها امرأة!! لذلك لا يمكنها أن تفوز*.

* وهذا ما حدث فعلاً!.

ولا تعجبي من قول من عاشت قرابة الثلاثين عاماً في أمريكا: أشعر كثيراً أن الأمريكية مضطهدة، ولم تأخذ حقها كونها امرأة، بل إننا نحن العربيات المسلمات قد أخذنا حقوقنا وحریتنا أكثر منهم!! فرجالنا غير رجالهم!! رجالنا يقومون على شؤون نسائهم جميعها ويحرصون عليهن، أما رجالهن فحتى أزواجهن وأباؤهن غير مسؤولين عنهن ليس المال فقط، بل وحتى في الأخلاق!! وختمت مقولتها الخبيرة والمدهشة بأنها لا تراهن سعيادات مطلقاً، فقط هن اعتدن على حياة المكابدة واللهات في هذه البلاد بلاد العجب!

وللمهاجرات نصيب أكبر من المعاناة

(لوذي) مثلاً تتمنى بعد سنتين من الإقامة في أمريكا وحدها أن تعود لوطنها (كولومبية)، وغيرها كثيرات يرين الحياة صعبة جداً، وخصوصاً في العمل المرهق وارتفاع تكاليف المعيشة كانت تعمل في مصنع لصناعة المجوهرات، لكن فقر الناس هناك أدى لتضاؤل الطلب على المجوهرات.

وجاءت لأمريكة بعد طلاقها من زوجها، وهي الآن تعيش مع عائلة، وتستأجر غرفة فقط، تدرس اللغة الإنجليزية من التاسعة إلى الثانية والنصف، ثم تذهب للعمل في مطعم من الرابعة إلى العاشرة مساءً! لديها إجازة يوم واحد فقط، تشعر بصعوبة ذلك وتتمنى العودة لوطنها.

تقول (ميرا) من بولنדה: حتى تعيش في أمريكا عيشة جيدة يجب أن تعمل عملين وليس واحداً وتتابع: شقيقاتي يفضلن العودة لبولنדה عن الإقامة في أمريكا لصعوبة الحياة فيها.

حدثتني (هيرشي) عن شقيقتها عمرها 51 عاماً التي قدمت من وطنها بنما قبل أربع سنوات تحمل شهادة الدكتوراه في إدارة الأعمال، وطلقت زوجها وتركت أولادها الكبار وجاءت برفقة ابنتيها المراهقتين.. لكنها لم تكن تجيد اللغة الإنجليزية، فعملت عاملة تنظيف في أحد المطاعم!! وبعد شهر أصبحت نادلة في المطعم ذاته حتى تمكن شقيقتها من إيجاد عمل جيد لها، ترقى فيه بسرعة فهي ذكية وموهوبة، وحدثتني (إيدا) من هندوراس فقالت: درست في وطني سنتين كنت سأصبح محامية! لكنني حين تزوجت وجاء بي زوجي إلى أمريكا للبحث عن فرص عمل أفضل، وحياة أفضل اضطررت لعمل عملين في آن معاً، وزوجي كذلك؛ لحاجتنا للمال، والآن بسبب الحمل أعمل عملاً واحداً.

سألتها عن طبيعة عملها قالت: أنظف مكاتب إحدى الشركات ثم ابتسمت في سخرية قائلة: من محامية إلى عاملة تنظيف!! واشتكت كثيراً من متاعبها، وهي تعمل في شهرها الأخير، ولا تستطيع أن ترتاح، وتردد: أحتاج للمال (وأولغا) كانت معلمة في المكسيك والآن تعمل عاملة في مطعم، والأمثلة في هذا الجانب كثيرة جداً، وخصوصاً اللاتي لا يجدن اللغات الإنجليزية تكاد تتلاشى فرصهن في العمل تقريباً.

4- اللباس والعري الفاضح

يبدولي أن تحرراً من نوع آخر لدى الغربية قد اجتاحتها وغيّبت مفاهيم للمجتمع من تفكيرها، واجتاحت أخلاقها، هذا التحرر يختص بتحرر عقلها من مسميات ارتبطت بالمرأة عادة فالعيب والحياء والحشمة والوقار انتفت تماماً من قاموس حياتها، أشعر بصعوبة وصف هذا الجانب حياء واشمئزازاً فكلها تصب في برائن العري الفاضح والمستهجن!

فالمرأة الغربية -ويا للخجل- تحررت من معظم ملابسها في مشهد يثير الاشمئزاز، وقد أرخصت جسدها للناظرين، وجعلت جرائم القتل والاغتصاب والخطف والإجهاض تتكاثر في مجتمعهم.. فهي بهذا العري تدمر المجتمع وتفقد شرفه! بل أفقدته!! شيء يبعث على الحزن لهذه العقول التي غيبتها الحرية.. أي شيء يمكن أن يستحق الستر والمحافظة بعد كل هذا الخزي والتكشف!! أي خصوصية تركتها لنفسها ومخدعها؟ والمؤلم أنه أصبح مألوف النظر لديهم، طبيعياً جداً لا يستنكره عاقل! أو يأنف منه ولي! بل إن منظر الستر والاحتشام هو المستنكر عندهم! فلباسهن لا يحكمه خلق ولا دين ولا حياء! ويعمدن إلى ذلك في شيء من استعراض لأجسامهن ومفاتتهن، وجل اهتمامها ينصب على اجتذاب عيون الرجال ونيل إعجابهم، حتى وإن لم تكن نياتهن خبيثة، لكن يهمن كثيراً ويسعين ببالغ الجهد، لأن تكون الواحدة منهن مثيرة وجذابة وأكثر ما يكون بالمزيد من العري واللباس

الفاتن!! وبالتأكيد تسعى لاجتذاب أكبر قدر من المتلفهين لصد اقتها
من الرجال طبعاً.

تقول كوري (أمريكية اعتنقت الإسلام): لسوء الحظ فإن النساء
الغريبات يعتقدن أنهن بحاجة لعدم الاحتشام حتى يرفعن من الطلب
على رفقتهن، أنا لا أتفق مع نموذج المرأة الغربية، ولكن ليس كل الخطأ
على المرأة الغربية وحدها، فالإعلام والرجل الغربي أجبروها على هذا
الدور، بواسطة المادة والنظرة الطامعة للرجل الغربي الذي يستمتع
بحلاوة النظرة، التي تقدم في السينما وبرامج التلفاز، حتى الدمى التي
في سلسلة المخازن الكبيرة في (تارقت والوول مارت كباربي وبراتز)
أثرن في الفتيات الصغيرات، وأصبحن يماثلنهن في عدم الاحتشام، هذه
الأسباب التي جعلت البنات يتربين وهن يعتقدن أنهن يجب أن يكن
نحيفات وجماليات حتى يجذبن الرجال!.

تبعاً لذلك اختلفت مقاييس الأحكام تماماً (أخبروني أيهما أكثر
حرية أن يحكم عليك على أساس مقاس التنورة وحجم الأثداء المكبرة
بعمليات التجميل؟ أم يحكموا عليك على أساس شخصيتك وعقلك
وذكائك؟) ¹.

وتحدثت باعتراف مسلمة قدمت من أوروبا وتعيش في أمريكا: قبل
إسلامي كنا نتنافس على التعري، وعلى شاطئ البحر كنا نتبارى فيمن

1- الكاتبة الإنجليزية إيفون ردلي، كيف أصبحت أحب الحجاب، الثلاثاء - 31- أكتوبر
www.yvonneridley.org 2006.

تلبس أقل!! حتى غدونا بلا لبس تقريباً! (وليتكن ترونها الآن في سترها واحتشامها فسيحان الله!!).

تقول (جولي): ابنتي في الثالثة عشر ولديها قانون في المدرسة يمنعها من لبس الملابس القصيرة جداً، وهي بعد لم تبدأ بلبس الملابس العارية جداً حتى خارج المدرسة، لكن سنرى ما سيحدث في المستقبل! فهي تشكو الحر دوماً! قالت ذلك ضاحكة!! وبالطبع يعد من النادر أن تتدخل المدرسة في لباس الطالبات فالذي نراه، وهن ذاهبات للمدرسة بملابس قصيرة جداً وفاتنة إلى حد بعيد. سألت إحداهن: كيف تشعر حين تلبس تلك الملابس القصيرة جداً؟ أجابتن: شعور عادي وطبيعي! حر لا بد من التخفيف من الملابس، ثم إنني ألبس لأجل نفسي وزوجي! لكن بعض الملابس القصيرة جداً لم تعد تناسب سني! أما ملابس البحر فألبسها على الشواطئ. وقتها شعرت أن استغرابي هو المستغرب.

وللحقيقة أن بعض الأمريكيات وكثيرات منهن غير مسلمات أيضاً ومسلمات ينزعجن كثيراً، ويتأففن من هذا العري والملابس المثيرة. وقتلنها صراحة: إنهن يعمدن لهذا العري لاعتقادهن أن الرجال يستمتعون بهذا التكشف، ومن ثم يحاولون التقرب لهن! قالت إحداهن: هذا اللباس العاري شيء معتاد هنا يعتقد أنهن يسعدن الرجال بذلك! وقالت لي إحدى الأمهات وهي تتوسط بناتها الثلاث، أكبرهن في سن المراهقة: نحن لسنا محافظين في لباسنا، لكننا على الأقل أفضل من غيرنا!

وتجيب كل واحدة منهن بقوة وضيق على تساؤلي عن مدى رضاهن عن هذا العري: لا لست راضية هذا كثير ويجب أن يعمدن لتغطية المزيد من أجسامهن!

تقول (جولي): لقد عشت في ولاية حارة، معظم العام والنساء فيها يلجأن لتخفيف ملابسهن بطريقة تثير استغرابي، فيلبسن ملابس قصيرة جداً وبكل اعتيادية، لكنني لا ألبس مثلهن، ولا أحب أن أراهن كذلك!! وتتساءل لماذا لا يعلم الأهل أبناءهم كيف يلبسون وماذا يلبسون!! وتتساءل أكثر كيف يسمحون لأطفالهن برؤيتهن بهذه الملابس الفاضحة؟

وحدثتني (ميري) عن مخاوفها بوصفها أمّاً لابنة فقالت: أكثر ما يخيفني في هذه البلاد كوني أمّاً لديها ابنة في التاسعة عشر من عمرها هو لباس الفتيات، فالفتيات الصغيرات عندما يلبسن ملابس غير محتشمة ومثيرة جنسياً فهذه ليست حرية، فهن يفعلن ذلك عبر خيال المجلات ويفعلن ذلك لأجل لفت انتباه الشبان! هذه ليست حرية بالنسبة لي؛ بل هؤلاء أعدهن ضحية لهذه الثقافة، فهل حقيقة أن هناك من يلبس هذه الملابس لأنهن يرتحن لها؟ ربما (وهذه حرية)، ولكن أغلب الفتيات يلبسنها لأنهن يردن إمتاع الآخرين ويلفت انتباههم، هذه ليست حرية! لأنك حين تسعدين الآخرين وهم ينظرون لك بإعجاب، وتتبعين المجلات واهتمام الأولاد، فلست تتمتعين بالحرية، فهي ليست حريتك وليست اختيارك أنت! بالنسبة لابنتي فاللباس القصير ليس مهماً لها ولا تحب لبس هذه الملابس، وأعتقد أنها هي الحرة؛ لأنها لا تتبع الموضة والمجلات ولا تستمتع بها وأنا سعيدة بذلك؛ لأنها تتبع طريققتها وهذه

هي الحرية بالرغم من أنني أقول لها أحياناً: البسي ملابس أفضل (البسي قميص وجينز مثلاً) ، لكنها ترفض وتقول: لا يا ماما هذا ما أريده وأنا سعيدة به كما أنها لم تتخذ صديقاً.

أما (مريم) وهي الشابة الصغيرة فتقول: إنهم هنا يحللون الملابس الخليعة ويشجعون عليها حتى الصغيرات يفضلنها، وكل عام يقلُّ عمر الفتاة التي تلبس الملابس المغربية حتى وصل إلى سن الطفولة البريئة!! وتواصل بألم أصبحت مقولة: هذه امرأة جيدة وجميلة تعني فقط أنها مثيرة ومغرية في لباسها!!

وهكذا هل تلوم نفسها من تتعرض للتحرش وهي تعرض نفسها له! بقصد أو دون قصد؟

تقول (جولي): كانت مدرستنا في الثانوية في درس الصحة ترشدنا إلى طريقة لبسنا للملابس، وكانت تقول إن ملابسنا بمثابة إعلان للرجال عن أفكارنا، فإذا لبسنا الملابس الخليعة فهذا يعني أنك متاحة للرجل، وتقدمين نفسك له كي يفتصبك. والعكس حين تكون ملابسنا محتشمة.. قلت لها: لذلك ترين ملابسنا نحن المسلمات بهذا الستر والاحتشام، والله الحمد إنها أمر إلهي لحمايتنا، وبالطبع لحماية المجتمع.

تقول (يوسيبا) (أمريكية من أصل فلبيني): الكبيرات والمراهقات بعمر أربعة عشر سنة يلبسن ملابس غير محتشمة؟ لماذا؟ إنها حين تلبس تلك الملابس الفاضحة، وتذهب للنادي الليلي مثلاً، عليها ألا تلوم نفسها إذا تحرش بها أي رجل، فهي من تغريه! لكنهم يقولون: هذه هي

الحرية فهي حرة تلبس ما تشاء ويتساءلون: لماذا تقتصب؟ في أمريكا حرية كل يفعل ما يريد!

وتقول (سوزان) (أمريكية يهودية محجبة): أحياناً الناس يأخذون الحرية بطريقة أبعد مما ينبغي فيصبحون غير سعداء في حياتهم، مثلاً أنا أرى نساء صغيرات يلبسن ملابس قصيرة غير محتشمة، ويشعرن أنهن غير سعيدات في حياتهن، ولا يفهمن لماذا يتصرف الرجال معهن بطرق غير مألوفة! ولا يشعرن بالأنوثة في داخلهن وليس فقط شعورهن بأن الرجال ينظرون لهن بهذه النظرة!! وهكذا يلبسن ملابس تكشف كل أجسادهن لكل الناس، ولا يفعلن ذلك بقصد أن يشاهد الناس أجسادهن ولكن لأن النساء يفعلن كلهن ذلك بلا تفكير!!

لذلك الحرية تعدت الحدود، وتفكيرهن تعدى الحدود أيضاً! بل حتى في الكنيسة يأتين بملابس مثيرة، سألت راهبة عن ذلك فأكدته بقوة وقالت: نحاول أن ننصح، ونطلب من النساء حين يأتين للكنيسة ألا يلبسن الملابس المثيرة، لكن كلامنا يدخل من أذن ويخرج من الأخرى بلا قناعة منهن.

وترى (جولي) أن المراهقة تكون تحت ضغط الصديقات، لذلك تقلدنهن في اللبس الخليع حتى لا تكون مختلفة عنهن! كذلك التقليد له دور بارز، فحين طلبت من مجموعة من الطالبات أن يعملن شيئاً لافتاً كاللاتي يضعن قطعاً معدنية في وجوههن! فقمن بصنع عقد لافت وطوقن أعناقهن به، كن مجموعة صغيرة ومع هذا وأثناء ثلاثة أيام فقط قلدنهن مجموعة كبيرة جداً في المدرسة!!

وكم يكون الزوج أو الصديق في غاية السعادة حين يعبر له رجل آخر عن إعجابه بالمرأة التي اختارها وانتقاها، وكما تقول (ميري) المسلمة: إن الرجل حين يمدح زوجته رجل آخر يقتنع بها حتى وإن كان غير مقتنع بها!! هذا يعني أن الغيرة بالمفهوم الرجولي الشرقي غائبة عنهم تماماً. كما أنه يراها تبالغ أمامه في سلامها على الرجال بالأحضان والقبلات وهو لا يحرك ساكناً، فهو على الطرف الآخر يمارس حرите أيضاً!

وتتحدث (أم محمد) التي تعيش في نيوزلندة عن موت الغيرة لدى الرجال المتحررين وما أكثرهم، فتقول عن قصة زميل زوجها في العمل الذي يحاول استمالة زوجها (المسلم) للتلذذ بأجساد النساء!! وحين نهره وبين له أن دينه الإسلام يحرم عليه ذلك، أجاب باستخفاف: كن متحضر!! يبدو أن زوجتك غير ديمقراطية واستمر في الضحك ليتم كلماته الموجهة التي تعني موت الغيرة تماماً، فيقول: هل تصدق أنني أذهب أنا وزوجتي للبحر كي أنظر للنساء العاريات!! وزوجتي تنبهني كي أستمتع بالنظر للمزيد من النساء الفاتنات مما لا أنتبه له!! بالمقابل فأنا أرشدها للرجال الجذابين!! وبالطبع بدعوى حريتها في التلذذ بما يعجبها!!

وحدثتني محامية مسلمة عن قضية امرأة جاءتها زوجها لرفع شكوى ضد طليقة الزوج السابقة؛ لأنها تشتري ملابس مثيرة جداً لطفلتها ذات الثانية عشر من عمرها، بل وأحضرت قطعة من ملابس الطفلة تثير التقزز، وقد كتب عليها كلمات تعني أنها تطلب الزنى مقابل المال!! تقول المحامية كانت تلك المرأة تلبس بدورها ملابس مثيرة

ومغربية، فقلت لها: عليك أن تتحشمي حين تأتين إلى المحكمة، فالتفتت إلى زوجها غاضبة، وهي تقول: قلت لك لا تشتري لي هذه الملابس!!

أما (ميشيل) التي أسلمت منذ سنوات عديدة فتقول: كنت حتى قبل إسلامي أشعر بالخجل والضيق من هذا التكشف والعري، لكنني لم أكن أستطيع أن أقول لهن: هذا خطأ (كانت عائلتها متدينة أكثر من غيرها)، وبعد إسلامها تمسكت بالحجاب والستر ولله الحمد، وكذا ابنتها مريم ذات العشرين عاماً، تقول عن المرأة الأمريكية: الفتاة الأمريكية تستطيع أن تلبس ما تريده وبالطبع التعري هو السائد، لكن هناك من تعترض على اعتداء الرجال عليها عبر القتل والاغتصاب بسبب عريها وإثارتها لهم، برغم أنها هي المسؤولة عن ذلك.

أما (ميري) أو (مريم) كما تسمي نفسها بيننا فتعتمد إلى الستر في لباسها، تقول: إنني أحاول ألا أبدو أجمل فأرفع شعري وألبس الملابس المحتشمة، لكنني حين ألبس الحجاب أفرح أكثر وأشعر أنني حرة أكثر. وكم تخوض إحدى المسلمات الأمريكيات تجربة قاسية مع صغيرتها ذات الثلاثة عشر عاماً، والمقبلة على حياة المراهقات التي ينتظرنها في طفولتهن كثيراً! فهي تعمد إلى لبس الملابس المتعريّة كزميلاتهن!

تقول (سارة بوك): (كأي فتاة في أمريكا لطالما داعبتني أحلام الحياة المثيرة في أمريكا في صخب المدن الأمريكية العملاقة. حلم انتظرت حتى سن التاسعة عشر لأبدأ تحقيقه، لكم كنت سعيدة بتحقيق حلمي في الانتقال إلى فلوريدا، ومن ثم إلى قبلة المشاهير والأثرياء في

حي ساوث بيتش بمدينة ميامي. كغيري من الفتيات الطموحات ركزت كل اهتمامي على مظهري، حيث انحصر كل اعتقادي بأن قيمتي تقتصر على جمالي، واطلبت على نظام صارم من تدريبات القوة واللياقة لتنمية رشاقة تضفي المزيد من الرونق على جاذبيتي، حتى حصلت على شهادة متخصصة لتدريب الفتيات الحريصات على الحصول على المزيد من الجمال والرشاقة. انتقلت إلى شقة فاخرة مطلة على منظر المحيط الخلاب، وواظبت على ارتياد الشواطئ والاستمتاع بنظرات الإعجاب، وعبارات الإطراء التي طالما دغدغت مسامعي. أخيراً نجحت أن أحيا الحلم الذي طالما راودني بالحياة المرموقة. مضت السنوات لأكتشف بعدها أن شعوري بالرضا وسعادتي كانا آخذين بالانحدار كلما ازداد تقدمي بمقاييس الجاذبية والجمال. أدركت بعد سنوات بأني أصبحت أسيرة للموضة وغدوت رهينة لمظهري¹.

والطريف في اللباس عندهم أن الرجال أكثر سترًا منهم، بل ويعاب عليهم أن يتكشفوا كالنساء في الأماكن العامة!

هذا العري اجتاح المجتمعات كلها التي فتحت ذراعيها لحرية المرأة!! تقول (نامي) (امرأة يابانية مسلمة): المرأة في اليابان أصبحت كالأمريكية تماماً!! وهي حرة مثل الرجل تعمل ما تريده وتلبس ما تشاء؛ بل إن لباسها المغربي، وتعمدها التجميل والتزيين هو ما يجذب الرجال لها، ويجعلهم يتقربون لها!! قد لا تستطيع الزواج ما لم تفعل ذلك!! حتى

1- جريدة الرياض الخميس 22 ذي الحجة 1427هـ - 11 يناير 2007م - العدد 14080 مقالة رحلتي من البكيني للنقاب!!

إنني استغربت حين طلبني زوجي (الأمريكي المسلم) للزواج وهو لم ير وجهي (كانت ممرضة وترتدي كمامة الممرضات) وتؤكد أن الرغبة في المرأة لأجل جمالها أو جسمها يعدّ سبباً سطحياً سيئاً؛ لأن جسم المرأة قابل للتغير في حين جوهرها لا يتغير!

وتقول أمريكية مسلمة: نعيش وضعاً صعباً ومقلقاً، وهناك كثير من الضغوطات بخصوص اللباس، فمن الصعب أن نرى طالبات يأتين للمدرسة بملابس قصيرة جداً، وحين نرى محلات الملابس تعرض ملابس قصيرة جداً تشعر أنه من الأفضل ألا تراها البنت، فحين ترفض أن تشتري ابنتك مثل هذا اللباس وتقول لها: (لا) تجد أن المعيار المتعارف عليه في اللبس فاضح جداً، فكيف يمكنك أن تتمسك بطريقتك في التربية وخصوصاً حين تكون أنت مسلم وابنتك غير مسلمة؟! فحين أسلمت، وتزوجت من مسلم كانت ابنتي في عمر يجعلها تعي ذلك، لكنني لا أستطيع أن أضغط عليها لتغير دينها فمن الصعب أن تغير حياتها كلها، وهذا اختيارها، ولكن هذا صعب علي أيضاً لأنني لا أستطيع أن أرغمها على نوعية الملابس، وأحاول إفهامها أنني لا أرغمها على الإسلام، لكن هذا اللباس ليس لباساً ملائماً لهذا كل صباح، وهي ذاهبة للمدرسة، وحين تأتي للسيارة أكون دوماً في نقاش، وأطلب منها العودة لتغيير ملابسها! لكنها ليست سيئة دوماً، ولكن لدي اتجاه مختلف عنها، وهي دوماً تكافح.. فحين تذهب لأماكن الألعاب مثلاً تذهب وحدها فهي في عمر يمكنها ذلك (في الخامسة عشر)، وتأخذ صديقاتها معها كان لديها ثلاث صديقات رأيتهن في السيارة، لباسهن فاضح جداً ومثير، بل لا ينفع حتى ليكون حجاباً! ويلبسن ملابس

البحر تحت هذا اللباس أيضاً¹. وحين رأيت أم الفتيات تأتي، وتشاهد بناتها بهذا اللباس ولم تقل شيئاً، شاهدت ابنتي وشعرت بالأسف تجاهها وبسبب هذه الضغوط التي تعانيها كلها؛ لأنها لا تفعل مثلهن وتشعر أنها متأخرة عنهن، بالرغم من أنها تلبس لباساً لم يعجبني، لكن بالمقارنة مع لباس صديقاتها تعدّ أفضل كثيراً منهن ولم أتعجب وقتها من إحساسها لما رأيتهن، لكن هذا مكان عام والأولاد في مثل أعمارهم كبار أيضاً!!

وترى (سيسيليا) أن النساء لديهن خيارات في اللباس، والإعلام يؤثر في ذلك ولكن عندما يكبرن تتغير نظرتهم للباس، ويرين أنهن من المفترض ألا يلبسن، فحين يكن صغيرات يلبسن تنورات قصيرة جداً، وليس من الجيد أن يلبسن تلك الملابس، والدليل أنهن عندما يكبرن يكتشفن الخطأ، وإذا رأيت امرأة عمرها 55 أو 60، وتلبس مثل تلك الملابس، فسيضحك الناس عليها؛ لأنه ليس مقبولاً، ولا تتمتع بحريتها في ذلك.

أما عن تشبه الجنسين فحدث ولا حرج (نسأل الله العافية) فما أكثر ما أتساءل وخصوصاً في فئة المراهقين والمراهقات، هل الذي أمامي فتاة أم فتى؟ فالفتاة قصت شعرها أو حتى حلقته، ولبست ما يشبه ملابس الرجال، والفتى أطلال شعره ولبس حلي المرأة حتى حلق الأذنين! وخواتم الأصابع ولبس ما يشبه لباس الفتيات! لكنها الحرية تجعلهم يفعلون كل شيء وأي شيء.

1 - يمكنهن خلع ملابسهن والبقاء بملابس البحر داخل مكان معين من الألعاب.

5- الهوس بالرشاقة والجمال

لأن قيمة المرأة عند الرجال الغربيين تكون وفق جمال جسدها ورشاقتها، ونسبة الإغراء الذي تتمتع به سواء لدى الزوج أو الصديق أو أي أحد! تظل المرأة منذ صغرها حبيسة هذا الرأي، ويصبح هاجسها وقلقها الدائم، ويتبع حرصها على اللباس الفاتن هوساً عظيماً بالرشاقة، لتصبح أكثر جاذبية واستمالة غير عادية بالاهتمام بالمظهر، ويبقى الشيء الذي يستأثر باهتمامها، فتبذل طاقتها وجهدها كلها لتكون في تلك الدائرة. فالغربية أصبحت قليلة الثقة بنفسها نسبة لمقاييس الجمال التي حصرتها الموضة في أشياء معينة، ومن ثم بقيت حبيسة نماذج محددة تراها في صور النساء في الإعلانات والدعايات وأشكال العارضات، ونجمات السينما والتلفاز ومسارح الغناء والرقص وهي كلها تعني أن النحافة هي سر الجمال!! لذلك أصبحت الرشاقة هاجساً مخيفاً يتسبب في اضطراب الأكل ويقلل بل يعدم الشهية بصورة مرضية حد الموت، فتسبب (بإذن الله تعالى) في موت كثير من النساء في كل عام تلتها بالطبع عمليات التجميل: من شفط الدهون وجراحة تعديل الجفون وتغيير شكل الأنف وشد الوجه وتكبير الصدر وحقن البوتكس وغيرها. تقول عن ذلك (حنيفة) (أمريكية اعتنقت الإسلام): في تعجب كلهن يردن أن يصبحن مثل نجمات السينما!!

وتقول (إيلينا): لقد أصبحت المراهقات يرفضن الأكل ليصبحن نحيفات جداً مثل كثير من نماذج النساء اللاتي أمامهن سواء في واقعهن أو على شاشات السينما، حتى صارت أجسامهن نحيفة بدرجة

مهولة وخطرة، والمراهقات يعانين ضغوطاً كثيرة لأجل الجسم الخيالي من السينما والجرائد والتلفاز، بل إن ابنتي في العاشرة من عمرها تظل تراقب جسمها في قلق!!

تقول (كلاريسا) (15 عاماً): النساء الأمريكيات والمراهقات أيضاً منشغلات بأوزانهم وكيف يصبحن رشيقات، وكيف يكون منظرهن بشكل معين دون الاهتمام بصحتهن! وكذلك بلبس الملابس القصيرة جداً، والكبيرات منشغلات بإبر البوتكس لشدهن ترهلاتهن، مثلاً أم صديقتي استخدمت الإبر كثيراً في وجهها وبعض أجزاء جسمها فأصبح منظرها غريباً!

(يقال لنا في المجالات الصقيلة: إن النساء ما لم يكن طويلات القامة ونحيلات وجميلات فسيصبحن غير محبوبيات وغير مرغوب فيهن، إن الضغوط التي تتعرض لها المراهقات من قراء المجالات ليكون لهن عشاق هي تقريباً ضغوط داعرة)¹.

تقول (سندس) (أمريكية اعتنقت الإسلام): العديد من الأمريكيات أصبحن مدمنات على الأدوية من أجل أن يفقدن أوزانهم.

وتقول (سوزان) بقلق: أقلق كثيراً من كل ما يحصر تفكير المرأة في الجسم الجميل فقط كما في التلفاز، هذا يثير غضبي كثيراً، فتلك البرامج تركز اهتمامها في مخاطبة المرأة وقدرتها على أن تجعلها امرأة جميلة صاحبة جسم رشيق، يضايقني جداً أنهم لا يجعلون النساء

1- الكاتبة الإنجليزية إيفون ردلي، كيف أصبحت أحب الحجاب، الثلاثاء -31- أكتوبر 2006 www.yvonneidley.org

يفكرون على نحو أفضل، كثير من الفتيات يفكرن فقط كيف يصبحن مثل نساء الإعلانات التجارية ولا يفكرن كيف يصبحن ذكيات!

تقول (سارة بوكير): تقنع المرأة نفسها للتغلب على الأخلاقيات والضوابط التي تضطرب داخلها، حتى تستطيع مجاراة الآخرين وتعيش من أجل يومها!! وهكذا تصبح ضحية لتفكيرها في صنع أكبر قدر من لفت الانتباه! وستبذل بالطبع كل جهدها لتكون ملفته كالتسوق المفرط، أو حتى اللجوء لعمليات التجميل. وهذا بالفعل الذي يؤدي إلى إنفاق مهول على الجمال والبحث عنه حسب ما يمليه عالم الموضة المتسارع!! والبحث عن الجمال يكون حتى بإيذاء النفس بالوشم مثلاً (للجنسين) برسومات غريبة وملونة تكاد تغطي الأذرع والأقدام أحياناً!

ولا تسألني عن خرق الشفاة والأنوف والجفون والأذان، وغرس قطع معدنية مختلفة الأشكال والأحجام! سألت (إمبر) فتاة أمريكية في العشرين عن ما تعنيه تلك القطع المعدنية التي في وجهها قالت: أعدها أشياء جمالية! وضعتها أول مرة في أنفي منذ كان عمري 15 عاماً، وإن والدتي هي التي ذهبت بي للمحل حيث وقعت على أوراق ذلك!

ولا تعجبي من أن تري مَنْ صبغت شعرها بألوان نارية، أو حتى حلقتها وأصبحت صلعاء!

أما الموضة فقد أصبحت صناعة ينفق عليها مبالغ طائلة، وتدفع للسوق المزيد يومياً، مما يمكن أن يجعل المرأة تبدو أجمل وأكثر إغراء!! ومن المضحك أن صناع الموضة العالميين من الرجال الذين يحددون

كيف تكون المرأة جميلة ومغرية بنظرهم!! وفي كل فصل من فصول السنة موضوعاته التي تدور في حلقة مفرغة واحدة (الجاذبية والإغراء) وتجتاح الأسواق ملابس تكاد تكون لا شيء..!

6- الصديق المعاصر (البوي فرند) وأطفال الزنى

يعدّ من الشاذ عن القاعدة ألا تتخذ الفتاة صديقاً!! ومن الطبيعي أن تسمع من يقول في اعتيادية كبيرة: (ماي بوي فرند أو ماي غيرل فرند أي: صديقي أو صديقتي المعاشرين طبعاً) هذه هي الحرية التي حطمت الفطرة السليمة وتسببت في فوضى جنسية وأخلاقية متدهورة!! وبالطبع يدفعها لذلك مؤتمرات الحرية وقراراتها التي ترى بحق ملكية المرأة لجسدها، وحرية التصرف فيه على الإطلاق، حتى للفتاة الصغيرة التي تقرر بنفسها متى تريد أن تستمتع بجسدها! وهي التي تقرر متى تكون ناشطة جنسياً!!.. تقول (إيلينا) باعتراف: لا تتوقعي أن في أمريكا امرأة بالغة عذراء! فهي لن تخاف عاقبة ذلك، وهو ليس مما تعاقب عليه، لهذا لا تهتم له!، فالمرأة العازبة حين تمارس الجنس مع صديقها، فهذا لا يحسب ضدها والأهل لا يغضبهم ذلك، ولا يعد أمراً محزناً وليس خطأ، ولا يعدّ من مسؤوليتهم! أو سمعة سيئة لهم. فحين سمعت بقصة عن بلادكم في وسائل الإعلام عن أهمية ذلك أدركت الفرق!

وهكذا من السهولة للفتاة أن تتخذ صديقاً، ومن ثم تقدمه لأهلها ببساطة! وربما أوصوها ألا تحمل منه وهي صغيرة، فهي التي ستتحمل

الخطأ وسيكون العبء عليها كبيراً فيما بعد، وقانوناً ليس لهم الحق في مساءلتها عن من تعاشر، فهو حقها وهي حرة، وقد لا يتعدى الموقف تأسفاً شكلياً من الفتاة لوالدتها حين تسألها عن حملها، فتطلب منها أن تتوخى الحذر، ومن ثم تلتفت إلى التفكير في إقامة حفلهم المعتاد بالجنين، حتى قبل أن يولد! هذا إذا لم يجبروها على الإجهاض.

تقول (جولي): ذهبت برفقة ابنتي التي تبلغ الثالثة عشر للسوق وهناك قابلنا ثلاثاً من زميلاتنا في الصف، وكلهن كانت بطونهن منتفخة صغيرات يحملن أجنة في بطونهن في مثل هذا العمر، وتتابع باستغراب سيحتجن وصغارهن لرعاية أهلن!! (

وقد أشار المركز الوطني الأمريكي للوقاية من الأمراض المزمنة وتعزيز الصحة إلى أنه في عام 2000، كانت نسبة حمل المراهقات 13% من حالات الحمل جميعها (يشمل حمل المتزوجات وغير المتزوجات) بعدد بلغ 831.000 تتراوح أعمارهن بين 15 و19 عاماً .

وحيث سألت (ديانا) عن حمل المراهقات مثلاً قالت: هذا ليس من الحرية في شيء، لا يعني حملها وهي بعمر الثالثة عشر أو الرابعة عشر أنها تتمتع بالحرية، ذلك يعود لمشكلات عائلية تخصهم، وافتقارهم للتربية الحسنة، وعدم قدرة أهلهم على تربيتهم على الأخلاق وتحمل المسؤولية، إن ذلك يعني ضياع العائلة، فالمفترض أن هذه مسؤولية الأهل في توعية الأبناء بهذه المسؤولية، توعية الأطفال بتحمل ذلك، وألا يفكروا أن هذا جزء من حريتهم، إنها مسؤولية طفل! لا أريد أن تقيدي حريتي لأنهن حملن وهن صغيرات، لأن هذا ليس حرية!

ولكن هل يملك الآباء فعلاً القدرة على إصلاح أبنائهم أو منعهم إذا رغبوا؟ هل يستطيع الأب أن يمنع ابنته، بل طفلته من معايشة صديقها؟ يا للأسف والأب يحذر صديق ابنته التي تبلغ الرابعة عشر فقط من عمرها، أن تثمر علاقتهما عن طفل! وهذا ما حدث فعلاً وما كان من الأب إلا الإذعان تماماً، بل وتجهيز غرفة جديدة وصباغتها للطفل الجديد الذي سينضم للعائلة!! ولا عجب أن نسمع أباً يتحدث عن ابنته وإنجابها لطفل ويقول باعتياده: أنا أرى الطفل فابنتي لم تتزوج! ومع هذا فبعض الآباء يشعرون بالضيق من اتخاذ بناتهم أصدقاء في سن صغيرة، ويحاولون تضيق حدود هذه العلاقة، وبعضهم يجعلهم ذلك ويتمنى منعها، لكنه لا يستطيع منعها تماماً!!! إنه حتماً وبفعل قانون حرية الصغيرة لا يستطيع، بل هي من تستطيع مصادرة حريته بإبلاغ الشرطة أنه يمنعها من صديقها! وترغمه الشرطة بأن عليه ألا يمنعها وتظل تراقب الوضع، وتسأل البنت من وقت لآخر فيما إذا صدر عنه ما ينغص عليها حريتها!! ولو أبدى والدها رفضاً فويل له لو تعرض لها بالتأديب أو المساءلة حينها، سيعاقبه القانون الذي يرغمه على تربية (!) الأبناء حتى الثامنة عشر من أعمارهم وأي تصرف يسيء لهم يمكن للدولة أخذهم منه!!

تقول الأخت (سارة): مهما كانت العائلة محافظة فهي لن تستطيع مخالفة أو تجاوز حرية الأطفال مثلاً!! التي تتسبب غالباً في عقوبة قانونية للأهل تحت غطاء واسع هو قانون إساءة معاملة الأطفال، فالطفل بكل سهولة يمكنه أن يقذف بالدهاء في السجن

بمجرد أن يرفع سماعة الهاتف ويقول: والدي ضربني!! وتقول
(سايا) (أمريكية من أصل فلبيني):

لدى الآباء خوف من معاقبة أطفالهم؛ لأن الحكومة تأخذ الأطفال
من عائلاتهم، إن هذا النظام لا أحبه من المفترض أن يتركوا للآباء
مسؤولية العناية بأطفالهم، بالرغم من أنه يوجد آباء غير جيدين لكن
الحكومة عادة تصدق الأطفال حين يشكون من آبائهم وأمهاتهم، ومن
ثم يأخذون أطفالهم منهم!!

تقول (جولي): حين ذهبت بابني (14 عاماً) للطبيب لمعاناته من
التهاب في الأذن طلب مني الطبيب الخروج من الغرفة، لأنه يريد أن
يلقي أسئلة على ابني خرجت مستغربة جداً، وحين سألت ابني فيما بعد
عما سألته الطبيب قال: سألتني إن كنتِ تضربينني!!

لهذا ليس من السهولة أن تضبط المراهقة وخصوصاً فيما
يخص حريتها الجنسية، وما أكثر ما يوجه سؤال للمسلمات: كيف
تضبطون المراهقات؟

حتى إن إحدى الجارات قالت في شيء من الشعور بالفخر والإنجاز:
إنني أحافظ على ابنتي حتى تبلغ ستة عشر عاماً وهي ترفض كل من
يحاول استمالتها للجنس وتصدده، وتقول: إن أمي ترفض! قلت: ولكن
حين تبلغ السادسة عشر ساعتها يمكنها ذلك؟ قالت وقد احمر وجهها
حياء وقطبت ملامحها: نعم! فيما بعد بدأت الفتاة ذاتها تشتكي ضغط
العمل والدراسة والصديق حين أصبحت في المرحلة الثانوية.

لذلك ما أكثر ما نرى المراهقين والشباب، وقد تشابكت أياديهم ذكوراً وإناثاً باعتيادية بالغة يتصرفون بطريقة نراها لا أخلاقية ويرونها طبيعية! والمستهجن في الأمر أن تستهجن ذلك؟! أما لماذا ليس مستهجنًا فلأن الجميع اعتاد ذلك، الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء على فكرة أن يكون لهم صديق ومارسوا تلك الأفكار، والأم مارست الخطأ من قبل، وربما تلك الفتاة نتيجة لعلاقة خارج الزواج!!! لكن الأمر بالتأكيد يبدو عادياً في العائلة ولدى الجيران؛ بل يرون نتيجة ذلك بتطبع غريب، فهذه طفلة حامل، وتلك شابة لها أكثر من طفل من أصدقاء عدة وربما لا تعرف آباءهم الحقيقيين! وبالطبع فهي التي يجب عليها أن تكرم صديقها وتتودد له، ومنهن من تنفق عليه، ولا تجرؤ على مفاتحته في الزواج منها خشية أن تفقده.

وليس بالضرورة -مع أنه الأغلب- أن تعاشر صديقاً واحداً، بل عديداً من الأصدقاء! ومن السهولة أن تعاشر الفتاة من يعجبها حتى وإن لم يكن صديقها الخاص! من صور الحرية تقول (ندى): امرأة تشرب مشروبها الكحولي، وتجلس أمام البار في أي مكان كالفنادق والنوادي والمطاعم، ويقترّب منها رجل يحادثها، وتوّأ تنشأ علاقة بينهما، هكذا رأيت (تتابع (ندى)) في إحدى الفنادق كانت تجلس تلك المرأة، وقد اقترب منها شاب تعرفا على بعضيهما توّأ، وأخذ يشربان الكحول، كانت المرأة تضحك بصوت عال، ولا أعلم كيف انتهت ليلتهما!

وروت (جولي) ما شاهدته في رحلة لها بالقطار فقالت بكثير من الاشمئزاز والسخرية: كنت في رحلة بالقطار مع ابني الذي كان يبلغ

وقتها الخامسة عشر، كانت رحلة طويلة مدتها يوم ونصف، وفي وسط الليل في الواحدة والنصف تقريباً رأيت مراهقة صغيرة تجلس وحدها غير بعيدة عنا، وبدأت تبتسم وتعاكس مراهقاً قبالتها! قام بالطبع وجلس بجانبها وتحادثا، بعد ساعة فقط، كانا قد انتهيا من رذيلتهما وهما يحاولان التواري! ساعة أخرى، ثم هاتفت أهلها بصوت مرتفع تطمئنهم أنها بخير وهي الآن بصحبة صديق جديد!! تتابع بدهشة: إلى الآن لا أصدق ما رأيت! يمكن من السهل أن تمارس الجنس مع شخص واحد، لكن مع مجموعة أشخاص فهذا محزن وسيئ جداً!! كنت أسأل ابني هل نستقل قطاراً آخر؟؟

تقول (فادين) سأحدثك عن صديقتي (إبريل): كانت أمها شديدة في تعاملها معها، وتتحكم في تصرفاتها، وحين كبرت أصبحت تبحث عن أماكن لتكون مقبولة فيها، وبدأت تقيم علاقات غرامية مع شباب مختلفين بعمر ما بين الخامسة والسادسة عشر، وهذا خطأ كبير، لكنها بعمر ما بين السابعة والثامنة عشر قصرت علاقتها مع شاب أحبته، وحملت منه ثم أجهضت نفسها، وهذا جيد أنها لم تنجب طفلاً! تبعت هذا الشاب، وأضاعت وقتها معه، وكان يستخدمها! ولكن بعد سنتين عادت لعائلتها ورحب بها أهلها، ووافقوا على عودتها للمنزل، وبدأت الدراسة في الكلية وهي بعمر الثالثة والعشرين التي كان من الطبيعي أن تبدأ بعمر الثامنة عشر، تغيرت حياتها وتخرجت وأخذت درساً، ولكن بعد وقت طويل: إن متابعة ولد ليست الحل لمشكلاتها!.

لذلك فإن من أكثر الدلائل على امتهان المرأة، وجعلها سلعة رخيصة منذ كونها في مقتبل الشباب، وكثيرات لم يتعدين سن الطفولة بعد! - هو الاستغلال الجنسي من قبل الرجل في مرحلة المراهقة والنضج! فما أكثر ما يعمد الرجال والشباب للصديقة وليس الزوجة، وذلك للتصل من المسؤوليات كلها فيما لو قررا الافتراق؛ فالأصدقاء لا رابط بينهم ولا عقد، كما يمكن للصديق أن يتصل من مسؤولية الطفل لو حملت منه صديقتة، بل له أن يرفض انتسابه إليه، ومن ثمّ تنسبه إلى عائلتها! تقول (كريستينا): صديقتي في السابعة عشر من عمرها الآن حامل بتوءم من صديقتها، لكنه حين عرف بحملها هجرها مدعيّاً أنهم أبناء رجل آخر كانت على علاقة به! مما يعني أنها ستتحمل أعباء تربية الطفلين وحدها! وسيعيشان دون أب.

وربما انهار مستقبل الفتاة تماماً حين تتحمل مسؤولية طفل أو أطفال فكيف يمكنها أن تواصل تعليمها، الذي يتطلب كثيراً من الجهد والمال، وهي في الوقت ذاته مسؤولة عن نفقات طفل أو أكثر، ومع مساعدة الحكومة لها أحياناً تبقى غير كافية، وأحياناً أخرى كثيرة، ومع صعوبة التوفيق بين المسؤوليات على طفلة فتضطر لترك المدرسة، وتبحث عن عمل لتتكفل بمصاريف طفلها. وأشار موقع الحكومة الأمريكية للإحصاء¹ إلى ارتفاع معدل وفيات المواليد للأمهات المراهقات، وانخفاض أوزانهم، كما أنهن غير محظوظات في الحصول على شهادة الثانوية العامة.

¹-www. child stats. gov .

تقول (أمل) التي (تعيش في أمريكا عاشت طفولتها ومعظم شبابها في فرنسا): تبدأ الفتاة صغيرة باتخاذ (البوي فرند) في سن صغيرة ولاحظت أنه في أمريكا يبدأ بسن أصغر من فرنسا، والنتيجة تكون حاملاً في سن صغيرة لم يكتمل جسمها وحوضها بعد؛ مما يعرضهن للموت أثناء الولادة، أو للموت حين تجهض. (فالولادة والإجهاض تعدّان طبيياً خطراً على حياة المرأة البالغة فما بالك بطفلة؟!) تكمل (أمل): الأم الصغيرة لا تستطيع تربية مولودها ولا كيفية التعامل معه، فترميّه على أهلها أو أحد آخر ليربيه!

ثم ذكرت فتاة فرنسية كانت تعرفها -نموذجٌ لحياة التحرر- حين اضطرت للعيش مع رجل لا تعرفه ليأويها في منزله، ويصرف عليها بمقابل طبعاً!! فهي وحيدة ليس لها أب ولا أم ولا عائلة!!

تقول (إلينا): أعرف فتاة من أصول إسبانية عمرها 18 عاماً، كانت ذكية وتتمنى إتمام تعليمها، لكن عائلتها لم تدعمها، فهم يرون أن عليها أن تجلس بالبيت وتتزوج، في حين أن الولد يتم تعليمه.

استاءت لذلك، وكان عندها صديق فحملت منه، ثم تزوجته، فكثرت مشكلاتهم، فلم يكونا ناضجين كفاية مما أدى لطلاقها بسرعة، وعادت لبيت أهلها ومرت بأوقات عصيبة، فقدت الجامعة وعندها طفل ومطلقة وعليها أن تبدأ من جديد، ولكن لأن عندها طفل لم تكن متحمسة لإتمام دراستها في الجامعة، كان لديها كثير من القدرات ولكن!

وحدثني (فادين) عن صديقتها جينفير التي أحبت ولداً وحملت منه بعمر السادسة عشر، وأنجبت وهي لا تزال في بداية المرحلة الثانوية

واتفقا على الزواج وهي تعاني آلام الطلق، لكن الزواج استغرق سنة فقط، وطلقت منه ولا أدري إن كانا لا يزالان على اتصال، ثم أنجبت ولداً آخر من شخص آخر دون زواج طبعاً، وأهلها مستأثرون لوضعها مع أنهم يحبون ولديها ويهتمون بهم، لكن تبقى هي المسؤولة عن صغيرها ولا بد أن تعمل لتحصل على المال لتطعمهم وتعتني بهم، ومن الصعوبة عليها ألا يشاركها أحد مسؤوليتيها.

وفكرة اتخاذ الصديق تبدأ مبكراً حتى وإن قالوا: إنهم محافظون، تقول (ميري) (مسلمة): إنني كنت من عائلة نصرانية محافظة، لكنني اتخذت صديقاً منذ الرابعة عشر من عمري، هذه الصداقة تكون خارج العلاقة الجنسية لكنها في ثقافتهم لا بد أن توجد! وهي الآن تبدي رفضاً قاطعاً لابنتها التي تبلغ الخامسة عشر من عمرها من أن تتخذ صديقاً، وتحاول إشغال وقتها عن التفكير في ذلك فابنتها لم تقرر الدخول في الإسلام.

لكن امرأة أخرى اسمها (ميري) أيضاً تستاء من هذه الفكرة وهي غير مسلمة:

فكرة الصديق (البوي فرند أو الغيرل فرند) لا أعدها حرية خاصة في سن الطفولة؛ لأنه من المفترض أن يقيدوا، ويكونوا في مجموعات، يستمتعوا مع بعض، فإن ذلك أفضل من الصداقة، فليس من الحرية أن البنت تحمل في سن صغيرة، والولد يقيم علاقات جنسية، بل هم ضحايا الأفلام والثقافات، فهم يقيمون تلك العلاقات دون فهم ودون نضج وهذا يسبب لهم الألم.

يقول (دوغلاس بيشاروف)¹: (أظن أن الخوف الأكبر يكمن في أن يافعات ويافعين، هم عادة من الفقراء غير المتعلمين، يرزقون بأطفال خارج إطار الزواج ولا يملكون ما يمكنهم من الاعتناء بأطفالهم بصورة صحيحة، وهذا ما كنا نطلق عليه تسمية «أطفال يرزقون بأطفال». لا أزال أظن أن هذا هو ما يحصل. وهذه الظاهرة تحمل صبغة الفقر... وهو عامل محفز لها. إنه تطور سيئ بالنسبة إلى الأولاد، وليس جيداً لأمهاتهم، على حد سواء، فهو يعيق تقدّمهن. تلك هي المشكلة الأكثر خطورة التي تواجه مجتمعات ما بعد الثورة الصناعية في أنحاء العالم كله، لأن الولادات خارج رباط الزواج تتزايد - كما تعلم - في كل مكان².

وقد يحدث أن يجيء الطفلة المخاض في المدرسة، وقد تحدثت وسائل الإعلام عن طفلة بريطانية في الخامسة عشر من عمرها ولدت طفلاً في المدرسة، وبالمناسبة بريطانية من الدول الأوروبية التي تعاني من حمل المراهقات، وأصبح الوضع مرهقاً حتى للحكومة، مما جعلهم يشنون الحملات التوعوية لتوعية الأهل بضرورة التثقيف الجنسي لأطفالهم، ولا أشك أنهم يعنون بهذا التثقيف هو أخذ تدابير الحيطة من الحمل وعدوى الأمراض الجنسية فقط، وليس توعيتهم بمنع العلاقة الجنسية قبل الزواج!!

1- عالم مقيم في معهد أميركان إنتربرايز إنستيتيوت لأبحاث السياسة العامة في واشنطن العاصمة وأستاذ في كلية الشؤون العامة بجامعة ميريلاند.

2- الأسرة الأمريكية مجلة إلكترونية تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية 1 حزيران/ يونيو، 2001 (usinfo. state. gov/ar).

ومن الأمهات من تذهب بطفلتها للطبيبة لإعطائها حبوب منع الحمل فور اتخاذ طفلتها صديقاً وبدء العلاقة بينهما! قالت لي أكثر من واحدة إنه ليست المدارس وحدها من يوزع موانع الحمل، بل وحتى الأهل يعطون أبناءهم وبناتهم تلك الموانع! وفي بعض الولايات يمكن للطفلة منذ الثانية عشر من عمرها أن تذهب للطبيب وحدها دون علم أهلها لتأخذ موانع الحمل، وقد يجيء التذكير أو السؤال للطفلة عما إذا كانت تستخدم موانع الحمل، تقول إحدى الأمهات (مكسيكية تعيش في أمريكا): سألت المريضة ابنتي التي تبلغ من العمر 13 عاماً إذا ما كنت أخبرها عن الجنس وأتقفها فأجابت: بنعم، ثم سألتها وهل تعطيك الواقي الذي يمنع الحمل؟ قالت ابنتي: لا لا أحتاجه الآن وإذا احتجته ستعطيني!

وكم اندهشت طفلة عربية مسلمة من تصرف والدتها صديقتها حين ارتابت في ابنتها، وقررت الذهاب بها لإجراء اختبار الحمل لدى الطبيبة، تقول أم الفتاة المدهوشة ذات الثلاثة عشر عاماً: ابنتي تسأل في استغراب كيف لها أن تحمل وهي لم تتزوج! لكن بعض الشابات والصغيرات يفاخرن بحملهن وثمره العلاقة العاطفية مع الصديق، تقول طالبة مسلمة: منذ المرحلة المتوسطة كنت أرى علامات الحمل على كثيرات من زميلات الدراسة، بل وبياركن لبعضهن أحياناً! ومنهن من لها أكثر من طفل تضعه في الحضانة قبل مجيئها للمدرسة..

تقول (إيلينا) التي تبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاماً: أتذكر أن أُمِّي طردت والدي حين اتخذ صديقة!! وبالطبع أخبرت زوجي بذلك وطلبت منه ألا يفعل مثل والدي!! وتقول أيضاً: عادة في الثانوية العامة يكون

الاندفاع من الفتيات للأصدقاء العشاق، ويفكرون أن هذه أمور مقبولة، أما في الجامعة فتقوم الفتيات بدراسة أصدقائهن وتفهمهن لهم. وعادة اللاتي لديهن مستقبل، ويخططن له يحترمن أنفسهن، في حين اللاتي ليس لديهن مستقبل جيد يكن غير مباليات وغير مهتمات!!

وتقول (أنغريد) (من فنزويلا وتعيش في أمريكا): زوجي أمريكي وابنه له صديقة تأتيه في عطلة نهاية الأسبوع دوماً، وتمكث في بيتي تأكل وتشرب وتنام وتعود ليلاً لعائلتها هذا صعب بالنسبة لي!! عندما كنت مراهقة كانت أمي ترفض أن يأتي صديقي إلى البيت، أو تجلس معنا طوال الوقت!!

ومن المعارف عليه حين تبلغ الفتاة الثامنة عشر تخرج قانونياً من مسؤولية الأهل، عندئذ يمكنها أن تعيش مع صديقها كزوجته تماماً، تقاسمه كل شيء عليها أن تدفع ثمن معيشتها مثله تماماً، مما يعني المزيد من دفع الإيجار والفواتير والتأمين والبحث عن مصدر للدخل. وهكذا يغلب الجانب المادي على الجانب الأخلاقي، وما أكثر ما يقترب هذا التغليب إلى جانب التغليب الغرائزي، وتستكر (ليندا هولدن) مثل هذا الوضع فتقول: كثير من الناس في مجتمعنا وثقافتنا متعلقون بالدعاية والإعلانات التي تقدمها الشركات، وهم يفعلون ذلك ليأخذوا مالاً! حتى شركات الأدوية لسوء الحظ، فالشركات يجعلون من الطبيعي أن تعيش الفتاة مع الفتى لأجل المال ولكن ليس معنى ذلك أن يكون الأمر طبيعياً، حتى وإن تطبع المجتمع على مثل هذه العادات الخاطئة، ولا يعني أنه صحيح أبداً، ولكن من نتيجة الإحصائيات يرى

كثير من الشباب الصغار أن الفتاة والفتى يحتاجان للعيش معاً قبل الزواج؛ ليتعرف كل منهما على شخصية الآخر، لكن هذا خطأ، فهما حين يعيشان مع بعضيهما لن يتعرفا على حقيقة كل منهما، فكل منهما سيعمد لتزييف حقيقته، ويعمل ما يريده الآخر، ويتجمل أمامه! فهما يكذبان ويتصنعان! لكن حالما يتزوجان وتبدأ مرحلة العلاقة الحقيقية والارتباط القوي بينهما تبدأ المشكلات في الظهور، وأول ردة فعل بينهما تكون بقرار: أنا سأخرج من حياتك!! فليس هذا هو الزواج القوي الذي يحتاج للتعهد بالأفضل للآخر وليس لنفسك، وإذا لم أبحث عن الأفضل لك وتبحث عن الأفضل لي ستكون العلاقة بيننا ضعيفة.

وربما يدفع الأهل ابنتهم للاستقلال بحياتها بحجة أنها أصبحت قادرة على تحمل مسؤوليتها، فبعد الثامنة عشر لا تعد طفلة! لكنها إذا رغبت بالإقامة لديهم عليها أن تحترم قوانين البيت وتسهم في نفقتها الخاصة، وإلا طردت شر طردة لكنه أيضاً يعد قرارها الشخصي، وإن أرادت الاستقلال بحياتها لا يمكنهم ردعها أو التمسك بها.

تقول (روحيليا): ابنتي عمرها 18 عاماً تدرس وتعمل بعد المدرسة أحياناً تقول: أريد أن أستقل في بيت خاص لي! فأقول لها إذا خرجت من البيت فلن تعود لي له مرة أخرى! ثم قالت: هكذا هم الأبناء لا بد من الحزم في التعامل معهم إن تمسكت بها ورجوتها أن تجلس فستصر على الخروج، سألتها: ألا تحبين أن يجلسوا معك في البيت؟ قالت: أحبهم، لكنني أحب نفسي أيضاً، فلقد تعبت كثيراً لأجلهم، وهم في بيتي، أنا التي تعنتني بهم وهم الآن أصبحوا كباراً، وكذا الحال مع ابني، سألتها: هل

لديها صديق قالت: لا أظن (!) فهي منشغلة ودائمة الجلوس في البيت، لكنني أحذرهما إن جاءتني يوماً ما حامل، فسوف نقطع عنها المساعدة ولن نعتني بطفلها.

ومنهن من تدري بنهاية علاقتها بالصديق وأنه لا يمكنه الزواج منها، ومع هذا تعيش لوحظاتها معه، وتستمر معه حتى يتركها!

تقول (ندی): كاندي (مهندسة إلكترونية) في الشركة التي يعمل فيها زوجي، عمرها (35) غير متزوجة، ولكنها على علاقة بشاب عربي منذ ست سنوات!! وهو يعمل في ذاتها الشركة ولا ينوي الزواج منها بطبيعة الحال؛ لأنه سيعود لبلده يوماً ما ويتزوج بأخرى من وطنه التي يختارها له أهله!! وقد كان صريحاً معها منذ البداية بنيته وقد تقبلت الأمر وهي تعيش لحظتها فقط!! هي معجبة بشهامته وأخلاقه العربية!! ومساعدته لها وقت حاجتها، بل هو مسؤول عنها مادياً!! فأصبحت منقادة له يأمرها فتطيعه يقاطعها في الحديث، وتنتظر له بإعجاب وترى فيه رجل أحلامها ولكن!! ما زال يعيشان معاً وكلاهما يعرف النهاية، لكنها لا تمنع بهذه اللذة القصيرة، فدينها وأخلاقها وعاداتها مجتمعها كله ومن حولها لا أحد يستنكر عليهما هذه العلاقة المحرمة، أما الشاب فيقضي منها حاجته ويستمتع بوقته معها، لكنه لا يسمح لها أن تكون زوجته وأم أولاده!! وهكذا حين يختفي الوازع الديني يمكن أن يحدث أي شيء!

وكم هي الآلام التي تعانيها الفتاة وخصوصاً في سن صغيرة من هجران صديقها وتعذيبه لها!! فهي لا تعيش طفولتها كما يجب؛ بل

تبلغ مبلغ المرأة حتى قبل بلوغها!! تقول (ماري): لقد نصحت شقيقتي بخصوص صديقتها، لكنها لا تزال متعلقة به برغم ما يسببه لها من ألم؟ شقيقتها ذات الستة عشر عاماً فقط تتخذ صديقاً! بل ودهشت حين عرفت كوننا مسلمات يحرم علينا اتخاذ الأصدقاء، وسألتني باستغراب كبير إن كنت سعيدة بهذا؟ سبحانك ربي! أكدت لها سعادتي وأن نقابي هذا هو أحد أدوات الحفاظ علي!!

قالت: صديقي يبلغ السابعة عشر عشت وإياه بضعة أشهر سعداء، ثم تغير كثيراً وأصبح يسبب لي الألم والبكاء، لم يعد يحترمني، وبأت مشكلاتنا يومية! خسرت أصدقائي بسببه، وأشعر أنني ضائعة وناقصة أحجاجة في حياتي، ولو أنه يسبب لي الألم وأبكي معه ومن دونه!

هكذا تكون الفتاة لعبة بكامل إرادتها، فهو يتسلل بها، وقد يطردها أيضاً شر طردة ساعة يملها، وربما بعد أيام فقط من تعرفه عليها، فإذا ملها أو وجد من تعجبه تركها، وعليها أن تبحث عن صديق آخر، وما أكثر الأصدقاء وتعددهم أحياناً كثيرة!، تقول (أمل): المرأة الغربية تحتاج الحب وتقدم على العلاقة مع الرجل، لكنه بالمقابل يلعب بها!!

وروت أخت عربية قصة زميلتها في العمل في إحدى الدول المتحررة التي تحمل أكثر من مأساة، فقد مارست الجنس صغيرة ومع أكثر من شخص في الليلة الواحدة وحين بلغت الثالثة عشر من عمرها أصبحت حاملاً من أحدهم، وبعد أن أنجبت الطفل سلمته لجدها لتربيته، وعادت للهوها وصادقاتها المتعددة، نشأ الطفل وهو يظنها شقيقته وجدته هي والدته، لكنه عرف الحقيقة في العشرين من عمره وأن هذه الشقيقة

ليست سوى والدته!! وكانت صدمة هائلة له فقد بسببها احترامه لأمه وربما للجميع! وتلاشى من نفسه الشعور بالانتماء لعائلته، وانهار كل ما كان يخطط له لمستقبل رائع، أصيب باكتئاب حاد وأصبح منحرفاً، ثم انفصل عن عائلته تماماً إلا من زيارات خاطفة فاقدة لمشاعر الحب والانتماء كلها، أما والدته فتزوجت في الثلاثينيات من عمرها وأنجبت طفلة تحاول عبر رعايتها لها أن تعوض فشلها فيما مضى!

وهكذا يكثر أولاد الزنى فيهم والمنتسبون إلى غير آبائهم، ويكثر أولاد التبني. مما يعني التفكك الأسري حتى قبل أن تبدأ الأسرة في التكون! ولا تسألي عن دور الآباء المفقود هنا! فهذه حياتها ولا تعنيهم، وذاك خطأ ارتكبته هي وعليها أن تتحمله بمفردها! بل إن أحد الآباء ينتقد ابنته المتدينة؛ لأنها تتبع تعاليم الكنسية التي تقول بضرورة وقف المعاشرة بين الصديق وصديقتها حالما يتفقان على الزواج! ينتقدها بشده لأنها لم تقدر سنّها وحاجاتها العاطفية مع صديقها الذي لم يصبح زوجها بالفعل!..

وقصص الأصدقاء والعشاق كثيرة ومتنوعة ومأساوية، الأمر الذي يدل على فداحة التحرر وحرية المرأة الجنسية، فقد أصبحت سلعة رخيصة لتشبع غرائز بهيمية لديها أو لدى الرجل، لا تعيش الطهر والنقاء، وتظن أن حياة اللهو هي الوصول للذة الدنيا!! وكلما كانت الفتاة مطلباً للأصدقاء زاد فخرها وإعجابها بنفسها، لهذا يعمدن إلى كل ما من شأنه اجتذاب الرجال، عبر اللبس الماجن والمغري، بل وتجاهر بعلاقاتها وتسعد بملاحقة الرجال لها، وتشعر بنشوة طاغية

لأنها مرغوبة، فتعتمد للمزيد من التعري ولبس الأشياء المثيرة والعلامات الدالة أحياناً، تقول (أولفا): إحدى الزميلات تضع خلخالين في قدمها وتقول لي: إنها إشارة مني للرجل أن اتبعني فأنا أحتاجك؟!

وتسعى بالطبع لتكون أفضل وأجمل أمام تشجيع الأهل أو اعتيادية الأمر لديهم وعدّه حرية شخصية لها، فتلك التي تصف تردد الفتاة الصغيرة في لبس الملابس العارية جداً!! بأن والدتها تشجعها للمرة الأولى، فيصبح الأمر اعتيادياً، وهكذا فيما يتعلق بالعشاق؟! يقول طبيب مسلم يعيش في إحدى الدول الغربية نقلاً عن إحدى الأخوات: تأتي إلي الأم بابتنتها ذات الثلاثة عشر عاماً، وتطلب فحصها للتأكد من خلو ابنتها من مرض ما يمنعها من إشباع غريزتها بدليل عدم اتخاذها صديقاً إلى الآن؟

وأخرى تحضر ابنها للسبب ذاته فهي تتعجب من عدم اتخاذ صديقة بالرغم من جماله!! وأخرى تتألم من أن ابنتها قبيحة لهذا لم تحظ بصديق!! تقول أخت عربية: زميل زوجي في العمل أبدى قلقه على ابنته التي هي في سن البلوغ؛ لأنها لم تتخذ صديقاً إلى الآن!

ومنهن من تصطحب ابنتها بكل اعتيادية للاطمئنان على جنينها الذي تحمله في أحشائها وهي لا تزال طفلة في الثانية عشر من عمرها!! الذي يدل على جرأة الفتيات حتى الصغيرات وعدم قدرة الأهل على منعهن أحياناً، وهو جلبها لصديقتها معها للمنزل وببيت معها أمام مرأى من أهلها، أو يعدّ ثقافة نشأت عليها منذ الصغر ونشأ كل

المحيطين حولها وهم يمارسون هذه الحرية! بل تطور الأمر وأصبحت الصديقة التي تعيش سنوات مع صديقها بلا رابط تدافع عن حقوقها وتطالب بها!! عرضت محطة تلفازية أمريكية قصصاً لأرامل، الذين قتلوا في أحداث سبتمبر¹. تحدثت عبرها عن التعويضات التي صرفتها الحكومة لهن ولأطفالهن، ومن بينهم سيدة تعاطف معها المشاهدون وصوتوا لها لإعادة النظر في قضيتها بعد حرمانها من تلك التعويضات، فهي لم تتزوج أب أطفالها!! بل كانت صديقتها عاشت معه سنوات عدة وله منها ثلاثة أطفال، وهو أحد رجال الإطفاء الذين قضوا في ذلك اليوم.. هي تحتج بقوة ومعها كثيرون في عدم العدل بحقها فهي تقول على الملأ: أنا عشت معه وكل حياتي معه ولنا ذكريات جميلة وأطفالي منه دليل على قصة الحب بيننا.

الإشكالية كانت أنه لم يوصي لها بشيء، ولم يكن اسمها على أي شيء رسمي بينهما (كعادة الأصدقاء!!) ومن ثم لا شيء يثبت أنها وريثته ولها الحق في التعويض!! تقول (ندى) (راوية القصة) معلقة على ذلك: هكذا تحكي قصة زناها في تلفاز عالمي، وأنها تعيش بالحرام مع رجل وتتجب منه بلا حياء ولا رادع أخلاقي!! نهاية الحكاية طبعاً بعد رفعها للقضية لم يصرف لها أي حق مالي من صديقها، لكن جمعت لها تبرعات كثيرة جداً!! هذه التبرعات قد تكون شاهدة على إنسانيتهم، لكنها شاهدة على مستوى أخلاقهم؛ لأنهم تبرعوا لها على أنها لم تخطئ وهذا حقها!!

1 - سقوط برجني نيويورك عام 2001م.

ومليونير آخر عاشت معه صديقته عقدين من عمرها منذ كان عمرها سبعة عشر عاماً دون أن يتزوجها، وحين تركها رفعت عليه دعوى واستطاعت أن تثبت أنها عاشت معه كل تلك السنوات (وهذا من الصعوبة بمكان) فحكموا لها ببعض التعويض! (وهذا من النادر أيضاً).

تقول (ندى) تلك القصص التي نراها مستنكرة وبيرونها عادية جداً، فالحرية الجنسية حق من حقوق المرأة تقضيها مع من تشاء!! تقول: لدي زميلة في العمل تعمل في المجال الطبي تقسم الشقة التي تعيش فيها مع فتاة أخرى، وأهلها في ولاية أخرى، هذه الزميلة تخبرنا كل يوم إثنين بمغامرة عاطفية جديدة تعيشها مع صديق (بوي فرند)، وقد اتفقت الفتاتان بأن تترك كل واحدة الشقة للأخرى عندما تريد أن تحضر صديقها لتمضي عطلة نهاية الأسبوع معه؛ لذلك كانت تحرص أن يكون لها عشيق في نهاية كل أسبوع حتى وإن اختلفت معه طيلة أيام الأسبوع تحرص على مصالحته هذين اليومين فقط!! وخصوصاً حين يحين دورها! هكذا تجمعهما ليلة واحدة فقط في علاقة أشبه بالحيوانية! والنتيجة أنها كل بداية أسبوع تعود محبطة غاضبة، ولا تكلمنا ساعات عدة حينها نعرف أنها في مشكلة مع صديقها، لكن لا نعرف من يكون هذه المرة؟؟ هل هو جوني أم توم أو ريتشارد؟؟ أسماء كثيرة في حياة فتاة واحدة فقط!! لا تعد في عرف المجتمع زانية أو تمارس جريمة تستحق العقاب أو حتى الاشمئزاز؛ بل تمارس حريتها التي يكفلها لها القانون والمجتمع!! مثلها كثيرات وكثيرات جداً، يسعين لتلبية رغباتهن الجنسية بلا محاذير.

تقول (جميلة) (أمريكية اعتنقت الإسلام): لدي ثلاث زميلات في العمل يحكين تجاربهن في البارات ببساطة وبلا استحياء!! وعلاقاتهن مع الرجال!! وتقول (لوذي) كولومبية تعيش في أمريكا: النساء هنا يغيرن الرجال ببساطة! كل شهرين مثلاً تكون مع صديق آخر.

وتحدثت (أم عمر) عن زميلتها في المدرسة (نورما) تقول: كنا ندرس معاً ثم انقطعت عني حتى رأيتهما وكان عمرها ثمانية عشر عاماً وهي حامل سألتها: هل تزوجت؟؟ فقالت: لا! أنا حامل من صديقي (العربي!!) لقد عارضت أهلي، وعشت معه سنة كاملة دون زواج (هي ووالدتها يهوديتان ووالدها إيطالي) تقول: حين أنجبت ابني كان هو في السجن بسبب المخدرات (وكانت هي أيضاً تتعاطاها وتوقفت لأجل حملها) وحين خرج من سجنه عاش مع أهلها، تقول محدثتي: قابلت نورما بعد سنة ونصف، قالت: لقد منعتني من رؤية ابنه، لقد طلبت من الشرطة أن تحميني منه، بحيث لا يقترب من بيتنا مسافة معينة وإن تجاوزها أبلغت الشرطة ليقبضوا عليه. لقد أصبح يسرق المال من أهلي وينفقه على شراء المخدرات.. المؤلم أن أهلها فقراء وهي تبحث عن عمل لأجل ابنها، تركت المدرسة بالرغم من صغر سنها وازداد وزنها، أصبحت تتعالج لأجل إنقاص وزنها، لكنها اضطرت لترك العلاج فابنها أولى بثمر العلاج، لكنها تتنقل من عمل إلى آخر!!

وقصة أخرى من (ندى) تقول: لدي جارة تعيش في أسرة متوسطة (أم وأب وبنت وولد) جاءني يوماً لتسألني عن برنامج حكومي لمساعدة المراهقات الحوامل (بحكم عملي في دائرة حكومية)، الذي حدث أن

ابنتها المراهقة (التي يقولون إنها فتاة ملتزمة) حملت من صديقها المراهق فقد كانا في صف اللغة الإسبانية، وهو مكسيكي لا يجيد الإنجليزية!! الأهل كانوا في حالة هلع في البداية فقط، ثم أصبح الأمر عادياً بالنسبة لهم، فالاختلاط وحرية الفتيات المطلقة تجر مثل هذه المصائب عادة!! تتابع (ندى): الوضع بعد ثلاث سنوات هو أن الفتاة تعيش مع عائلتها ومع طفلها الذي أنجبته، بل جاء الصديق ليعيش مع عائلة الفتاة، وهو بعد لا يتحدث الإنجليزية!! وللأسف فالمدرسة باختلاط التلاميذ والتلميذات، وخصوصاً في مرحلة المراهقة والبلوغ تساعد على المزيد من الانحلال وإقامة العلاقات المحرمة بين الصغار، تقول (أم أحمد): كانت ابنتي في الرابعة عشر من عمرها حين سألتها عن ماهية أحد المباني في مدرستها قالت: إنه خاص بالتلميذات الحوامل!!

وتقول وفاء في السابعة عشر من عمرها: من الطبيعي أن نرى تلميذات حوامل، والآباء هم تلاميذ أيضاً!!

وهكذا تتحمل الفتاة المسؤولية، ولا تعيش طفولتها الطبيعية، بالمقابل تقول (وفاء): بعضهن وهن قليلات يرفضن الصديق نظراً للمشكلات الكثيرة التي تقع عادة بينهم.

تقول إحدى الأخوات في المدرسة: رأيت فتاة روسية في السابعة عشر من عمرها هاجرت بحثاً عن عمل لتصرف على ابنتها التي أنجبها في عمر الرابعة عشر!! تركتها عند والدتها وهاجرت في هذا العمر الصغير!!

حكى لي إحدى الأخوات قصة مشابهة، لكنها أكثر إيلاماً عن غريبة أسلمت حديثاً بصحبته أربعة من الأبناء ولدين وبنيتين تحدثت عنهن بقولها: إن هؤلاء أطفالي بالتبني وأهمهم ابنتي بالتبني أيضاً فلم يرزقني الله تعالى بأطفال، فأخذتها صغيرة من الملجأ، وحاولنا تربيته تربية سليمة، لكنها حين أصبحت مراهقة تمردت علينا، وخرجت من البيت، وعاشت مع صديقها المدمن لتدمن المخدرات هي أيضاً!! بعد أشهر عدة جاءت إلي وهي تحمل جنيناً في بطنها؛ لأن صديقها غضب من حملها ولا يريد طفلاً يقيده، مكثت عندي حتى أنجبت طفلتها الأولى، وعادت لصديقها الذي طردها مرة أخرى بعد إنجابها طفلاً آخر!! وجاءتني بطفليها تقول لي: إنها ستعرضهما للتبني، فتبنيتهما أنا حتى لا تسلمهما لأشخاص آخرين!! وعادت لتعيش مع مدمن آخر وتفعل فعلتها الأولى، لكنها تتصل في كل مرة بعيد ولادتها إن كنت أريد طفلاً آخر، وإلى الآن أعطتني هؤلاء الأربعة وأعاني من تربيتهم كثيراً، فأنا لست صغيرة، وهم لديهم مشكلات صحية جراء تعاطي والدتهم المخدرات أثناء مدة حملها بهم! لكنني أعدهم أحفادي، ولا ذنب لهم ليرموا في الشارع، أو يتسلمهم أحد غيري. والحقيقة أن هذا الجانب من حياتهم، أصدقاء وعشاق وعشيقات وأطفال بلا زواج من أخطر ما أفرزته الحرية، وجعلتهم يمارسون البغاء العلن في بعض صورهم!!

وقد تحدثت وسائل الإعلام الأمريكية عن تنازع ثلاثة أشخاص وقيل أكثر على نسب طفلة رضية لمثلة مشهورة بعيد وفاتها، وكل

منهم يرى أنها ابنته، فقد كان على علاقة بوالدتها في مدة حملها بالطفلة!! وقد أظهرت نتيجة الحمض النووي نسبتها لأحدهم، بالرغم من أن الابنة مسجلة باسم محامي الممثلة!! جملة من التعقيدات تتكرر كثيراً في هذا الشأن!!

وليس سراً كما أسلفت أن تعاشر المرأة أكثر من رجل، ولكن هل يمكنها أن تعيش مع رجلين في المنزل ذاته؟! تقول محدثتي: صحوت على جلبة وصراخ وسباب وشتائم في منزل جارتني؛ هذه الجارة مطلقة ولها أبناء وتعيش على نفقة الدولة! حدثت مشكلة بينها وبين عشيقها؛ لأنه حين عاد من سفره للعيش معها وجد عندها عشيقاً آخر!! فحدثت تلك المسادة بينهم وقالت تلك المرأة: إنها رفضت أن يتدخل عشيقها الأول في حياتها، وفي النهاية اتفقوا أن يعيش الاثنان معها؟! تخيلي امرأة ورجلين وبينهم أطفال؟!!

تناقض الحرية وقوانينها الوضعية يتضح جلياً فيما شنته وسائل الإعلام الأمريكية في أواخر شهر نيسان/ إبريل من عام 2008، من حملة استهجان واسعة على طائفة نصرانية ترى بتعدد الزوجات تقيم في تكساس، وهم يلزمون المرأة باللباس المحتشم، ويزوجون الفتيات في عمر مبكر بعد البلوغ، وقد وجدت السلطات مراهاقات حوامل، وأخذت الولاية المئات من الأطفال لرعايتهم وحمايتهم! تعلق محامية (أمريكية اعتنقت الإسلام) على ذلك (بغض النظر عن طقوسهم ومعتقداتهم) فتقول: لقد شنت وسائل الإعلام حملة قوية على ما حدث في تكساس في مسألة تعدد الزوجات الذي يعني حقيقة رجل واحد وعدة زوجات، ولكن

تظل النساء زوجاته والأبناء أبنائهم!! وقد يوجد رجال سيئون أو العكس في تلك المجموعة، بالمقابل لدي في المكتب قضايا ومشكلات كثيرة، مثلاً جاءتني امرأة تريد أن أرفع قضية إثبات نسب على رجل متزوج، وهي عشيقته، وهو يعاشرها من سنوات عدة ولها طفلان منه، وزوجته لديها ثلاثة أطفال منه، وأثناء القضية ومتابعتها في المحكمة ظهرت امرأة أخرى حاملٌ منه أيضاً!! وهي عشيقة أيضاً! فما هو الأفضل الآن كما حدث في تكساس، حيث الزواج الديني برغم أنه غير قانوني، لكنه يظل شرعياً، والأطفال شرعيون، أو كما حدث في هذا الوضع في تلك القضية؟ حيث رجل واحد لديه زوجة وعشيقتان ولديه ثلاثة أطفال شرعيين وثلاثة غير شرعيين من امرأتين، مما يعني رجل وثلاث نساء؟ وهاتان المرأتان تقولان: ليس لدينا زواج شرعي أو قانوني، ونريد إثبات نسب أطفالنا للرجل! وتتابع: أنا قد لا أوافق على تعدد الزوجات، لكن لماذا أحرمه على الآخرين الذين يرضون به، نحن نقول: ذلك سيئ، لكنه حادث على أي حال (رجل واحد وعدة نساء!!) لقد انزعجت كثيراً من الأخبار وهم يخطئون هذا الدين فقط؛ لأنه يعلم الفتيات الصغيرات أن أحسن شيء في العالم هو الزواج وإنجاب الأطفال، لماذا أجرم الناس لأنهم يدرسون الصغيرات ذلك؟ فهذا شيء شخصي، فقد لا تفعل الصغيرة نفسها ذلك الأمر، وكيف تقنع شخصاً بشيء لا يريده، هذا الاعتقاد أظنه سيئاً، فالصغيرة حين تختار الزواج بعمر السادسة عشر لماذا تعتقدون فعلاً أنها مرغمة على ذلك؟ فهي تختار الزواج طاعة لأهلها وللكنيسة، ولأن الله يريد ذلك، وأنتم ترونه إكراهاً لها! بينما

البنات هنا في أمريكا يقررن بأنفسهن من عمر الخامسة عشر البدء في الجنس حتى دون رضا أهلهن، ويحملن أيضاً فما هو وجه الخلاف هذا أمر غير منطقي؟! وما نحن نقول: هذه أمريكة، ولكن نرى امرأة يؤخذ منها أطفالها؛ لأنها لم تقل لابنتها لا تستطيعين الزواج قبل أن يكون عمرك 18 عاماً¹.

أما 19 فيمكنك الزواج فما هو سحر هذا العمر (18)؟ هل لأن الكنيسة تعتقد أن هناك منفعة في ذلك؟ أنا لا أصدق بهذا الاعتقاد، وهل هو اتباع للرب؟ فما الفرق بين الزواج في سن 18 أو 19 أو 16؟ لكنني لا أقول: إن 16 عمر مناسب للزواج، لكن عندما كنت صغيرة في ولاية تينيسي كان الزواج بعمر 14 قانونياً، ولكن الوضع اختلف الآن. ولكن ماذا نفعل هل نتبع الآخرين لأن اعتقادهم مختلف؟! هكذا سيجعل كل الناس يخافون، وسيتساءلون طالما أنهم فعلوا ما فعلوا في تكساس ماذا سيفعلون بنا؟ فأنا مثلاً برغم أنني لا ألبس الحجاب، لكنني قلقة على أخواتي المسلمات المحجبات، وأتساءل: ماذا سيفعلون بأخواتي المسلمات المتحجبات ما دام هذا ما حدث في تكساس حين أخذوا الأطفال من عمر السنتين من أمهاتهم.. برغم أن الأطفال معتنى بهم، يأكلون ويشربون ويعيشون في حب وسط مجتمع، أكل هذا لأجل تعدد الزوجات فقط؟ إذ ليس هناك مشكلة ولم يعامل الأطفال بسوء لكنهم يقولون: إنهم يرغبون البنات على الجنس، وهن يمارسن العلاقة بعد الزواج فقط، فهل الأفضل إذأ ما يحدث من المراهقات

1- الولاية أخذت مئات الأطفال من أمهاتهم.

حين يمارسن الجنس دون رضا أهلهن؟ لكن من سيجيب عن أسئلة
منتسبة للقانون؟

أليس من المزعج جداً أن نتحدث إحدى الشابات مشيرة لخمس
أطفال صغار في أعمار متقاربة جداً فتقول: كل هؤلاء أطفالي، لكنني
لا أعرف من هم أبائهم؟! أو يصبح سؤال بحجم (هل تنامين مع رجل
واحد أم عدة رجال؟) اعتيادياً روتينياً يلقي على النساء المراجعات في
المستشفيات، وفي المقابل تحريم تعدد الزوجات، والمعاقبة عليه بالسجن.

أو حين تقول: (سيليسيا) يكثر الحمل خارج الزواج في الأماكن
الفقيرة، لكنه يحدث بالطبع في طبقات المجتمع جميعها، ولكن الذين
يملكون المال حين تحمل ابنتهم المراهقة يستطيعون إخفائه بالإجهاض
مثلاً بدفع مصاريف ذلك، أما الفقراء فالكل يعلم أنها حامل! لكن
الحقيقة أن هذا الأمر (الحمل خارج الزواج) لم يعد مشكلة في هذا
البلد، حتى إن المرأة العازبة تحمل خارج الزواج عامدة، فليس هناك
طريقة أخرى لتكون أمًا!! وهذا اختيارهم الشخصي، لا أستطيع أن
أحكم عليهم فيما إذا كان ذلك خطأ أو صحيحاً، فهذه حريتهم، وهذه
هي الحرية التي حصلت عليها المرأة في هذا البلد.

7- الزواج الحلم وكثرة الطلاق

كم تكون المرأة الغربية تواقفة لدفع الأسرة والزواج من صديقها أو
غيره، لكنها لا تستطيع في أكثر الأحوال، حتى قالت إحداهن بعجز بالغ:
الزواج ليس مقدراً لكل امرأة! ويبقى حلماً تسعى له المرأة مهما بلغت

درجة الإشباع الجنسي لها، فهو يعني استقرارها وثباتها، لكنه الرجل المستفيد. الأول من كل الدعاوى التحررية والأفكار المخالفة للفطرة، فهو يمتلكها ويشبع نهمه منها فلم يتزوجها؟؟ ويحمل نفسه مسؤوليات كثيرة!! يقول مسلم أمريكي إمام أحد المساجد: إنهم كفار بلا أخلاق ولا تقوى فلماذا يتزوجون؟؟ وهم يملكون النساء بلا زواج؟ وحين أتمت إحدى الأخوات المسلمات حديثها أمام الصف، وكان بحثاً عن المرأة المسلمة وتكريم الإسلام لها، تحدثت لها إحداهن بأنها تغبط المرأة المسلمة لهذه المنزلة الكبيرة التي تحظى بها، وقالت: إنها عاشرت اثنين وخمسين رجلاً!! وهي مضطرة لذلك لعل أحدهم يرضى بها زوجة له!! وهكذا أصبح الرجال يفضلون الصديقة على الزوجة كثيراً، حيث يمكنه التخلي عنها في أي لحظة بلا تبعات، ولو عاش معها سنوات وأنجب منها!.

تقول (جيسكا): توجد مشكلة كبيرة للمرأة في الثقافة الأمريكية، فهي تسعى جاهدة لجذب الرجل بطريقة جنسية، تعيش معه وتشبع غريزته لعله أن يتزوجها ويحقق حلمها في تكوين الأسرة والاستقرار، أما نظرة الرجل مختلفة عنها تماماً، فهو لا يريد الزواج من المرأة لماذا؟ لأنه قد حصل على كل ما يريده، فليس له حاجة للزواج منها، بل يفضل أن يعيش أصدقاء؛ لأنه لو تزوج ستكون عليه مسؤوليات.. بدهياً، إن العشيقان يعيشان مع بعضهما للجنس فقط، وكلاهما يعمل ويحصل على دخل مادي، ويتحمل مصاريفه بنفسه، إلا أنه غالباً ما تنفق المرأة على الرجل وعلى مستلزمات البيت أكثر منه بحثاً عن رضاه وكسباً لمودته،

بل ويصل ببعضهن أن تتحمل الواحدة منهن نفقة المعيشة كلها، فلم
إذا يبحث الرجل عن الزواج وقد حصل على كل ما يحتاجه ويريده؟
فتجد كثيراً من الرجال يفضلون أن يعيشوا مع خلية دون زوج، وذلك
لحصوله على كل رغباته الجنسية والمادية!!.

حكّت لي أخت عربية أنها رأت امرأة تصرخ وتبكي، وكانت حافية
القدمين من فرط ذهولها، وتبكي بكاء مريراً، وتمسك بيد رجل وتلومه
بشدة وتصفه بالخائن، فقد وعدها بالزواج وتتصل من وعده!! كان
يسحب يده منها ومن ثمّ من حياتها!!

تقول (فادين): عندما كنت شابة صغيرة كان الرجال ينظرون لي
بوصفي شخصاً من الممكن أن يذهبوا معه في موعد غرامي، أو ينظر
لي على أنني امرأة تهدد زوجاتهم وصديقاتهم بخطف شركائهم منهم،
وأكون محرّجة جداً كوني امرأة عازبة، وأظل حذرة في علاقاتي معهم،
وأحياناً يريد الرجال إقامة علاقة معي ولا أكون متشوقة لذلك! إذ ليس
من الجيد إقامة علاقة غرامية مع رجل لا يتوقع أن تنتهي بالزواج، فمن
الصعب على كثير من الأمريكيات ألا يشترطن العهد بالزواج لإقامة
علاقة جنسية مع الرجال، فالرجل يذهب بعيداً بعد انتهاء العلاقة
بها بلا اهتمام، في حين تتألم المرأة وتواجه المشكلات، حتى وإن لم
تحمل منه إنه نوع من التحدي أن تعمل علاقة مع الرجل دون أن يتعدى
حدوده! وعندما وجدت زوجي كنت بعمر الخامسة والعشرين وهو في
الثامنة والعشرين، وكان كلانا له علاقات سابقة مع العشاق، لكنها لم
تكن علاقات جدية، وأعرف نساء تزوجن من أول شخص أحببته لكن
انتهت بالفشل، وخصوصاً عندما يخونها زوجها.

تقول (لوذي) كولومبية تعيش في أمريكا: خرجت لتناول العشاء مع زميل فطلب أن أذهب معه لقضاء الليلة! فرفضت فقال: لماذا؟ إنها الحرية أنت في أمريكا! على الرغم من أن له زوجة في بلاده المكسيك! إنهم أصبحوا يعتقدون أنك إذا خرجت معه ثلاث مرات مثلاً فأنت تحبينه، وهذا يعني إشارة للجنس!!

وتتحدث (أم محمد) (تعيش في نيوزلندة) -فتوضح مدى رفض الرجل عندهم للزواج-!! بقصة زميل زوجها في العمل، وشخصية هذا الرجل تتكرر كثيراً في المجتمعات المتحررة، فهو في التاسعة والأربعين من عمره ويرفض الزواج تماماً، بل يكرهه، ويصف المتزوج بالمبتلى والغبي!! فهو يفضل أن ينتقل بين النساء ويجرب مختلف النساء، ويتم حديثه بتعبير مقرر جداً!! تقول محدثتي عندما سأله زوجي:

أنت تعمل الآن وتملك المال واشترت بيتاً مع صديقتك الحالية! فأين ستذهب أموالك وممتلكاتك بعد وفاتك؟ فأجاب بالقول: لا بأس لربما للكلب أو القطّة أو حتى لجمعية الرفق بالحيوان، وتابع بارتياح لقرار اختيار ورثته!! لا تنسى يا صديقي أن الكلب هو أفضل صديق للإنسان!

لهذا ليس بالضرورة أن كل اثنين يعيشان مع بعضهما متزوجان، بل على العكس أكثرهم عشاق وأصدقاء!! ولا غرابة أن تسأل الطبيبة مثلاً سؤالاً مستغرباً بالنسبة لنا ومعتاداً بالنسبة لهم عن رجل وامرأة يتابعان حمل المرأة لديها: هل أنتما متزوجان؟ وبالطبع ليس مستغرباً أن تري امرأة حاملاً بلا زوج!! حتى إنني سمعت من يسأل امرأة حاملاً هل أنت متزوجة؟ وما أكثر الآباء والأمهات الذين يأتون برفقة

بعضهم للمستشفيات لمتابعة الحمل، وهم أصدقاء غير متزوجين، بل أكثر من المتزوجين!!

تقول إحدى الأخوات: جاءت جارتني تشكو هجران صديقها، فدهشت بشدة، وكنت أظنه زوجها كل تلك السنوات، بل أنجبت طفله أيضاً! ولعل أكثر ما يدعو للدهشة في هذا الجانب أن يحضر الأولاد زواج والديهم!! وهذا في أفضل الأحوال طبعاً حين يتزوج الصديقان بعد سنوات عاشاها سوية كالزوجين تماماً! وبعد إنجاب الأطفال!!

لكن الزواج يبقى هدفاً تسعى له المرأة بكل طاقتها والعناية برشاقتها وجاذبيتها وملابسها الفاتنة، أو تؤذي نفسها بالوشم وثقب أذنها وفمها وشفتيها ووضع القطع المعدنية في وجوههن لمزيد من الجاذبية باعتقادهن! وترضى بالصديق على أمل أن يتزوجها، ومنهن من تتركه إذا لم تستطع إقناعه أو إغرائه بالزواج، ومصارحته لها بأنه لا يريد الزواج والارتباط حتى وإن وجد بينهم أطفال!!

تقول (سيليسيا): سأحدثك عن واحدة أعرفها هي في أوائل الثلاثين لها ابن، وتريد أن تتزوج، لأنها تحتاج للحب، وهي جميلة لذلك خياراتها كثيرة! لذلك تقابل رجالاً كثيرين في مواعيد غرامية، ولم تعثر على الرجل المحدد الذي تريده وتتمناه زوجاً. وبقدر ما تقابل الرجال بقدر ما تبتعد عن الشخص المطلوب أو ربما أضاعته، هي تعمل وتضيف ساعات عمل إضافية، وتقضي معظم وقتها بعيدة عن ابنها مما سبب مشكلات لابنها، الذي يجلس عند والده، ووالده كَوْن عائلة ثانية. وعلاقته ليست جيدة مع والده أما أمه فعلاقته بها جيدة، لكنها

تغيب عنه كثيراً، تحب مساعدة ابنها ومشاركته في أنشطة المدرسة وكذلك مساعدة الآخرين، لكن لديها مشكلات صحية، يقول الطبيب: إنها بسبب كثرة الضغوط التي تعانيها، لذلك لديها كثير من الخيارات مما سبب لها الضغوط.

وقد تضطر الصديقة للزواج من صديقها وإن لم ترغبه إذا حملت منه حسب رغبة الطرفين بالطبع. تقول عاملة في أحد الأسواق: أنا حامل وأعمل بضغط من زوجي الذي اضطررت للزواج منه بعد أن حملت منه! لرغبتني أن يتربى طفلي بين أبويه..

ولكن مع هذا فالبعض منهن ألغين فكرة الزواج وتبعاته من حياتهن!! (كان د. (جون والس) يقول: إذا كان للمرأة أن تكسب أكثر مما يكفي لتكون مستقلة مالياً فالزوج لم يعد ضرورياً!!، وإذا كانت تستطيع ممارسة الجنس دون إنجاب أطفال، ويبدو ذلك حقيقياً في روما الكاثوليكية وبريطانية العلمانية فلماذا الزواج؟¹). يورد (باتريك بوكانان) في كتابه رأياً مشابهاً لقول إحدى زعيمات الحرية: (لن تنتصر حرية المرأة دون إبطال استرقاق الزواج) ويقول معقباً: (الآن أغلب النساء الأمريكيات لم يلذن للأحسن وأصبح لديهن عداً تجاه فكرة الزواج والعائلة)². وبالطبع هذه دعاوى الحركات النسوية ونتائجها التي اجتاحت بأفكارها المجتمعات الغربية، فهي ترى فكرة

1- كتاب موت الغرب لباتريك بوكانان ص 13 نقلاً عن شيرلي ستون هاوس -توقيت

الضريبة من أجل قرية بلا أطفال - 26 نوفمبر 1999م.

2- باتريك بوكانان، موت الغرب، الولايات المتحدة، ST. MARTINS PRESS

2002، ص 41.

تأجيل الزواج أو حتى إغائه، وتراه نوعاً من البغاء بطريقة أخرى!!
ويجب التحرر من قيوده.

ومنهن من يكون تركيزها على العمل وهو الأولوية في حياتها، وبالتأكيد
فالانغماس في العمل والترقي فيه صرف نظرهن عن الزواج والارتباط
(نتقدم للدراسات العليا مع كل التوقعات أننا سوف نستخدم شهادتنا،
ولن نتركها لتذبل كي نصبح أمهات، أول ما نفكر فيه عندما نتخرج ليس
من نتزوج؟ بل ما هو العمل الذي سنحصل عليه وعندما نتزوج يكون في
أذهاننا أنه من المسلّمات أن أزواجنا سوف يعاملوننا بمساواة معهم)¹.

ولكن كم تكون فرحة المرأة كبيرة جداً وتعصف بتماسكها فلا
تستطيع أن تغالب دموع الفرح حين عقد قرانها، ولا تستطيع أن تردد ما
يقوله القس لفرط بكائها، فهي ستصبح زوجة.

كما قالت لي إحدى الجارات مستبشرة: إن ابنتها ستتزوج صديقها
وتابعت (ربي حماها ربي حماها) قالت هذه الجملة لمعرفة القليلة
بالعربية! وليس غريباً أن تتزوج المرأة وهي حامل فأحداهن تشعر
بالقلق من زواجها الذي سيكون بعد أيام، إذ كيف ستبدو بفستانها
الأبيض مع بطنها المنتفخ!

تقول (ندى): هذا المنظر ليس بغريب في المجتمع الأمريكي والغربي
عامة أن تري عروساً حاملاً بالفستان الأبيض!! ويبدو بطنها للعيان،
والجميع يحتفل بها بلا استغراب!!

ومع كل زواج يكون لها اسم جديد فهي تنتسب لعائلة زوجها، فإن
طُلقت عادت تحمل اسم عائلتها، وحين تتزوج من جديد تحمل اسم

1- دانيال كريبتندن - ما لم تقله لنا أمهاتنا ص 17.

الزوج الجديد، مما يسبب كثيراً من الإحراج، وخصوصاً للنساء المعروفات من طبيبات ومحاميات وغيرهن من المسؤولات... ومنهن من ترفض الفكرة أحياناً تقول (إيلينا): لم أحب تغيير اسم عائلتي عندما تزوجت ولم أغیره لاسم زوجي إلا بعد أن أنجبت أطفالي، كما أن والدتي لم تغير اسم عائلتها حتى بعد أن تزوجت والدي.

فتغيير الاسم يحتاج وقتاً وأوراقاً كثيرة تخص المرأة التي تحتاج لتغييرها كرخصة القيادة مثلاً والتأمين والعمل! لذلك بعض المطلقات يحتفظن بأسماء أزواجهن السابقين لكثرة تلك الإجراءات، أعرف رجلاً تزوج ثلاث مرات وزوجته الأولى تحمل اسم زوجته الأخيرة نفسه!!

ومن الوهم أن يُعتقد بسعادة (بعض) الغربيات المتزوجات بتسلطهن على أزواجهن، فكيف تكون كذلك وهي تقوم بدورين أو أدوار عدة؟! الزوج والزوجة والأم والقائدة والمنفقة وغيرها! هذا مع مشاعر الإحباط، فالمرأة عادة لا تحترم الرجل الضعيف، وهي تقود زوجها، وربما تنهره أمام الجميع، وهي المتحكمة والمسيطرّة في نقوده، والمتحدّثة باسمه التي تقرر عنه! قالت إحدى الجارات عن زوجها الشغوف بالقمار: أعطيه مئة دولار فقط! (مع أن لديه راتبه وأكثر من بيت يؤجرانه).

لكن ما الذي دعاهن لذلك؟؟ لأنها ترى والدها ومعظم المحيطين بها يخضعون للنساء حال الزواج فقط، فأصبح الأمر تعوداً أكثر منه مبادرة!! ومنهم من يسعد بتحملها المسؤولية كلها عنه ومنهم وهم كثر، كما قال خطيب أحد المساجد: يصبرون على الرخص!! كما يقول المثل عندهم: إذا (أردت الرخص فامسكها!) والحقيقة أن أمر الزوجة

الغربية غريب، ففي مقابل محاولتها التمسك بزوجها وحاجتها له، تأتي قوة شخصيتها وضعف شخصية الزوج بعدم استطاعته فرض سيطرته كونه زوجاً ورجل بيت، أو يصبح للأسرة قائدان، ولكن تبقى سلطة الرجل غريزية لدى بعضهم، ولأنه لا يستطيع قانونياً أن يسيطر على زوجته فهو بين أمرين، يصبر لتستمر الأسرة، أو ينازعها القيادة، فتكثر المشكلات وتبقى الأسرة تحت التهديد دوماً! وبالطبع هذا من أكثر الأسباب التي تجعل الرجال يعزفون عن الزواج ويكتفون بالعشيقات؛ لأن المرأة تتذلل له وتحاول اجتذابه وتلين له، ثم إذا ما تزوجته ملكته وقبضت عليه!!

وبالطبع حين تتزوج تتحمل عبء الأسرة أكثر من الزوج، فهي عاملة طيلة النهار، ثم مهتمة بالبيت والأطفال، وبالرغم من مساعدة الزوج في ذلك تبقى هي المتحملة الجزء الأكبر وبهذا تكون الغربية جنت على نفسها، أو جنت عليها الحرية كثيراً، فهي حين تساوت مع الرجل أصبحت تؤدي دور الرجل ودورها كامراً!! مما يسبب لها ضغوطاً كثيرة، فلا تستطيع النجاح في كلا الدورين!! وما أكثر الإحباط والشعور بالفشل، وفقد كثير من الدور الطبيعي لها!

وفي إحصائية عن النساء الأمريكيات (في العام 2005، كان هناك نحو 63 مليون أميركية متزوجة؛ و55 مليون أرملة أو مطلقة أو أميركية لم تتزوج مطلقاً. وهناك أكثر من 82 مليون أم أميركية، بينهن 5,6 مليون أم يكرسن وقتهن كاملاً للعناية بأطفالهن ولا يمارسن أي وظيفة

أخرى¹. هذا التركيز لدى القلة منهم (بالنظر للفارق بين العائلات والمتفرغات) يكون عادة لمن لديها أطفالاً رضع فإنها تعود للعمل عندما يكبرون قليلاً، هذا ما أكدته واحدة ليست منهم، لكنهن يقلن بأسى: إن دخل الأسرة ينخفض تبعاً لذلك، وهذا ما يضطرهن للعودة السريعة للعمل عندما يكبر الأطفال قليلاً.

وإن من الطريف أن ما يدعوهم للفخر والتحدث عن أحد أهم الإنجازات في حياتهم أنهم قضوا كزوجين خمسة عشر عاماً لحد الآن مثلاً! بضعة سنوات هي عشرتهم تكون مدعاة للفخر والاعتزاز والدهشة أيضاً! (المتزوجون الجدد الذين يتعاهدون على البقاء مع بعضهم للأبد (عند عقد القران) القليل جداً منهم يفهم أن فرصة بقائهم معاً بنسبة 50%)². وذلك لسهولة الطلاق وكثرة المشكلات بين الأزواج.

تتحدث الأخت (سارة) (أمريكية اعتنقت الإسلام) فتقول: ومن المشكلات الزوجية أن الزوجة تغيظ زوجها وتسيء له إذا كانا متزوجين! مما يتسبب في ضربه لعلاقتهم الطبيعية، ومن ثم تدفعه لبحث في مكان آخر عن علاقة بامرأة أخرى ليشبع رغباته الطبيعية.

تقول (بارب): زوجي وأنا نقوم بالتدريس في برنامج بناء الزواج في مقاطعة ليك كاونتي، وقد وجدنا أن الأزواج في الانفصال يعتقدون

1- نشرة واشنطن -15 مارس- 2007، مكتب الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأمريكية.

2- دانيال كريبتدن - ما لم تقله لنا أمهاتنا ص20.

أن المشكلة الأولى التي تسبب الطلاق هي نقص النزاهة والصراحة بين الزوجين.

ونسبة الطلاق فعلاً مرتفعة وما أكثر ما يقلن: إن لدينا حرية طلاق فهو يأتي بسهولة، بالرغم من أن إجراءات فك الارتباط بين الطليقين كثيرة وخصوصاً إذا كانا مشتركين في كل شيء البيت والمال، وطبعاً الأطفال ونفقتهم ومع من سيعيشان. بل وحتى قطع الأثاث قالتها لي مطلقة بشيء من الأسى: الآن نقوم بإجراءات الطلاق، ونقتسم كل شيء في البيت!

إحصائيات الطلاق مخيفة بالنسبة لأمريكة ولن نذهب بعيداً لو أخذنا منطقة صغيرة، بل حارة، بل مجموعة من البيوت فسندرى غلبة المطلقات، أو بتعبير أدق اللاتي يعشن لوحدهن أو يعتنين بالعائلة وحدهن فمثلاً: نسبة كبيرة من جارائنا في المنزل، إما تعيش مع صديقها، أو مطلقة، بل تتشارك مطلقتان في البيت ذاته وتقتسمان كل شيء في البيت وكذلك تدفعان معاً الإيجار والفواتير. تقول (بارب): الطلاق هو أحد الخيارات ويبدو الحل الأسهل إذا شعرت المرأة أنها لم تعد تحب زوجها وتكون قد تعلقت بآخر غيره، ولكن في علاقتها الجديدة قد تثقل كاهلها مشكلات مثل الفقر بسبب الطلاق وعدم استطاعتها تحمل مسؤولية الأبناء بمفردها. والرجل قادر أن يترك أبنائه متسبباً في تشتيت أسرته كما أن عدم تعهد العلاقة الزوجية تعهداً صحيحاً يشجع على الطلاق عند حدوث أي مشكلات بدلاً من الوقوف على حلها. اختلاط العلاقات أيضاً (فقدان الإخلاص والاهتمام الحقيقي) يؤدي بالسيدات إلى علاقات مختلفة مع الرجال من غير أن يجدن فيها أي أمان وطمأنينة.

ولعل من أسباب سهولة الطلاق استقلالية الزوجة المادية.

تقول (سيسيليا) (مطلقة): الحرية شيء يحدد من ناحية اجتماعية واقتصادية المرأة تستطيع الزواج بمن تريد، أو تطلق من تكتشف إنها أخطأت في اختياره وتزوجته. من المفترض الحد من حرية الطلاق وكذلك الزواج؛ لأنهما من السهولة الآن، في الماضي لم يكن الطلاق سهلاً لأن المرأة ليس لديها حرية اقتصادية لتعمل، فكانت تجلس في البيت وتعتني بالزوج والبيت، أما الآن بعض النساء تعليمهن أفضل وربما أفضل من الرجال، ولديها مال، وتحضر جليسةً للأطفال فصار خيار الطلاق سهلاً؛ لأنها لم تعد تعتمد على الرجل.

تقول (إيلينا): عدد غير المتزوجين وصل رقماً قياسياً ونسبة الطلاق أكثر من 50%، ويبدو أن لا أحد يحب الآخر بصدق، ولهذا يقتلون بعضهم بعضاً والآباء والأمهات لا يتفقون، ومن ثم يذهبون إلى الأماكن الخاطئة ملء فراغهم.

تقول (ليندا هولدن): حق الطلاق مصيبة لمئات الأسر، لكنه ربما يكون حلاً لحياة آمنة جيدة لها ولأطفالها في حالات الإيذاء الجسدي والفكري والعاطفي، ولكنها حالات نادرة تقريباً. ففي معظم الحالات لا تعي المرأة والرجل أنهم لا يؤذون أطفالهم فحسب بالطلاق، ولكنهم يأخذون 50% من مشكلاتهم لعلاقاتهم الجديدة، فلا بد أن يفكروا قبل أن يهربوا للطلاق!

تقول (سيليسيا): استمر زواجي تسعةً وعشرين عاماً، ولي ابنة متزوجة وابن والآن أنا مطلقة! وهذا يعدّ حرية، لكنني أعاني من الضغوط، بالنهاية فقد استسلمت!

انتقلت للعيش بجانب منزلنا جارة جديدة تبدو مع عائلتها (طفلين ورجل!!) وحين تحدثت معها قالت: إن هذا الرجل صديقها، لكنهما سيتزوجان قريباً!! وكم كررت هذه الجملة ولكن! كانت عيناها ممتلئتان بالحزن الذي خلفته مشكلات كثيرة في حياتها مع طليقتها، وتعاني صعوبة في النوم وتبدو ذابلة كثيراً، على الرغم من صغر سنها، تقول: لقد عانيت من زوجي السابق كثيراً وصبرت عليه كثيراً لأنني أنجبت منه، لقد كان سيئاً؛ يقيدني بتصرفاته ويريدني أن أبقى في المنزل، وهو يخرج لحفلاته ليلاً، ويقيم علاقات مع النساء، والآن طلقت منه وانتقلت للعيش مع صديقي، وقد فرح والدي بانتقالنا سوية لهذا المنزل لدرجة البكاء! لكن زوجي السابق غاضب من علاقتي مع صديقي، وصديقي أيضاً لديه مشكلات مع زوجته الأولى التي تكثر من الاتصال به -ابنها منه يعيش معهم- وهي حالياً ليس لديها زوج ولا صديق وتضايقني كثيراً بتطفلها واتصالاتها، بل جاءت إلى المنزل مرات عدة، فهي تريد أن يعود صديقي لها، وحين تكرر إزعاجها طلبت الشرطة، فعرفت أنهم يعرفونها لكثرة مشكلاتها، وحين تراني تحييني وأنا أكره ذلك!! أقول لصديقي: لقد تعبت من المشكلات وقد لا أستطيع الزواج منك إن استمرت المشكلات أيضاً أو فعلت ما فعله زوجي السابق.

وبعد الاختلاط في العمل من أكبر مسببات الطلاق بين الأزواج والفرقة بين الأصدقاء، فهل سيكون الأمر طبيعياً دوماً والمرأة تتألق كل صباح وتأتي إلى عملها، وقد أحاطت نفسها بهالة عطرية بالغة الفوح! ويكون سلامها على زملائها أحضاناً وقلبات ثم ضحكات

وأحاديث وتعاون في العمل وصحبة في الاستراحة وساعات الغداء؟ وكم يبثها همومه ومشكلاته مع زوجته أو حتى صديقه مثلاً، ومن ثمّ تحل محل زوجته بكل سهولة من هذا الجانب على الأخص، وهي كذلك تبثه مشكلاتها وهمومها!! وينشأ الود بينهم تتبعه لقاءات وسهرات وتؤكد ذلك المحامية في قصة تماثلها قصص كثيرة مشابهة، فالزوج وجد في زميلته في العمل الأذن الصاغية لمشكلاته وهمومه ومن ثمّ طلب منها السهر معه، لكنه فضل الرجوع لزوجته التي رفضته وطلبت الطلاق!!

وتدافع (إيلينا) عن حرية الاختلاط بالقول: إنها تثق في زوجها وهو كذلك فأنا لي زملاء في العمل وهو له زميلات، ويمكنني أن أذهب مع زميلي للمطعم مثلاً وأخبره بكل اعتيادية وهو كذلك!! لكنها قطبت ملامحها وخفت حدة اندفاعها، حين تساءلت: ماذا لو كانت زميلته من النساء الجميلات جداً والمعتنية بنفسها كثيراً وتحدث بغنج ودلال!! قالت: ليس لديه زميلات من هذا النوع.

وليس مستغرباً أن يصل هدم الأسرة وتفككها وطلب الزوجة للطلاق لأسباب تافهة جداً في نظرنا على الأقل، تقول (روز) عن أمريكية تحدثت لها عن أسباب طلبها الطلاق من زوجها: فقد كان جاداً في حياته بطريقة لم تعجبها ولم ترحها، فهي تراها حياة خالية من اللهو والمتعة: لا سهر ولا شرب وغيرها من اللهو المعتاد لديهم!

أوقلة وفاء من الزوجة روتها الأخت (رنا) حيث جاء لعيادة زوجها مريض في أوائل الخمسين من عمره كان حزيناً ومتألماً، فقد طردته زوجته وأم أبنائه (في العشرين من أعمارهم) بعد أن أثقلها مرضه والعناية به

بالرغم من أن مرضه ليس شديداً. طردته ليعيش في شقة لوحده حتى تتم المحكمة الأمور المالية بينهما، ومنعت أولاده من الحديث معه في هذا الموضوع!.

ومن أوجه الحرية التي يحق للمرأة ممارستها أنه قبل الطلاق رسمياً يمكنها أن ترتبط بأي رجل بوصفه صديقاً مثلاً، دينس تقول: إنها منفصلة عن زوجها (لم يتم الطلاق رسمياً بعد) وتؤكد: لكنني أستطيع مقابلة أي رجل أريده، لكنني لست مشتاقة لعلاقة أخرى، فليس لدي طاقة، فأنا أتمرّ بأوقات صعبة وأعتقد أنني لن أتزوج ثانية، فالزواج يعني أن تكوني مسؤولة عن زوج وهو مسؤول عنك أمام المجتمع، حتى وإن كان ذلك في البيت حيث الخصوصية، وإذا لم يكن هناك احترام فسيكون الرجل هو المسيطر حتى لو كان ذلك في أمريكا

والمحاكم تنوء بكثير من مشكلات الطلاق الذي يحتاج لإجراءات ومحامين يطلبون مبالغ كبيرة عادة، لذلك تبرز ظاهرة هجران الزوجة من قبل الأزواج، تقول أخت مسلمة: لاحظتُ ظاهرة هجران الأزواج لزوجاتهم؛ وذلك يعود لإجراءات الطلاق التي تحتاج وقتاً طويلاً ومبالغ ليست قليلة، لذلك كثيراً ما أشاهد أمهات يعتنين بالعائلة وهي ما يسمونه single mother.

ومنهن من تعود للعيش مع أسرتهن إذا وافقت على ذلك على أن تتحمل النفقات، فهذه (ميري) تقول وعيناها مغرقة بالدموع، وتحمل صغيرتها ذات الخمسة أشهر، وتراقب صغيرها وهو يلعب: أنا في الثانية والعشرين من عمري، تزوجت وأنا صغيرة، وزوجي يكبرني كثيراً، كنت

أعمل وأعطيه المال، وحين أنجبت صغيرتي تركني وذهب إلى صديقة أخرى، وقد أكون محظوظة؛ لأنني استطعت العودة إلى أمي وأسرتي، لكنني أنا المسؤولة الآن عن الصغيرين وزوجي لا ينفق عليهما مطلقاً؛ بل لم أعد أراه (كانت تتلفت وكأنها تبحث عنه) ولم ير صغيرته، لقد ذهب مع صديقة جديدة وتركني، وبالطبع لست سعيدة بذلك، فالمسؤولية كبيرة عليّ وحدي، وأتمنى الجلوس في البيت لكنني أعمل من أجل أطفالي؛ أعمل معظم اليوم أعمل من الساعة صباحاً وإلى الخامسة عصراً، أنا متعبة جداً وأتمنى الجلوس في البيت مع أطفالي، إنه من الصعب أن تكون الأم وحدها المسؤولة عن تربية الأطفال.

وإن من أكثر مشكلات ما بعد الطلاق بين الطليقين تتعلق بالنواحي المادية إذا كانا مشتركين في المال، ومن سيحتفظ بالأطفال إن كان بينهما أطفال؟ وفي بعض الجوانب يكون ظلماً للمرأة أو للرجل، حسب حكم المحكمة.

فمثلاً إذا تضرر الطليق من تطليق زوجته له يكون هو الكاسب من حصص القسمة! والعكس طبعاً هي الكاسبة وخصوصاً إذا رضيت بتحمل مسؤولية الأطفال، وإذا كان راتبه أقل منها يمكن للمحكمة أن تحكم بما يرضيه وحسب اتفاقه وإياها، كأن تعطيه تعويضاً، أو تصرف عليه شهرياً، أو يكون البيت من نصيبه مثلاً، كل هذا وهي طليقته!! وحججه في ذلك كثيرة ليثبت أحقيته في ما لها، فهو الذي يعتني بالأطفال مثلاً، أو يقوم بالأعمال المنزلية أكثر منها!! والعكس أيضاً.

وهنا تبدأ لعبة المحامين والبحث عن الثغرات القانونية وسبل الإقناع! وهي بالطبع أمور تتعلق بقوانين معينة تختلف في أمريكا من ولاية لأخرى.

تقول محامية أمريكية: من قصص الطلاق حين أراد الزوج إكمال دراسته قل دخله السنوي وأصبحت الزوجة أكثر دخلاً منه، وبعد طلاقهما أصبح البيت من نصيب المطلق حتى وإن كانت مطلقته هي التي اشترته!! وتقول: المرأة أيضاً إذا كانت المطلقة أكثر دخلاً من مطلقها وقد اتفقا على أن يعيش أطفالهما المدة نفسها عند كليهما، وعندها يتوجب على الأم أن تدفع للأب نفقة الأبناء عندما يحين دوره في العناية به، هكذا تحدثت المحامية!! مع اختلاف القوانين بالنسبة لولايات أمريكا.

تقول طبيبة مكشوفة بخيانة زوجها: إنها وضعت مخبرين سريين لمراقبته حين علمت بخيانتها، وبتعاون صديقاتها تمكنت من إثبات ذلك، بل تمكنت من إثبات حمل صديقة زوجها أيضاً! وهو بدوره بعد كشف الأمر ووصوله إلى الطلاق طالب بإنفاقها عليه، وتعويضه من تطليقها له: فهي أكثر دخلاً منه، وهو المتضرر من الانفصال، لكنها استطاعت أن تطلقه دون تبعات مادية.

تحدثت إلينا عن جانب آخر في مسألة المشاركة المالية فقالت: يوجد قانون أقره الرئيس الأمريكي (بل كلينتون) يسمى «قانون الزوج أو الزوجة البريء» يتعلق بضرائب الدخل، فإذا لم تكن المرأة مسؤولة

عن نفقات العائلة، أو استطاعت أن تثبت أن الزوج استخدم مال العائلة استخداماً سيئاً دون علمها ولا إذنها، فهي لا تكون مسؤولة عن الديون (الضريبية) وتتابع بمرارة هذا القانون تم تفعيله بعد سنة مما حدث لأمي، فوالدي تلاعب بضرائب الدخل، والمسؤولون لاحقوا أمي، لقد كان إيذاءً ساذجاً ومؤذياً فقد أخذت الحكومة منها أموالها كلها بعد ثلاثة عشر عاماً من العمل، فقد كانت سكرتيرة وتعيش في شقة فقط!!

وعلى هذه الشاكلة تمتلئ محاكمهم بمثل تلك القضايا، وهي بالطبع مشكلات مادية بحتة وليست أخلاقية بالرغم من الفضيحة وعدم الإخلاص الذي يقولونه ساعتها فقط! لهذا يعتمد بعض المتفقيين على الزواج بكتابة عقد بينهما، بحيث لا يطالب أحدهما الآخر بشيء في حالة الطلاق، فيكون التاريخ المالي لكل منهما مستقلاً عن الآخر وهذا ما يسمى: اتفاق ما قبل الزواج (prenuptial agreement).

مع أن كثيرات لا يرحبن به؛ لأنه يعني عدم الإخلاص والحب الذي من المفترض أن يكون بين الخطيبين ليصبحا زوجين، فضلاً عن استمرار حياتهما الزوجية! ويرينه دليلاً لعدم الثقة بينهما، واحتمالات الصبر فيما يعترضهما من مشكلات، وهذا يتنافى وكلمات يرددونها في اتفاق الزواج!

إنه يعني هروب الزوج بلا تبعات وربما العكس. وقد اشتُهر عن أحد أكبر أثرياء أمريكا كتابة مثل هذا العقد في علاقاته الزوجية الكثيرة

التي انتهت بالطلاق، وقال حين سألته مذيعة بإحدى القنوات التلفازية الأمريكية - كانت قد استضافته ليتحدث عن خبرته وتجربته كونه ثرياً - لماذا يعمد لكتابة عقد ما قبل الزواج؟ فكانت إجابته: لو لم أفعل ذلك لما رأيتني أمامك في هذا البرنامج!

ويبقى الأطفال هم المتأثرون في أي مكان وأي زمان!! تقول ميري (معلمة): لدينا في هذا البلد (أمريكة) قوانين منفتحة تؤدي أحياناً لمشكلات خطيرة، وخصوصاً على الأطفال، فإذا لم يكن هناك قوانين تساعد على التحكم في العائلة، فسيعاني الأطفال من المشكلات مثل حرية الطلاق، فقد تكون جيدة إذا كانت المرأة تعاني، أما إذا كانت لمجرد الطلاق بهذه الكثرة ودون نظام، فالأطفال هم الأكثر معاناة وسيتسبب لهم ذلك في كثير من المشكلات.

وهم في أمريكا غالباً ما يكونون في حضانة الأم تقول (إلين): في الغالب في الولايات المتحدة وبنسبة عالية جداً تكون حضانة الأطفال من نصيب الأم، وقد حفز ذلك على إنشاء حركة حقوق الأب، حيث يريد بعض الآباء حضانة أبنائهم أيضاً، فمثلاً في حالة أمي وأختي حين رغبتا في الطلاق لم تتابعا الإجراءات؛ لأن لديهما أطفالاً في المنزل، وهذا سيؤدي إلى التأثير عليهما وانخفاض حياتهم المالية ففضلتا الاستمرار في زواج غير سعيد؛ لأنهما لا تستطيعان مساعدة نفسيهما وأطفالهما.. فهما لم تنهيا الكلية عندما كانتا أقل عمراً، لأجل الزواج.

وربما صبرت الزوجة على زوجها لسبب ما: كخوفها من تحمل مسؤولية الأطفال وحدها أو عدم وجود ملجأ آمن لها.

تقول إحدى الأمريكيات: لقد صبرت أختي على زوجها السيئ حتى كبر أولادها وتخرجوا من الثانوية العامة ولتوَّها تطلقت منه وانتقلت للعيش في بيت جديد، وتقول إحدى الأخوات: اشتكت لي امرأة بريطانية من زوجها الذي يحضر أصدقاءه للبيت لممارسة الفاحشة معها في نهاية الأسبوع، وكانت تصبر لأجل أن تعيش في البيت، كما أنه لا ضمان مادي لديها، ولا تستطيع أن تشكو لأهلها؛ لأنها تشعر بالخزي والعار!!! لكنه أيضاً استمر في ضربها واستغلالها حتى اضطرت للهرب أخيراً وأصبحت تعمل في عمل لا يقل عنه السابق رداءة!..

ولكن ليس في حالات الطلاق كلها تكون المرأة هي الضحية، بل قد تكون هي الكاسبة مادياً، حين تحتفظ بالأطفال ويلزم بالنفقة عليهم، وتستغل هذا المال لمتعتها وحاجياتها؛ لذلك كثرت الدعوات لتقييد ذلك الصرف باحتياج الأطفال عبر البطاقات الائتمانية فقط، حتى يستطيع الزوج أو المحكمة مراقبة مشترياتهم! لكنها على أي حال ولو التهمت نصف ما له تبقى الأكثر خسراناً في حالة الطلاق، وخصوصاً من تحتفظ بالأطفال الذين يكونون عقبة في طريق أي رجل آخر يريد الارتباط بها!! أو بتحملها مسؤوليتهم وحدها.

تقول (سندس): طُلِّقْتُ أُمِّي من أبي وعمري سبع سنوات، كنا خمسة أطفال رعتنا أُمِّي كما يفعل أي رجل أمريكي.

8- حرية الإجهاض وقتل الأجنة

يعدّ حق الإجهاض من أكثر القوانين مأساوية التي أفرزتها دعاوى التحرر، وذلك حين يعدّ الإجهاض حرية شخصية للمرأة وحرية اختيار لها، فيما إذا أرادت الاحتفاظ بالجنين أم التخلص منه؛ بمعنى قتله!! وتكاثّر الإجهاض ناتج عن الإباحية الجنسية المفرطة لديهم حتى للطفلة الصغيرة، فمنّ تريد أن تمارس الجنس فلتفعل، ومع أي أحد، عليها أن تمنع الحمل فقط! حتى لا تضطر للإجهاض أو تتحمل مسؤولية طفل، لكن الحمل يحدث؛ لهذا يكثر الإجهاض لكن (سحر السوق لا نهاية له إذا نسيت الحبة، أو إن كان المانع لا يعمل فأقرب عيادة للإجهاض لن تفشل!)¹.

والإجهاض أصبح حقاً دستورياً للمرأة بحماية القانون!! (حين أصبح الإجهاض محمياً بالدستور أثناء عقد من الزمن ارتفع الإجهاض إلى مليون ونصف المليون سنوياً، وأخذ مكان عمليات استئصال اللوزتين، حيث أصبحت عمليات الإجهاض أكثر العمليات شيوعاً في أمريكا، ومنذ «قرار بلاك مونز» بإباحة الإجهاض، أُجريت أربعين مليون حالة إجهاض إلى الآن². و30% من الحمل الآن ينتهي به المطاف إلى طاولة المجهز)³.

1 - باتريك بوكانان، موت الغرب، الولايات المتحدة، ST. MARTINS PRESS، 2002، ص 30

2- تاريخ هذه الطبعة 2002!!.

3- باتريك بوكانان - موت الغرب ص 27.

وفي أمريكا عرفت حرية الإجهاض قانوناً دستورياً منذ عام 1973م وهو ما يُعرف بقضية «رو» ضد «ويد»¹. (وأشار الكاتب الأمريكي «غاري نيلر» مؤلف كتاب (لعنة العام 1920) إلى قضية الإجهاض التي بلغت أرقامها نحو 3500 حالة إجهاض يومياً في أميركة وحدها)².

تقول «ليندا هولدن»: جزء من حرياتنا كوننا نساءً أمريكيات أن لنا الحق في الطلاق والإجهاض، وهذه ليست حرية؛ بل إساءة! فمن يؤيد حق الإجهاض يقول: إن للمرأة الحق في التخلص من حملها غير المرغوب فيه، حيث إن الطفل الذي تحمله ليس سوى جنين، ويحق لها أن تنهي حياته، ولكنهم لم يتطرقوا لما يمكن أن تعانيه من إحباط في حياتها، وأنه قد لا يمكنها الحمل مرة أخرى فقد تتعرض لنزيف خطر، أو تصاب بالتلوث أو حالات صعبة شديدة، وحتى الموت كذلك.

والحقيقة أنه وإن احتفظت بعضهن بأجنة الزنى أو المتزوجة أيضاً حتى الولادة؛ فربما الشعور بعاطفة الأمومة هو الذي يجعل بعضهن تحتفظ بالجنين، لكن كثيرات يجهضنه، فهن يفضلن الإجهاض على تحمل أعباء التربية، وقد تحدثت الأخبار عن أنه تم العثور في مدينة منهاتن على حاوية نفايات بها قطع آدمية بكميات كثيرة جداً لأجنة بفعل الإجهاض. (تعتقد الفتاة التي بلغت الثامنة عشر أنه يمكنها أن تمارس الجنس كالرجل دون قيود، وتنتهي تلك العلاقة بالإجهاض، أو تحضر الفصل الثاني عشر وهي حامل في الشهر الثامن)³.

1- حيث أباحت المحكمة الإجهاض في الأشهر الثلاث الأولى حقاً للمرأة وحرية شخصية.

والأشهر الثلاثة التي تليها يكون حسب قانون الولاية التي قد تبيح الإجهاض أو تحرمه.

2- صحيفة الحياة عدد 16486 في 19 - جمادى الأولى 1429 الموافق 24 مايو 2008.

3- دانيال كريتنن - ما لم تقله لنا أمهاتنا ص 20.

لذلك وللحد من الحمل (مع الاحتفاظ بالحرية الجنسية حتى للصغيرات) تقوم المدارس بتوزيع موانع الحمل منذ المرحلة المتوسطة، وقيل في المرحلة الابتدائية؟! تقول (وفاء) تلميذة بالمدرسة: المدرسة توزع موانع الحمل لمن يرغبها من التلميذات والتلاميذ!! للحد من الحمل، ومن ثم الإجهاض وكذلك بتثقيف الصغار بالجنس الآمن!! وتتجه الولايات المتحدة الآن لبيع حبوب منع الحمل في الصيدليات دون الرجوع للطبيب، وقد أقرت بعض الولايات ذلك فعلاً.

وهناك تحفظات للحيلولة دون إجهاض الأجنة المتأخرة قانونياً، ولكن المحاولات تفشل أحياناً!! ويتم قتل الأجنة في الأشهر الأخيرة بطريقة بشعة في بعض الحالات، حتى لا يولد الجنين حياً فيكون قتله جريمة!

تقول (سيليسيا): بعض النساء يشعرن بالحرية وبعضهن لا يشعرن بها وعندما تتكلمين مع امرأة بصورة منفردة تكتشفين أن ليس لديها كثيراً من الحرية. فهناك موانع غير مكتوبة، فالفقراء في مناطق معينة تختلف حريتهم عن الأغنياء، فما هو مقبول للأغنياء غير مقبول للفقراء، فالإجهاض مثلاً: الأغنياء يستطيعون دفع تكاليفه، لكن الفقراء لا يستطيعون بالإضافة إلى الموانع الدينية.

ومن الأشياء اللافتة في أمريكا أن نسبة الإجهاض ارتفعت كثيراً لدى الأمريكيات من ذوات البشرة السوداء، بعد أن كانت كثيرة في الستينيات بين البيض! وكذا نسبة الأطفال غير الشرعيين ارتفعت في السود، وذلك لأن الحرية كانت صدمة لهن بعد سنوات القهر والحرمان والتفريق العنصري، ومن الأهل من يجبر ابنته على الإجهاض فضلاً

عن استعمال موانع الحمل، فأحدى طالبات الثانوية تشعر بالألم برغم مرور سنتين على إجبار والديها لها بالإجهاض حين اكتشفوا حملها، وقررا التخلي عنها وطردها لو لم تجهض جنينها، تقول والأسى يعتصر قلبها: أشعر أنني قتلت طفلي بيدي!

وبالنسبة لأمريكة، فقد تكاثرت عيادات الإجهاض، وتدعم مالياً من لا تملك المال لعملية الإجهاض!! هذا فضلاً عن إجهاض المرأة نفسها برغم خطورته على حياتها، وما أكثر المظاهرات المتناقضة المتعلقة بالإجهاض في شوارع أمريكة، وتجرى لأجله المناقشات القانونية والسياسية ما بين مؤيد ومعارض، فمنهم يراه حرية شخصية للمرأة وللفتاة (حق الاختيار)، ومنهم من يرى حظره وحق الجنين في الحياة (حق الحياة)، ومنهم من يرى حق الإجهاض في زنى المحارم وحالة الحمل الناتجة عن الاغتصاب بالإضافة لخطر الحمل على صحة الأم، ومنهم من يرى حظر الإجهاض في حالة قدرة الجنين على الحياة (الأجنة المتأخرة)، ومنهم دعوا لتخدير الجنين قبل إجهاضه، ومع أن لكل ولاية قوانينها الخاصة بالإجهاض، ولكن لا تعدم الراغبات في الإجهاض من حيلة الانتقال لولاية تبيح الإجهاض في كل مراحله!! والرافضون للإجهاض يطالبون بالحد منه عن طريق الحرص على موانع الحمل! ريتا تقول: لدي شعور قوي تجاه الإجهاض ولا أحس أن الطفل ينبغي أن يقتل لأن الناس قرروا عمل الجنس، فإذا قرر شخصان أن يرتبوا لعمل الجنس فلا بد أن يمنعوا الحمل الذي لا يرغبونه، فالطفل

عندما تحمل به أمه لا بد أن يسمح له بالعيش، فهناك أناس يريدون أن يتبنوا الطفل الذي لم يولد لهم وهم يحبونه؛ لذلك يجب ألا يقتل الأطفال بواسطة الإجهاض.

ولكن (بارب) ترى بوجوب وقف العلاقات الجنسية خارج الزواج التي تؤدي للإجهاض بسبب إتاحة الاختيارات للمرأة الغربية وكثرة هذه الاختيارات، التي فهمت بشكل خاطئ، فمثلاً حرية الإجهاض أو الولادة تكون بسبب وقوع علاقات جنسية خاطئة (خارج العلاقة الزوجية). فتتضرر المرأة جسدياً وروحياً وعاطفياً بمثل هذه العلاقات، وبالذات مشكلات ما بعد الإجهاض. فتعتقد أن إتاحة مثل هذه الاختيارات لها قد تعطيها مزيداً من الحرية، ولكن تكتشف فيما بعد أن لها نتائج سيئة.

المساواة

هذه العبارة أو هذا المفهوم (مساواة المرأة بالرجل) هي أكثر ما يقلق النساء وخصوصاً المتزعمات للحركات النسائية اللاتي يرين أنفسهن وصيات على نساء العالم! تبدو الواحدة منهن وكأنها تشعر في قرارة نفسها بالدونية تجاه الرجل، وهو ما قادهن لانتزاع الذكورة منهن، وأحياناً محاولة تعزيز الأنثى في المجتمع بوصفها أنثى! لذلك أصبحت المساواة قانوناً يفرض ورأياً يُدرس! تتزعمه الأمم المتحدة عبر كلمة الجندر وفكرته؛ التي تعني تساوي المخلوقين الذكر والأنثى

في كل شيء وأي شيء حتى وإن كان شيئاً يفوق قدرات المرأة الجسمية والنفسية! وأصبح لديهن حساسية مفرطة تجاه ما للرجل وليس لهن! يتلفتن بحذر باحثات عما له وليس لهن!

(وأثناء الثلاثين عاماً الماضية والسياسات العامة والفردية وأسلوب الحياة العامة شجعت الحركات النسائية، والقوانين التي دفعتها -بناء على سلاح الاعتقاد بأن النساء يردن أكثر من المساواة مع الرجال أو اختيارات خارجة عن العائلة- أثبتت أنهن يردن استقلالاً تاماً عن الزوج والعائلة. هذا الحل الافتراضي الذي سمعناه من الحركة النسوية سوف يكون دراما فاشلة)¹.

وتعترف إحدى المشهورات في أوروبا بخطأ فكرة المساواة، وهي الكاتبة ومقدمة البرامج الألمانية (إيفا هيرمان) (يكن الخطأ في ربط كلمة المساواة بأن تصبح المرأة رجلاً، أي تتخلى عن أنوثتها، وكأنه لا قيمة لها بوصفها امرأة، بل يجب أن تكون رجلاً لتصبح لها قيمة، إلى درجة إجراء تجارب كانت الحركة النسوية تدعمها في السبعينيات من القرن الميلادي العشرين؛ لتحويل المرأة إلى رجل أو الرجل إلى امرأة جسماً وليس نفسياً)².

تقول (سكينة) (أمريكية اعتنقت الإسلام): النساء يشعرن بالخوف وعدم الأمان من مقارنتهن بالرجل من حيث الإمكانيات! لهذا يعانين

1- الكاتبة الأمريكية دانيال كربتندن - ما لم نقله لنا أمهاتنا ص 24.

2- موقع قناة الجزيرة aljazeera.net.

من الضغط البدني والعقلي ليواكبن الرجال وينافسونهم، ويحاربون
لأجل تلك المساواة، ولم يدركن أن كلاً منهما له دوره، وليس هناك أحد
أحسن من أحد!! وأن الله تعالى خلق الرجل والمرأة لمسؤوليات معينة،
ولا أحد باستطاعته أن يغير إرادة الله تعالى، وهكذا يشعرون بالفرق
عندما يحصلن على تلك الأمنية!

ولكن هل راضين بعد كل هذه المساواة؟

* تقول (راب): إن المرأة في هذه الدولة (أمريكة) لم يتم التعامل
معها على أساس المساواة بالرجل، ولا تزال تفتقد للمساواة
بالرجل إلى الآن!! ولكن أعتقد أننا أفضل من العشرين سنة
الماضية.

هناك تمييز في الجنس (بين الرجل والمرأة) في هذا البلد والتمييز
الجنسي أسوأ من العنصرية، ولكن العنصرية تثار وتناقش أما التمييز
بين الجنسين لا يناقش أبداً؛ لأنه من الشائع أن هناك مساواة متحققة،
لكن الواقع يقول غير ذلك، فلم نعد نرى الآن مظاهرات عن حقوق
المرأة والفيمينيزم، لأنه من المفترض أنها تحققت، لكن الأمر خلاف
الواقع فلو وجه سؤال للمرأة مثلاً: هل تعملين أم تربيين الأطفال يصبح
هناك إشكالية كبيرة إذا اختارت بينهما، بينما الرجل له حق الاختيار،
ولماذا تلام المرأة دوماً ولا يلام الرجل؟ كما حدث لحاكم نيويورك¹.

1- تورط في شبكة دعارة بوصفه زبونا عام 2008؛ واضطر للاستقالة وكان يسعى
للإصلاح الأخلاقي للمجتمع!!.

فقد كان متزوجاً لكنهم قالوا إن هناك خطة للإيقاع به ويلومون الفتاة التي تورط معها، وأنها مومس، ولكن إن كانت مومساً فهو مومس أيضاً! فلماذا ينتعونها بتلك الألقاب وهو لا؟ وإذا كانت تستحق السجن، فهو كذلك يستحق أن يسجن. إننا عندما نعبر عن هذه المشاعر يتهمنا الناس بأننا (فيمنيزوم)، لكنني لست كذلك، فأنا أحب زوجي وهو يعاملني معاملة جيدة ويحترمني ولا يريدني أن أكون خادمة أو عبدة له!

لكنني لا أختار أن أجلس في البيت وأصنع البسكويت، أنا أختار العمل نعم أريد الاهتمام بعائلتي لكن والاحتفاظ بعلمي.

وتخاطب (ريتا) الرجل بنظرة المرأة الأمريكية بالقول: المرأة الأمريكية لا تشعر أنه بما أنك رجل فأنت المسؤول الأول كشيء مسلم به!! فالقرارات والأحكام والقوانين والتصويت تقرر في حياتنا وتحدد، بحيث يكون للمرأة الحق في المشاركة فيها.. كونك ولدت رجلاً لا يعني تألقك وبراعتك، أو أنك أفضل من أن تكون ولدت امرأة!! كل شخص بغض النظر عن نوعه (الجنس) يجب أن يأخذ فرصته والمساواة في الحقوق يمنع الظلم عن المرأة!!

لذلك تتعاضم نظرتهم العدوانية كثيراً تجاه الرجل، وتقول إحدى الأخوات: إن الذي يتجاهلهن في العمل مثلاً يسمونه عدو المرأة. وبالطبع يروونه منعماً ومستأثراً بالسعادة والحقوق!

تقول (سيليسيا): الرجل أفضل حالاً من المرأة في الماضي حين تتزوج المرأة تعتني بزوجها وأطفالها، والآن تغير الحال، ولكن لم نر

تغيراً كبيراً، فالرجل تعتني به أمه، وإذا تزوج، فزوجته تعمل كل شيء في البيت وإذا عاش وحيداً يمكنه أن يتناول طعامه في مطعم، أما المرأة إذا كبرت فليس لديها خيارات فلو ذهبت لوحدها للمطعم لا تعامل كما يعامل الرجل؛ لذلك ليس لديها حرية كما الرجل.

تقول الأخت كوري: يجب أن تحصل المرأة على قدر من الحرية مساو لما يحصل عليه الرجل، إن كانت هناك ثمة مشكلة في الغرب، فهي في الحرية المتاحة للرجال، الرجال بطبيعتهم هم الخائنون، والملاحقون والآخذون. هم الذين يتركون نساءهم وعائلاتهم؛ ولذلك سلكت بعض النساء طريق الانحراف ذاته الذي بدأ به الرجال.

لكن الأخت (كوري) تتحدث بثقة المسلمة في أن الإسلام هو الحل فتتابع: الإسلام في الواقع يحد من تصرفات الرجال، لذلك الإسلام هو الأنفع للمرأة؛ لأنه يجبر الرجال على كبح جماحها. النساء بطبيعتهن لديهن رغبة فطرية بالحصول على التزام الرجال بالمسؤولية، والمعاملة من قبل الرجل بالاحترام وتكوين أسر مستقرة.

تقول (دينس)

الحرية جيدة للنساء، لأننا من المفترض أن نعامل كما يعامل الرجل، لماذا التمييز بين الرجل والمرأة؟ أنا لا أعرف؟ لكن ومع أننا في القرن الحادي والعشرين لا بد أن نثبت أنفسنا ضعف ما يفعله الرجل.

ولعل أول ما نلاحظه في المرأة الغربية أنها أصبحت رجلاً في هيئة أنثى، فقد فقدت أنوثتها ورقتها، وظننت أن لباسها المغربي يعيد لها طابع الأنثى وصفاتها التي انفرطت منها، حين خالطت الرجل واكتسبت صفاته من قوة وجرأة وصوت جهوري - حتى ضحكاتها المجلجلة - وانتزاع الحياء من حديثها وبعض تصرفاتها، واحتضانها للرجل في سلامها! واستطاعتها أن تقوم بكل الأعمال الموكلة للرجل الشيء الذي أفقدها رقتها وأنوثتها، فتلك امرأة تعمل نهارها كله في سكة الحديد، أو حارسة عند بوابات القواعد العسكرية، أو تقضي نهارها كله في سيارات مختلفة الأحجام والخدمات، أو تعكف في ليلة ظلماء باردة على إصلاح شارع سريع!! فماذا تبقى لها من صفات الأنوثة؟! بل إنهن يتصرفن كالرجال عامدات كي يصلن لما يطمحن له من مراكز، وحتى لا تتهم بأنها أنثى ضعيفة فلتكن قوية متجلدة تقول (ديانا): لا ينبغي للمرأة أن تتصرف كالرجال لتصل للمستوى الذي تطمح له، ولكن بعض النساء يفعلن ذلك، فيتصرفن كالرجال ليصلن لمنزلة عالية مثل (هيلاري كلينتون)، مع أنها ذكية ومتفهمة، لكنها تتصرف مثل الرجل. وتكافح لأجل ذلك حتى لا يقال عنها ضعيفة، كما لا تريد أن تتصرف بوصفها امرأة، فهي تحاول الوصول لأشق مهنة في العالم (رئيس دولة)¹.

تقول (الين): إذا كانت المرأة طموحة وصلبة في عملها التجاري يتهمها الناس بأنها ليست أنثوية مما يعني سمعة سلبية لها، لكنها -

1- كان ذلك أثناء المنافسة على ترشيح الحزب الديمقراطي لخوض انتخابات رئاسة أمريكا عام 2008 لكنها خسرت.

تلك الصفات- حين تكون في الرجل تكون سمعة جيدة له! أغلب النساء يعملن بكثير من الجهد ليحصلن على الامتياز مثل الرجل، لكن النساء أغلبهن لا يسعين لذلك؛ لأن لديهن التزامات عائلية وكي ترتقي في عملها لا بد أن تقضي وقتاً طويلاً في عملها.

لذلك تقول (ميري): نحتاج للتوازن في العلاقات وإرشادات واضحة لنحصل على قليل من المساواة بين الرجل والمرأة، إذ ليس هناك مساواة حقيقية بين الرجل والمرأة في الأحوال كلها سواء الأغنياء أو الفقراء.

تقول (ميجان) (21 عاماً): في الماضي.. الرجال فقط هم من كان لهم آراء دولية.. أو داخلية في دولتهم، وأعتقد أن هذا غير متوازن وأدى إلى كثير من المشكلات مثل كثرة الحروب.. والتمييز بين الجنسين، والتخريب لكوكبنا الذي نعيش فيه..

اليوم الرجال والنساء يحتاجون لبعضهم بعضاً ليتم التوازن والتفاهم.. إن كان الرجال يريدون لأطفالهم أن يكبروا ليكونوا صالحين أو محاربين في بلادهم، فيجب أن يسمعوا آراء النساء؛ لأنهن من يربين الأطفال.. ولأنهن يقضين وقتاً طويلاً مع الأطفال في المنزل، ويستطعن معرفة الأشياء المفيدة للأطفال.. والأشياء التي يجب عليهم اجتنابها.

9- الخيانة من قبل الزوج والزوجة

في بلاد التحرر والحرية الزوج لا يستطيع أن يعاقب زوجته الخائنة؟؟ أو يشكوها للمحكمة لأنها خائنة، فالقاضي والمجتمع وعالمهم الحر وقوانينهم الوضعية، يرون الخيانة حرية شخصية، هذا ما أكدته لي محامية أمريكية؛ على الأقل بالنسبة لقوانين ولايتها ويشابهها كثير من الولايات في القوانين، فهي تقول: (لا أستطيع أن أذكر جريمة الخيانة حتى وإن أكدها موكلي، فهي ليست جريمة بحد ذاتها!! إنها حرية شخصية فقط! ولا يستطيع الزوج أن يعاقب زوجته حتى وإن وجد أحدهم على فراشه، فإن ضربها دخل هو السجن!!) لكنها (أي الخيانة) تعدّ المشكلة الأولى التي تتسبب في الطلاق من قبل الزوج والزوجة أيضاً!! تقول أخت عربية مسلمة: لدي زميلة في العمل متزوجة ولديها ثلاثة أطفال واتخذت صديقاً بالرغم من ارتباطها بزوجها، بل وعلى مرأى من زوجها الذي لا يستطيع تأديبها، فإن ضربها مثلاً استدعت الشرطة وسجنته! وتبرر فعلتها تلك بأنه لا يصرف عليها، ولا تشعر معه بالسعادة ولا يلبي رغباتها، وعلى هذا فهي حرة في البحث عن سعادتها مع رجل آخر غير زوجها! وقد يكون استمرار ارتباطهما لأجل الأطفال فقط ومادياً تحديداً! وأخرى لم تنجب من زوجها فتركته إلى غيره؛ لأنه لا رابط يربطها به، ثم عادت له، ثم تركته وهكذا! وابتمت محدثتي قائلة: أي مثل طبق الطعام يتبادلونه كثيرين!

وأخرى تعمل معلمة!! يدخل زوجها ليجدها على سريرها مع رجل آخر!! ولم يستطع أن يفعل شيئاً، لكنها طلبت الطلاق وتريد البيت أيضاً!! وتحكي أخت مسلمة عن موت الغيرة لدى بعض الأزواج فهو يقول لزوجها: حين عدت من العمل وجدت جارنا الذي هو صديقي في منزلي! وحين سألت زوجتي عن سبب وجوده، قالت: ليصلح الغسالة!! لكنني شككت في خيانتها لأعود مبكراً من العمل يوماً وأجده أيضاً!! واكتشفت خيانتها فعلاً.. لكن في النهاية الزوجة هي التي طلبت الطلاق!! وليس هو، بل كان متأسفاً لرحيلها ويقول: كنت سأسامحها لو بقيت معي!! بالطبع موت الغيرة حتى عند الآباء الذين يرون اعتيادية صداقة ابنته مع أي فتى تختاره، فهذا أب ينزعج من وجود صديق ابنته في غرفتها، ويتساءل: لماذا لا يذهبان إلى مكان آخر غير بيتي؟!!

تقول مسلمة عربية: حين كنت طالبة في الجامعة وخطبني زوجي سألتني زميلتي الأمريكية -التي يظهر لي أنها من عائلة محافظة- وبشيء من الاستغراب عن طريقة الزواج لدينا، وخصوصاً السؤال الذي يدور في خلد الكثيرات ويقلقهن كثيراً: إذا تزوجت خطيبك هل من الممكن أن تثقي فيه وفي محافظته عليك دون أن يقلقك مثل أن يذهب لأخرى غيرك؟! وحين أجبتها: إنني لم أقلق بهذا الشأن ولم أفكر مطلقاً، وأثق تماماً أنه سيخاف الله فيني، أجابت: ليس هناك أحد ما من الممكن أن أتزوجه وأثق في أنه لن يرميني (!!) ويذهب لغيري أو يتركني ويتزوج غيري، وكانت بالفعل مخطوبة لأحدهم، وقلقة كثيراً: بل خائفة بشدة. فبالرغم من حالات الإخلاص، لكنها لا تعني التقليل من هذا

الداء في مجتمعات الحرية والتحرر، قالت لي محامية أمريكية قضية مؤلمة فيها من التدهور الأخلاقي الشيء الكثير!! زوجان بعد سنوات من زواجهما وإنجاب الأطفال اتفقا برغبة من الزوج على الحرية الجنسية لكل منهما؟! وهكذا أصبح له علاقاته النسائية ولها بالمقابل علاقاتها مع الرجال، ويتقابل الزوجان في البيت فقط لأجل أولادهما!! لكن ساءت حالتها النفسية وأدمنت الكحول والخمور بشدة، وحين حملت إحدى النساء من زوجها حدث الطلاق بينهما!! فاشتد إدمان المرأة وكلمها عولجت من الإدمان في المستشفيات عادت من جديد للكحول، وزوجها السابق ولشعوره بالذنب تجاه ما حدث لها تكفل بمصاريف علاجها، أما أولادها (في الثلاثين من أعمارهم الآن) يخجلون من أمهم التي وصلت لهذا الحال وهي في الخمسين من عمرها!!

من قصص الخيانة الموجهة والحرية القانونية المفجعة، قضية حكته لي أيضاً محامية أمريكية تقول: جاءني زوج يريد أن أرفع قضية طلاق ضد زوجته، وعرض مأساته بأنه رجل كثير السفر وعندما عاد في المرة الأخيرة وجد زوجته حاملاً بالرغم من غيبته الطويلة، وحين سألتها عن هذا الحمل أجابته بأنه ليس طفله!! هنا بدأ يشك في أطفاله الأربعة ومن هنا بدأت القضية وطلب تحليل الحمض النووي (الذي إن أي) ليثبت ما إذا كانوا أطفاله أم لا! لكن اشترطت الزوجة وهذا من حقها في قوانينهم أن يقوم بالتحليل من الآن وقبل الطلاق؛ لأنه بعد الطلاق لن تسمح بذلك ولن يأخذ الأطفال حتى وإن كانوا أبناءه!! فطلب تحليل الثلاثة الصغار فقط؛ لأن الكبير يحبه بشدة ولا يستطيع

أن يستغني عنه، والنتيجة المؤلمة أن الأطفال الثلاثة كلهم ليسوا أبناءه، بل كلهم من آباء مختلفين!! إضافة للجنين الذي تحمله في بطنها!! والآن أصبحت المشكلة فيمن سيستلم الأطفال وينفق عليهم، وخصوصاً أنهم يحملون اسم الزوج! وتتابع: إنها لا تستطيع أن تعول على كسب القضية لصالح موكلها كون زوجته زانية أو خائنة؛ لأن هذا قرار حكومي يكفل لها حريتها في أن تنام مع الرجل الذي تريده (الحرية الجنسية).

وبالطبع ليس غريباً عنهن أن يتعدد آباء أطفالهن أو لا يعرفونهم أصلاً!! وقد وصل الأمر لامرأة كان لديها تسعة من الأبناء من آباء مختلفين!!

وفي قضية أخرى تقول: قال لها الزوج حين عدت للمنزل أخبرتني ابنتي ذات الحادية عشر من عمرها أن والدتها تتعري أمام الناس في الإنترنت عبر الكاميرة وتعرض جسدها عرضاً مقززاً، وجعلت والدها يرى كل ذلك فغضب بشدة وكسر جهاز الحاسوب وحضرت الشرطة، بالرغم من أنه لم يضرب زوجته لكن الذي حدث أنه أصبح هو المخطئ والجهاز هو الضحية!! واتهمته أنه ضرب الجهاز فمن الممكن أن يضرب الزوجة! تقول المحامية: إنها لا تستطيع كونها محامية للزوج أن تقول لهم في المحكمة إنها كانت تتعري أمام الناس فهم يرونها حرة تفعل ما تشاء، ولكن المدخل الذي وجدته أنها جعلت ابنتها ترى هذه المشاهد الجنسية، وهو خطر على تربية الطفلة؛ إذ ليس باستطاعتها أن تكون أمّاً جيدة وقدوة حسنة، وهذا فقط ما جعلها مخطئة، وتتابع

المحامية أصبحت مشكلة لدي أن أجالسها في غرفة واحدة ولم أستطع مصافحتها تقزراً من فعلها؟؟ وعلى الرغم من أن الزوج محق في كسره للجهاز فهو منصدم، لكنهم لم يبرروا تصرفه بهذا الجانب الأخلاقي؟؟ ولعل تلك الأمثلة التي أوردتها من قاعة المحكمة تحكي بعض الرفض لها في حين أن كثيراً منها يعدّ عادياً لدى بعضهم حتى وإن لم تصل لقاعة المحكمة.

ومنهم من يجاهر بكل برود بالخيانة على صفحات الجرائد وفي التلفاز، فكم من اللاتي اعترفن بالخيانة فضلاً عن (البوي فرند) المعتاد عندهم سواء من النساء من عامة الشعب، أو من الأسر الحاكمة من ملوك وحكام! وهن حين يسلطن الضوء على حياتهن نجدها مثقلة بكثير من السلوك السيئ والخيانات! ويعترفن بذلك بثقة ويجدن المبرر لذلك بالانتقام من شركائهن أو إحباطات حياتهن!! ولعله ليس خافياً أن الليدي (ديانا) أميرة ويلز والملكة المنتظرة لبريطانية قبل أن تموت في حادث سيارة مريب عام 1997م، خرجت على الملأ وتحدثت عن خيانتها لولي العهد!! والأدهى من ذلك كله أن يحاكم رئيس أمريكا نفسه (بل كلينتون) عام (1998م) بتهمة الخيانة ويعترف بذلك علناً، بل ومارس فاحشته في البيت الأبيض مع إحدى المتدربات في البيت الأبيض!! وبالمناسبة في عهده ارتفع شأن الشواذ، ولم يعودوا يخلجون من شذوذهم! وتبقى حياة المشاهير والأثرياء من نجوم السينما والمجتمع حافلة بالقصص والشواهد التي تحتاج لسلسلة من الكتب، لذلك سنبقى في دائرة الشعب من غالبية المجتمع.

تقول مسلمة أمريكية: قبل إسلامي كنت متزوجة من رجل ملحد لا يعترف بالدين!! أنجبت منه ولداً وبنثاً.. كنت أثق فيه جداً! حين مرضت أمي البديلة التي ربنتي أحضرتها إلى بيتي، ولانشغالي الدائم في عملي جاءت قريبتني لتعنتني بها، فأصبحت تخونني مع زوجي! ولم أكتشف ذلك سريعاً! وحين ماتت أمي بدأت أشك في علاقتهما وحديثه لها بالساعات وحين تساءلت قال: أنت من طلب مني أن أتفهم عائلتك!! فصدقته، ولكن بعد سنة كاملة اكتشفته وعشت وقتها حالة نفسية سيئة وخشيت على حياتي من فرط الألم والصدمة في زوجي وقريبتني!!

هذه القريبة مطلقة ولها أولاد، تعرفت على رجل عبر الإنترنت وتسببت في طلاقه من زوجته وأصبحت تمارس الشذوذ أيضاً!!

وتقول عربية مسلمة: لدي جارة متزوجة من رجل من أصل فلبيني وزوجها يقول: إنه مليونير ويملك الكثير، لكن كل منهما مستقل عن الآخر، فكل له حسابه في البنك وحين يذهبان للمطعم مثلاً كل يدفع فاتورته بنفسه حتى وهما على طاولة واحدة!! كل منهما يأخذ إجازته في الوقت الذي يناسبه ويسافر وحده، على الرغم من أنها متزوجة من ثمانية عشر عاماً ولها ابن في الثالثة عشر من عمره!! هي أيضاً غير محتاجة للعمل ومرهقة من عملها، لكنها لا تستطيع أن تترك عملها لعدم ثقتها في زوجها!! وبالفعل طلبت الطلاق بعد أن اكتشفت خيانتها، فقد أرسلت خلفه مراقباً سرياً والتقط له صوراً مع عشيقته، فهو يملك بيتاً في ولاية أخرى وسيارة أيضاً، وحين قدمت له الصور لتثبت خيانتها

خيرته بين أن تفضحه أو يعطيها ما تريده!! واختار أن يرضيها بالمال..
ولأنها المسؤولة عن ابنهما فهو يدفع نفقاته شهرياً.

قصة أخرى تحكيها (ندى) التي قال لها زوجها: إن زميله
(مايكل) قرر الانفصال عن زوجته وأم أطفاله الثلاثة!! كان ذلك
مثار استغراب الجميع ليكتشف الجميع علاقة (مايكل) بزميلته
في العمل في الغرفة نفسها، ومنذ سنوات هذه الزميلة منفصلة عن
خطيبها أيضاً!! فقد كانا يسافران معاً في رحلات العمل ويمضيانها
سوية!! الذي حدث بعد طلاق (مايكل) لزوجته أن ترك لها المنزل،
وتزوج من زميلته المخطوبة لرجل آخر!!

وحكت لي الأخت (رندة) عن إحداهن التي وقعت ضحية غدر
أخرى!! فقد كانت قد اتفقت مع صديقها على الزواج، ودفعت كل تكاليف
الزواج، لكن أخرى خطفته منها في مدة وجيزة وتزوجته بالتكاليف
ذاتها التي دفعتها الضحية!! وكانت مثار تندرهما وسخريتهما!! .

كما اشتكت إحدى الجارات من خيانة زوجة أخيها الذي يملك
مطعماً فاخراً، وتريد أخذ نصفه بعد أن تتخلى عنه لأجل صديق
أعجبت به، لكنها انتظرت حتى انتهى ابنها من دراسة الثانوية لكي
يتحمل مسؤوليته بنفسه ولا تتحمل أعباء تربيته وحدها.

10- التفكك الأسري واعتياد المحرمات

الحقيقة أن أعداد الأسر بالمفهوم الطبيعي (أب وأم وأبناء) آخذة في
التناقص في المجتمعات الغربية على نحو لافت؛ بسبب التفكك الأسري

بين أفراد العائلة وكثرة الأمهات اللاتي يرعين الأسرة وحدهن بلا أب، فتكون الأم هي من يتحمل المسؤولية بعد أن يتخلي عنها شريكها إما زوج طلقها أو حتى تركها أو صديق قضى حاجته منها وذهب، لتتحمل مسؤولية ثمرة علاقتها به بالإضافة لظاهرة الطلاق وظاهرة الإنجاب دون زواج وزواج الشواذ، كلها تعني الطريق لاندثار الأسرة! وتبقى ظاهرة ما يسمى (single mother) أي الأم التي ترعى العائلة وحدها أكثر ما يقلق المجتمع الأمريكي والغربي عموماً.

تقول (فادين): كثير من الأمريكيات اللواتي لديهن أطفال وآباء الأطفال يتركونهم، كثير من النساء عانين من ذلك فهن اللاتي يتحملن مسؤولية الأطفال برغم مساعدة بعضهم، لكن كثيراً من الرجال لا يفعلون، من المحزن لي أنهم لا يتحملون المسؤولية فهم يخطئون وهذا نتفهمه (علاقات جنسية وإنجاب خارج الزواج)، ولكن لا بد أن يتحملوا مسؤولية الأطفال الذين تسببوا في وجودهم في هذا العالم، فمن الحرية أن ننام مع من نريد، لكنهم لا يفهمون عواقب ذلك، المرأة دوماً تعاني؛ لأن الرجل يتركها ويذهب عندما ينتهي منها، ولا يقلق بشأن الأطفال والمرأة وحدها من تقلق بشأنهم، سألتني (سوزان): ما هو شعورك أول ما قدمت أمريكة وأنت تشاهدين كثيراً من النساء الأمريكيات يعشن وحيدات بلا زوج، وهن اللاتي يهتمن بالعائلة فقط؟ أجبتها: أن ذلك مدعاة للأسف والحزن عليهن قالت: نعم بالنسبة لي عندما رأيت ذلك قلقت جداً، فعندما كنت أمّاً صغيرة كان شاقاً علي أن أعني بالأطفال وأنا لذي زوج، وعندي أهل يساعدونني كنت أفكر وقتها هذا صعب

علي، فكيف بتلك النسوة وهن ليس لديهن زوج ولا عائلة تساعدن؟ هذا صعب جداً جداً، شعرت بالأسف تجاههن وتجاه أطفالهن الذين لا يملكون الوقت الكافي ليقضونه مع أمهاتهم؛ لذا أحس بالأسف تجاه أولئك النسوة لأنهن يعانين، ومن جهة أخرى أشعر بالأسف تجاه النساء داخل بيوتهن، فربما منهن من يكون زوجها ليس في البيت، أو في الخارج يشرب الخمر، أو يعود للبيت يصرخ ويضرب الزوجة ويضرب الأطفال، وربما يكون في حياتها صعوبات أكبر وتضطر لفراق الرجل، وإذا شاهدت نساء وأطفال يضربون أقلق على وجودهم في البيت.

وبالطبع فأكثر المشكلات الأسرية تتعلق بانحراف الوالدين أو أحدهما، تقول (روحيليا) (عاملة في مصنع) مكسيكية تعيش في أمريكا: في طفولتي عشت حياة صعبة؛ والدي كان مدمناً للكحول (تسببت في مرضه ثم وفاته فيما بعد)، وقد تخلى عنا، أما والدتي انشغلت بما تريد أن تعمله أيضاً (قالتها بشيء من الأسف!!)، وكذلك بعملها لتتفق علينا لكنني كثيراً ما أعود من المدرسة جائعة فلا أجد ما أكله، وأنتظر شقيقتي لتتدبر أمرنا، وكنت لا أملك سوى ثوبين فقط، والداي كانا دائمي الشجار، فاضطرت للزواج في سن صغيرة جداً (15 عاماً) هرباً من هذا الجحيم. لا أريد أن يتكرر ما حدث لي لأطفالي (لديها خمسة)، لكن بالمقابل أريهم ليعرفوا أن الحياة ليست سهلة، فابنتي تذهب للعمل بعد المدرسة في أحد الأسواق.

ومن الحقائق المعروفة التي تزداد وتبرز بروزاً لافتاً في المجتمعات الغربية التفكك الأسري، فكل منهم منفرد باهتماماته ولا يعنيه الآخر في

شيء حتى أقربائهم وأولادهم يقولون لهم: هذا خطؤكم وأنتم تتحملون النتائج، أنا طاغية وعدم المبالاة بالآخرين سائدة وعدم الشعور بتأثير الأخطاء الفردية على المجتمع كلياً! تقول ميري (معلمة): الحرية قد تعطي الناس القدرة وأتمنى أن تعطيتهم القدرة على الإبداع وكشف مواهبهم، ولكن لا بد أن نتذكر أن حريتنا تحتاج أيضاً لتوازن العلاقات وتكون قوية، وتعطينا إرشادات واضحة عن كيفية صنع علاقات أسرية قوية لأن هناك كثيراً من التركيز على الأنا (ماذا أريد أنا؟ فقط)

وهذه (سيليسيا) تقول: لا أحكم على الناس ولا أقول لهم ماذا يفعلون وماذا لا يفعلون لست قاضية! فأنا لا أذهب للبارات وحاصلة على شهادة وعمل وسيارة وبيت! (وكلمة الناس تلك لا تعني بالضرورة الغرباء؛ بل قد تشمل أقرب الأقرباء) تقول (جيسكا): نعاني كثيراً من التفكك الأسري، فليس هناك حقوق لكل أفراد المجتمع، نفتقد كثيراً لمن نعتمد عليه في وقت حاجتنا، نفقد اليد الحانية التي تمدنا بالراحة، كل فرد مسؤول من نفسه ولا مسؤولية عليه تجاه الآخر. وخصوصاً المرأة التي عليها ضغوط كثيرة، فلا تجد من يتحمل معها عبء الحياة، فلا زوج يعين ولا مجتمع متكافل، وحتى الأبناء من أخلاء متعددين هي وحدها من تقوم بالقيام باحتياجاتهم النفسية والمادية كلها، حيث تتوقف علاقة العشيق بعشيقته ما أن يشعر بوقع المسؤولية عليه.

وتقول (فادين) أيضاً: أعتقد أن وجود كثير من الخيارات تقود للخطأ لا أريد أن نفقد حرية الاختيارات، ولكن كثيراً من الناس يفتقدون لمن يساعدهم للاختيار الصحيح، فكثير من النساء الصغيرات يفتقدن

لمن يأخذ بأيديهن ويساعدهن ويعلمهن أن هذا الاختيار صحيح، وهذا القرار صحيح.

وهكذا تدهورت القيم الأسرية وانفكت روابطها تقول أمريكية بكل أسى: لم نكن كذلك كان للأسرة دورها وترابطها ومساعدة أفرادها لبعضهم.

لهذا لم تعد الأسرة في المجتمع الغربي هي الموجه وهي اللبنة في البناء، فأفرادها يلتقون أثناء اليوم في المساء فقط وفي مدة وجيزة! فكيف ستنشأ العلاقات العاطفية، ومن أين سيأتي التماسك؟ وهم لهم حرياتهم واستقلاليتهم. تقول (مريم) (والدها عربي وأمها أمريكية): لكل فرد تفكيره المختلف تماماً، وكل منهم يذهب إلى جهة مختلفة وقد انشغل بنفسه، وخصوصاً حياته الخاصة، فالعائلة المسلمة مثلاً تكون لها الأولوية في اهتمامات أفرادها، وخصوصاً الأب والأم، في حين أنها تأتي في الدرجة الثانية من حيث الأهمية لدى أفراد الأسرة الأمريكية، فاهتماماتهم الخاصة وبرامجهم الفردية لها الأولوية في حياتهم، ولو تأملنا برنامج (أغلبهم) اليومي لرأيناهم بالرتابة ذاتها تقريباً، إنه عمل طيلة اليوم ولقاءً وجيزاً في المساء، ونوم إلى اليوم الثاني، أما في نهاية الأسبوع فيأتي دور السهر والشرب أو الذهاب للحانات والنوادي الليلية.

تقول (إحسان) (مسلمة عربية): أرى كل فرد منهم يعيش لوحده، لنفسه ولرغباته حتى الزوج والزوجة لكل منهم برامجه وحياته المستقلة

عن الآخر، لا شيء يجمعهم حتى الوجبات لا تجمعهم، فليس لديهم جو عائلي وصلة رحم!. تقول (أم طارق) (أمريكية مسلمة): من أكبر المشكلات في أمريكا انهيار الأسرة، فعندما زرت اليمن لم أصدق كيف يساعد أفراد الأسرة بعضهم بعضاً، أما نحن فلكل شخص حياته حتى لو عشنا مع والدينا، فنحن لوحدنا، لذلك عندما يصبح عمر الطفل ثمانية عشر عاماً (ويبدو أنه سيصل لسن أصغر) يذهب ليعيش حياته الخاصة مما يؤدي غالباً لاستعمال المخدرات والعلاقات الجنسية خارج الزواج، يؤدي لكسر القلب والإجهاض أو إلى إنجاب طفل. الآباء والأمهات يبدؤون العيش كما لو كانوا مراهقين، ولا يساعدون أطفالهم أو يتواصلون معهم.

لذلك فمفهوم الأسرة الغربية غائب تماماً عن نظيره في الأسرة العربية؛ لأن الأولى كما أسلفت تعتمد الحرية الفردية لدى كل فرد فيها فحتى الأطفال لهم حريتهم، ويجب قانونياً ألا يمارس عليهم ما لا يعجبهم، وإن كان في صالحهم، وبعيدة عن الهم الجماعي اليومي والترابط اليومي، إن وجد، ففي طفولة الفرد فقط هذا إذا تهيأت له أسرة طبيعية، كما أن هناك ما أعتقد تسميته انتشار لأفراد الأسرة في ولايات متباعدة؛ للبحث عن فرص العمل الجيدة مما يباعد كثيراً بينهم، وربما اجتمعوا في مناسباتهم وأعيادهم، تقول (جولي): مشكلة الأسرة الأمريكية أن معظم أفرادها متفرقون في ولايات بعيدة.

والأسرة عمادها الأم وحين تكون الأم غائبة طوال النهار يصبح من الطبيعي جداً أن تتدخل أركان الأسرة إلى حد التفكك! طعام الأسرة

أيضاً تأثر سلبياً على مستوى المجتمع بالاعتماد على المملبات والوجبات الجاهزة أو المطاعم، وخصوصاً الوجبات السريعة، وأكثر المتأثرين الأطفال الذين بدت سمنتهم مشكلة يُحذّر منها كثيراً وتحتاج للعلاج.

وقد أدى لهات أفراد الأسرة نحو المال لتوفير متطلبات العائلة إلى كثير من الضغوط، تقول (سوزان): شيء لطيف أن تحصل المرأة على عدة خيارات في العمل ولكن من المحزن جداً أن كثيراً من النساء ليس لديهن القدرة على الاختيار، فيشقق عليهن الجلوس في البيت وعدم العمل والاعتناء فقط بالأطفال حتى وإن أردن ذلك، وذلك لأنه ليس من السهولة أن تعيش العائلة براتب واحد فقط (راتب الأب) وليس لدينا وضع جيد لحضانات الأطفال، فلماذا ما زال اليوم الدراسي في هذه البلاد ينتهي في الساعة الثانية أو الثالثة، بحيث لا يوجد مكان جيد للأطفال ليذهبوا له إلى المساء وقت عودة أهلهم من العمل؟ ثم نتساءل لماذا كل هذا العنف؟ ولماذا توجد عصابات؟ لأنه لا أحد يرفع الأطفال في تلك الساعات المهمة!! لذلك أشعر أننا أحياناً نفتح للنساء الأبواب، ثم لا نقدم لهن الدعم! ثم تقول بآلم: هذا الجزء نريد إصلاحه في هذه الدولة.

وتقول (فادين): حريتنا تعطينا كثيراً من الخيارات، ومن ثم صعوبة الاختيار بينها، فأنا أحمل شهادة عليا (الماجستير) ولكن لدي ابن في الخامسة من عمره، ولا أريد أن يعتني به أحد غيري؛ لذلك اخترت أن أعمل جزءاً من اليوم فقط، وأقضي بقية اليوم معه، لكنني بالطبع لا أستطيع أن أختار الجلوس معه طوال اليوم، ففي أمريكة لا بد أن نعمل

حتى نستطيع أن نعيش في مستوى جيد، فمن الصعوبة أن ندفع فواتيرنا براتب زوجي فقط الذي يذهب نصفه لتسديد دين البيت شهرياً، وهكذا نكون في كفاح، لا بد أن نعمل وإذا عملنا هل سيكون طوال اليوم أو جزءاً من اليوم وهل سأستمتع مع طفلي في صغره أم لا؟ من الصعوبة علي أن أتركه في الحضانة وأذهب، وخصوصاً إذا كان لا يريد البقاء فيها؛ لذلك لا أريد أن أتركه طوال الوقت مع أنه يتعلم فيها. أنا أحب طفلي وهو كل حياتي، لكن النساء اللاتي ليس لديهن أطفال لا يفهمن مشاعرنا، كيف نضحي بحريتنا وأعمالنا لأجل أطفالنا وأعلم أنني لست حرة الآن كما أريد وأحب؛ لأن لدي طفل، لكن يمكنني أن أحتفظ بخيار الجلوس مع طفلي واستبدله بأي شيء! زوجي يحب ابننا ويقضي معه وقتاً يلاعبه بالرغم من صعوبة عمله، وأحياناً يحصل على إجازة لأجله، وأنا ممتنة لذلك فمن الصعوبة إهمال الأطفال.

كما أن الأدوار في الأسرة غائبة أو متداخلة، فليس من المستهجن أن تعمل المرأة ويبقى الزوج يعمل في البيت ويرعى الأطفال، وليس من المستهجن أن يكون للزوج أو الصديق دوره في الأعمال المنزلية! تقول مسلمة أمريكية: أعرف امرأة متزوجة من رجل غني لها طفلان توءمان (أربع سنوات) زوجها يعطيها هدايا ثمينة ويدفع الفواتير، ويمكنها أن تعمل، لكنها اختارت أن تقضي وقتها في المحادثة على الحاسوب مع الرجال من مختلف البلدان، تقول: إنها تقضي ما بين 12 ساعة و18 ساعة في اليوم على الحاسوب، ومنزلها مقرز وقدر زوجها عاجز عن منعها، وأطفالها يقضون معظم الأوقات أمام التلفاز، ويأكلون الوجبات

السريعة أورقائق البطاطا ومشروب الكولا! تطلب من زوجها أن يعمل ساعات طويلة في تنظيف البيت وطبخ الطعام! وهو يقول إنه يحب الطبخ! وهكذا عكست الأدوار ولكن ما هو دورها بالضبط؟

وتقول الأخت (سارة) (أمريكية اعتنقت الإسلام) في إجابتها عن تساؤلي عن تلك الازدواجية: نتيجة لهذه الحرية كلها أصبح هناك ضعف كبير في تحديد الوظائف الزوجية، فالرجال لا يقومون بوظائفهم وواجباتهم الزوجية المعتادة في كل أسرة، وكذلك الزوجات لا يقمن بوظائفهن ولكن!! ما هي تلك الوظائف والواجبات أصلاً؟ إن ما يدعو للسخرية أنه ولسنين طويلة قاتلت حركة تحرير المرأة ومساواتها بالرجل من أجل إلغاء أي شيء يمكن أن يحدد الوظائف الزوجية! ونتيجة لهذا الإلغاء المتعمد فالرجل لم يعد يعمل!؟ والمرأة أصبحت تعمل نادلة في مطعم وسائقة شاحنة وعاملة لتدفع فواتير المعيشة!!

هذا يعني أنه لا شيء مستغرب ولم يعد يتعلق بتصرفات فردية أحياناً!! تقول إحدى الأخوات العربيات: لدي جارة لا تعمل ومع هذا عندما يعود زوجها من العمل يكون له دوره في التنظيف والطبخ!! وحين يأتي دورها تقول إنها ذاهبة لتطبخ الغداء الذي لا يتعدى في أحيان كثيرة شطائر سريعة التحضير!!

ونماذج التفكك الأسري كثيرة جداً وتؤدي لكثرتها للحيرة في انتقاء أبرزها!

سأحكي لك بعضها: حكّت لي (ندى) قصة لامرأة قابلتها في أحد الأماكن السياحية، والحقيقة أنني تساءلت تحت أي عنوان يمكنني أن أكتبها، ففيها اجتمعت حكايا كثيرة تصلح أن تكون تحت البنود السابقة واللاحقة كلها، فهل تكون في جانب ضعف الدين حتى بالنسبة للمتدينين!! أم استغلال المرأة لزوجها أم ظاهرة الصديق أم معاناة الطفولة، لكنني رأيت أخيراً أنها يمكن أن أدرجها هنا في خانة التفكك الأسري ربما لماضي هذه المرأة! إنها (تريسي) أم لثلاث فتيات أكبرهن في العشرينيات من عمرها والصغرى في الثانية عشر.. لكنها منفصلة عن زوجها والد الفتيات وهي بصحبة صديق، قالت: إنه رجل دين يهودي ومحاضر في الجامعة! ويلقيان هي وهو درساً أسبوعياً كل سبت في المعبد اليهودي!! هي أيضاً حاصلة على الماجستير. تقول تريسي: إنها كانت ومنذ سنتها الأولى مع زوجها تعرف أنها لن تستمر معه، لكنه كان غنياً وأرادت أن تستغل حالته المادية لصالحها حتى تنهي دراستها الجامعية ثم الماجستير، وهو من يدفع لها تكاليف الدراسة الباهظة عادة!! في المقابل أنجبت له ثلاث بنات! وحين انفصلت عنه تركت له البنات، وقررت العيش مع صديقها ولا توجد نية زواج بينهما، فكلاهما يعمل ومستقل مادياً، ثم قالت: (لسنا بحاجة لعائلة!!) هذه الجملة (لسنا بحاجة لعائلة) تعني الكثير الكثير من حيث هدم الأسرة وعدم الحاجة لها بالرغم من أنها نواة المجتمعات وعمادها!! (عندما حررت مسؤولية الزوج والزوجة والأطفال من العائلة، الاشتراكية الأوروبية ألغت الحاجة للعائلة)¹.

1- باتريك بوكنان موت الغرب ص 13.

والحيرة ذاتها شعرت بها واحدى الأخوات تحكي لي زفرات حرى
وليس مجرد بوح من مدرستها الأمريكية (التي تدرسها في المنزل) ،
التي تشجعت للحديث عن حياتها وأفراد عائلتها لمحدثي حين عرفت
أنها مسلمة!! فقد فتح ذلك باباً للنقاش كونها كانت كاثوليكية، ثم
غيرتها لطائفة أخرى غير مقبولة بفعل معتقداتها، فحككت عن الرعب
الذي كانت تعيشه، وهي صغيرة حين تسمع والديها يصرخان بضجر
منها ومن إخوتها: متى ستصلون لسن الثامنة عشر لنتراح منكم؟!
تقول: كنت أفكر بهلع ماذا سيفعلون بنا..؟ هل سيطردوننا؟

وبالفعل حين بلغت الثامنة عشر والتحقت بالجامعة أعطاهما والدها
مصروفاً لسنة قادمة فقط (وهذا لطف منه!!) بعدها عليها أن تتدبر
أمرها بنفسها!! تقول: لم يكن يعنيهم أن أعيش مع أي شاب! فالأهم هو
أن أترك البيت وأعتمد على نفسي! وتعرفت على شاب يهودي وعشت
معه سنوات عدة كصديق معاشر! وحين غيرت ديني لتلك الطائفة
كان من تعاليمها أنه يحرم علي العيش مع رجل دون زواج! (في هذه
المدة كنت قد تخرجت وأصبحت أعمل) وتحدثت مع صديقي في ذلك ،
فغضب وتركني وقال: أنت تقولين ذلك كي أتزوجك!! لكنه بعد مدة عاد
وتزوجني!؟ وتستمر في الحديث عن عائلتها وتحديداً شقيقتها فتقول:
كانت شقيقتي تخون زوجها وطلبت مني ألا أخبره! لكنها تعرف أنني لا
أكذب قلت لها إنني لن أخبره، لكن إذا سألني سأقول الحقيقة، بعدها
قطعت اتصالها بي وقاطعتني تماماً! بل وانتقلت لبيت آخر واستبدلت
رقم هاتفها!! أما شقيقتها فهو شاذ! بل وتزوج رجلاً أيضاً! تتحدث

بأسى عن استقبال أهلها له ورفضهم لها ، تقول: أهلي يحبون أخي الشاذ ويدعونه لبيتهم ويرفضونني، فهو لم يغير دينه في حين يعتقدون أنني لست طبيعية لأنني غيرت ديني!! وهناك المزيد من الضياع في هذه العائلة، فابنة شقيقها حملت سفاحاً وأنجبت طفلة حاول شقيقها الشاذ أن يشتريها ليتبناها ابنة له!! لديها أيضاً شقيق آخر، لكنه يقبع في السجن بتهمة القتل. هذا نموذج لتفكك أسري امتد تأثيره لأجيال قادمة ويبدو أنه سيكون أكثر تحطيماً للمجتمع والأفراد في المستقبل القريب!! بقي في القصة مأساة أخرى هي أمنية هذه المعلمة، فهي ترى للأسف أن أمها ماتت ميتة طبيعية وحولها أولادها! كانت تتمنى نهاية محزنة تتساوى مع سوء تربيتهما لهم، وأنها كانت تؤدي واجباً فقط في تربيتهما وليس حباً لهم!!

وروت لي إحدى الأخوات قصة جارتها فقالت: وهي امرأة مسنة لها ثلاثة أبناء وهؤلاء الأبناء هجروها بعدما بلغوا الثامنة عشر، وهي تعيش وحدها مع حفيدتها التي تبلغ من العمر سبعة عشر عاماً.. تعاني حفيدتها من قصور عقلي، أشاهد هذه الفتاة تتجول وحدها في الشوارع دون أن يكثر أحد لحالها دوماً، وفي إحدى ليالي الشتاء الباردة وجدتها زوجي عند البوابة الخارجية للسكن طرق الباب على جدتها، ولكن ما من مجيب.. عندها أدخلتها إلى شقتي، وحاولت أن أهدئ من روعها، ولكنها كانت خائفة وتلفت يميناً ويساراً! أعطيتها مشروباً ساخناً وظللت أحداثها أحاديث طريفة عليها تطمئن لي وبعد

دقائق عدة استجابت لي.. فتارة تضحك وتارة أخرى أجدها وكأنها
في عالم آخر!.. ثم أخبرتني: إنها سوف تذهب.. فسألتها: هل ستفتح
جدتك لك الباب...؟

قالت: نعم وهي دوماً تتركني خارجاً إذا عصيتها ولم أسمع كلامها..
وبعد يومين شاهدت جدتها وأخبرتها بحال حفيدتها فأجابت: ماذا
تريديني أن أفعل؟ ابنتي تخلت عن ابنتها بعد أن انفصلت عن زوجها...
فلا هي قبلت برعايتها ولا زوجها أيضاً، فلم يكن أمامها سواي.. وأنا
امرأة مسنة.. لا طاقة لي بها..

فهي تبقى أحياناً خارج المنزل حتى منتصف الليل وأنا أنام باكراً...،
فكيف تريديني أن أعنتي بها...؟ لقد تخطى والداها عنها وهي ابنتهما
فهل تطلبين من عجوز مثلي أن ترعاها...؟

سحبت كلماتي وذهبت من أمامها بهزيمة واستسلام وأنا أتخيل
حال تلك المسكينة، وهي تجوب الطرقات والأماكن... وسألت نفسي
سؤالاً: هل ستسلم تلك البراءة من أيدي العابثين...؟

وحكت أمريكية قصة حياتها وفيها كثير من الدلالات على المجتمع
الأمريكي وتفكير أفرادها، فقالت: عندما تزوجت لم يحب أهلي
زوجي وحاولوا الضغط علي للطلاق منه! فلم يكن يحمل شهادة عليا
(كالماجستير) مثلاً ولم يكن يملك المال الكافي لذلك، أما أهلي فكانوا
أغنياء جداً وكان المستوى المادي هو الذي يحدد موقفهم من الشخص!
وكنت أختلف عنهم؛ لأنني متدينة (نصرانية)، بل منذ مراهقتي

أصبحت متدينة بالرغم من أنني لم أتربَّ وسط عائلة متدينة، وقد انقلب كل شيء أمامي وتغيرت أهمية الأشياء لدي، كانوا يريدون تحديد ما هو مهم لي وقد رفضت ذلك، ولأن أهلي أغنياء كنت مستفيدة من دخل والدي فقد كان تاجراً حكيماً، وكان يصرف على تعليم كل أبنائه، فأخي مثلاً تخرج في جامعة هارفرد.

وعندما تزوجت أصبحوا قبيحين ومثيرين للغثيان ويضغطون علي، ومن ثم على أطفالي، ويقولون لهم أشياء بغیضة عن والدهم حتى جاءت أمي يوماً، وقالت لابنتي: أتمنى أن تعود والدتك معكم لبيتنا، قالت ابنتي: لماذا؟ قالت: لأن والدك ليس في مستوى والدتك! لكنه بالنسبة لي رجلٌ محبوبٌ ويُعتمد عليه ومخلصٌ، فازداد ضغطهم علي وشعرت أنني كقدر الضغط في أي وقت سأنفجر، فقد كنت أنتظر أن يكتشفوا طبيته مع الوقت، لكن حين قالت أمي ذلك فكرت في ضرورة عمل شيء ما، فأنا أتبع تعاليم الكتاب المقدس في إخلاص الزوجين لبعضهما، لكن عائلتي كانت تريد تغيير ذلك، وكنت أريد أن أريهم كيف يكون إخلاصي لزوجي. كنت أملك قطعة أرض في نبراسكا ورثتها من جدي وكانت باسمي وحدي، فأضفت اسم زوجي معي، وكذلك البيت كتبت اسم زوجي معي، وحين اكتشف أهلي ذلك تبرؤوا مني! هل تعرفين ماذا يعني ذلك؟ يعني أنت لست ابنتنا أبداً، حاولت مواساتها فكانت تجيبني: أنا بخير لا بأس هذه إرادة الله. وتتابع ولم يكن الضغط من والدي فقط، بل من أخي وأختي وهذا شيء متوقع من عائلتي، لكنني مع علمي أنهم سيغضبون: لأنهم لا يريدون أن تذهب الأرض لغير العائلة

لكن لم يكن لدي فكرة أنهم سيذهبون إلى هذا الحد! (قالوا: لا نريد أن نرى وجهك!). الآن والدي مات دون أن أتصالح معه (قالتها دون أن تبدي أسفاً لذلك وهي المتدينة) ووالدتي في الخامسة والتسعين من عمرها ولم أرها منذ عام 1979م (وحين رأت أمارات الاستغراب مني) قالت: هي التي لا تريد أن تراني، وتابعت هي تعيش في ولاية أوهايو (المتحدثة تعيش في إلينوي غير بعيدة كثيراً)، لكنها في آخر كريسماس (أعياد الميلاد) أرسلت لي شجرة (الكريسماس) وكأن الباب انفتح قليلاً بيننا، لكنها الآن كبيرة وتعيش حدها وتعتني بنفسها وتسدد فواتيرها ولا تحتاج مساعدة من أحد، ثم قالت بأسى: هكذا المال يفسد نفوس الناس وينسيهم الأشياء المهمة وإذا امتلكوه صاروا بخلاء وأنانيين واقترفوا أشياء مؤلمة حتى في حق أطفالهم!

ثم سألتني: هل تريد أن تعرف ما حدث لأخي وشقيقتي؟ كلهم يكبرونني أختي الآن بعمر التاسعة والستين وأخي في السابعة والستين وأختي الثانية في الثالثة والستين، أخي دكتور ناجح في الجامعة ويظهر أنه رجل جيد، لكنه يفتقد للحب من أهله! يشرب الكحول كثيراً، لكن يحاول ألا يفقده عمله وهو يضطر للشراب لينسى آلامه، ولم يكن مخلصاً لزوجته الأولى! أكره أن أقول ذلك! وأختي الكبرى لديها ما جستير في التمريض، لكنها لم تعمل منذ ثلاثين عاماً لأنها أدمنت الكحول، ولأنها ممرضة فقد كانت على علاقة بالأطباء الذين يكتبون لها عقاقير مثل المخدرات، حيث كانت تخلطها مع الكحول، فدمرت حياتها وتأثرت قواها العقلية وأصبحت تعاني من هلوسة وجنون فحين

تتحدث يظهر أن لديها مشكلة، وأحياناً تكون طبيعية وعاقلة وفجأة تصبح غير طبيعية وقبيحة ومتقلبة المزاج! وأختي الأصغر منها مدمنة كحول أيضاً! ولديها خمسة أطفال وهي الوحيدة التي لم تتم تعليمها الجامعي. لقد حطمت الكحول حياتهما!

أختي الكبرى تزوجت مرتين وطلقت والأخرى سبق لها الطلاق وأخي كذلك! كانوا يقولون لي: لن يستمر زواجك، لكنه استمر حتى الآن ثمانية وثلاثين عاماً! لقد تربوا وسط عائلة فظيعة وغير صحية في علاقاتها إنهم لا يحترمونا كوننا أشخاصاً، والدي كان ذكياً وحصل على الدكتوراه بعمر الثالثة والعشرين، لكنه لم يكن يعرف كيف يحب، عندما كنت صغيرة كنت أقترب منه وأحاول أن أمسسه لكنه لم يكن يبادلني الشيء ذاته.

روت (أم محمد) من نيوزلندة حديثها مع ممرضة في إحدى المستشفيات (في أواخر الأربعينيات تقريباً) فقالت إنها -أي الممرضة- تعيش لوحدها في بيتها.. ولم يسبق لها الزواج وليس لها أبناء أو أسرة! تقول: لم يكن لي زوج في يوم من الأيام، ولم أجرب الأمومة ولا أستطيع تجربتها الآن!

تقول محدثتي: اعتقدت أنه ليس لها أم أيضاً فقالت: بل لدي أم لكنها تعيش في منطقة أخرى وفي بيتها لوحدها!! ولي شقيق (في الخمسين من عمره) يعيش لوحده أيضاً ولم يتزوج! وواصلت حديثها عن أسرتها المفككة! فقالت: شقيقتي الوحيدة تعيش في أستراليا ووحدها أيضاً بالرغم من أن لها ابناً يعيش مع عشيقته وابنة تعيش مع عشيقها!!

تقول محدثتي ذهلت لحجم هذا التفكك الأسري وتباعد أطراف الأسرة وعيش كل منهم لوحده، فالأم التي بلغت الثمانين وفي أشد مراحل عمرها حاجة لأولادها ومساعدتهم تراهم يتخلون عنها، وهي التي حملت وولدت وربت وتعبت!! وتتم الممرضة فصول مأساة والدتها بالحديث عن شقيقتها وكيف عانت الأم كثيراً؛ ليتمكن من الحياة بقدرة الله تعالى فقد ولد خديجاً (ابن ستة أشهر فقط) وقال الأطباء: إنه سيموت لا محالة فلم تكن الإمكانيات الطبية متاحة وقتها (في الخمسينيات من القرن الماضي) ومع ذلك أراد الله تعالى له العيش برغم توقعات الأطباء، فقد كانت تضعه أمام المدفأة ملفوفاً بثوب من الصوف وتجتهد في إرضاعه حتى ينمو ويكبر، لقد كانت خائفة عليه كثيراً، فهو الابن البكر لها والولد الوحيد، تقول محدثتي: حكّت لي الممرضة كثيراً من معاناة أمها في تربية هذا الطفل الخديج الذي يحتاج لرعاية خاصة واهتمام بالغ، وفي النهاية يتركها تعيش أرذل أيامها وحيدة؛ بل كل أفراد الأسرة يعيشون في وحدة وقد تقدموا في العمر، وربما يموت أحدهم ولا يشعر به مخلوق! وحين لمّحت لها عن غرابة هذه العزلة التي تعيشها وكل أفراد أسرتها، قالت: لا بأس نحن نجتمع في (الكريسماس)! قناعة غريبة بضرورة الاجتماع الأسري ليكون على الحول فقط وفي أيام معدودة! وممرضة أخرى أمريكية تحكي محطات مؤلمة في حياتها، فقد نشأت صغيرة تحت رعاية أم قاسية تحاول أن تنفث همومها بضرب صغيراتها! تقول محدثتي عنها: حين رأيتهما حسبتها في الستين من عمرها، لكنني حين عرفت قصة حياتها عرفت سر إضافتي لخمس عشرة عاماً لعمرها الحقيقي، فهموم الزمن رسمت على ملامحها الكثير! فقد كانت تعمل

ليلاً وتنام نهاراً وزوجها العكس! ومع هذا الوضع المفكك بدأت قصة ضياع ابنها الوحيد الذي أدمن كل شيء!! ثم قتل نفسه بالرصاص، حينها لم تجد من يساعدها في شراء قبر له، فوافقت على حرق جثته، في الوقت الذي علمت بحملها مرة أخرى أصيبت بعده بمرض أقعدها الفراش، المفرح أنها أحبت الإسلام ولم تعد تصدق إعلامهم عنه!!

تقول إحدى الاخوات: أعرف عائلة أمريكية مكونة من أب أسود وأم بيضاء وأبناء تختلف ألوانهم بين الأم والأب.. وقد لاحظت أن الأم ليس لها أي علاقة تربطها بأهلها وأقربائها وعندما سألتها عن السبب أخبرتني: أنها عندما أرادت أن ترتبط بزوجها رفض أهلها هذا الزواج بحجة لون الزوج.. حاولت إقناعهم، ولكنهم رفضوا رفضاً تاماً، حينها اختارت أن تتزوج منه رغماً عنهم.. وقد نبذها أهلها وهي الآن لا تعلم عنهم شيئاً منذ 30 سنة.. ٩٩

أما المحرمات التي اعتاد أفراد الأسرة اقترافها بدواعي الحرية فحدث ولا حرج!! جملة مما اعتادوا عليه لا يتنافى وأخلاق العائلة التي يجب أن تكون عليها! في لباسهم وأسلوب حياتهم وحتى طريقة كلامهم، تقول (سكينة): إنهم يفتقرون للاحترام في الحديث، حيث تتخلل أحاديثهم كلمات غير لائقة! ذلك لأنهم اتخذوا الحرية بلا حدود. تشاركها (شينون) الرأي ذاته، وما أكثر ما نسمع كلمات رديئة فاحشة تتخلل أحاديثهم، وخصوصاً فيما بينهم!. وكما أسلفت فمن السهولة أن يقترفوا منكرات ويرونها عادية وطبيعية، فإن كانت أمماً لأطفال وبلا زوج، فالصديق هو البديل! فالأصدقاء والعشاق يمكن أن يكونوا كأي فرد من أفراد العائلة

ولا أحد يستطيع الإنكار إن استاء!! والأولاد والبنات يُحضرون الأصدقاء ويبيتون معهم تحت نظر الآباء!! الخمر لها مكانها المعتاد!! والتلفاز يعرض كثيراً من الفسق والقبح، وأغلب الشباب والشابات يندفعون نحو اللهو بكل اعتيادية وتأثير بيئتهم وأهلهم، وفي موقع الحكومة الأمريكية يصفون انهيار الشباب بأسى إن (مشاركة الشباب والشابات في سلوكيات غير قانونية أو خطيرة مثل التدخين وشرب الكحول واستعمال المخدرات غير المشروعة (!) والمشاركة في جرائم العنف لها نتائج قاسية على المدى الطويل على مجتمع الشباب) ¹. تقول مريم: في مدرستي أحضرت تلميذتان كحولاً! عمرهما فقط 13 عاماً فصلتهما المدرسة عشرة أيام فقط

وبالطبع البارات والمراقص ونوادي التعري تفتح مصراعها للاهين واللاهيات والمتحررين والمتحدرات، حيث تفقد العقول ويكون للفتيات النصيب الأكبر من ضياع العقل أحياناً، أكدت ذلك جميلة وهي تتحدث عن زميلاتها في العمل ومغامراتهن، فقالت: من المعروف أنهم في البارات يضعون حبوباً مخدرة في الكحول تزيد سكرهن!! ومن ثمّ فقدان عقولهن مدة تمكن الرجال من استغلالهن كما يريدون، قالت: رويحلي لديها ابنة في الثانوية العامة وتقلق عليها كثيراً عندما تذهب لأي مكان، تقول: نحذرنا أنا ووالدها من أن تترك علبة المشروب الغازي مفتوحاً دون مراقبة، فبعض الأولاد يضعون نوعاً من المخدرات يجعل الفتاة منقادة لهم. وقد قالت لي واحدة أخرى عن هذا الموضوع الذي يسبب قلق الأمهات في أي مكان تذهب له الفتاة، وهو يكثر في المراقص والحانات، حيث تبدو الفتاة المستهدفة طبيعية لا يلاحظها أحد! وقد لا تتذكر ما حدث لها أصلاً!

1- موقع الحكومة الأمريكية www.usa.gov!!

وبالطبع هذا الحال المنفلت للشباب ليس يخص أمريكا وحدها؛ بل كل بلاد الحرية والتحرر! تقول محدثتي: جاورتني في سكني في بريطانية عائلة تتكون من أب وأم وسبعة من الأبناء والبنات تتراوح أعمارهم من الخامسة وحتى الثامنة عشر شعرت أن ملا محهم غير مريحة؛ لأن ليلهم سكر ونهارهم سكر!! أولادهم وبناتهم يعيشون حياة بهيمية مع العشاق والعشيقات.. في نهاية الأسبوع كان الوالدان يتركان البيت دوماً ويبقى أولادهم في سهر وصخب إلى السابعة صباحاً، على الرغم من كثرة الشكاوي عليهم للشرطة، ولكن لا فائدة؟! ليتضح فيما بعد أن الوالدين كانا يتاجران في المخدرات.

وكم يكون الإغراق في الحرية مفاجئاً حين تشعر المرأة ولو في لحظة ما أقرب ما تكون إلى التشبع، فتميل إلى الحصول على ما تريده بطرق تظنها مشروعة لديها بدواعي حريتها، تقول أخت عربية مسلمة: أكثر من مرة تطلب مني أمريكية أن أتنازل لها عن زوجي!! واحدة طلبت موعداً معه فقط وأخرى طلبت أن أتنازل تماماً مقابل مبلغ من المال كانت أكبر مني بكثير وحين استهجن ذلك ورفضته، أحضرت سكيناً وطلبت أن أتنازل بالقوة؟ كان ذلك قبل أكثر من عشرين عاماً! ولا يخرج هذا الشيء عن ممارسات واستمالات مستميتة من قبل كثيرات لرجال نالوا إعجابهن، حتى وإن كان زوج أو صديق إحدى صديقاتها، أو حتى زوج شقيقتها وهذا ما حدث فعلاً، وكانت فضيحة على الملأ حين حملت الشقيقة من زوج شقيقتها!!

11- معاناة الأطفال وبعض مشكلاتهم

تعيش الغريبة سنوات قليلة طفلة، بالرغم من أن قوانينهم وقوانين الأمم المتحدة ترى أن كل من هو تحت ثمانية عشر عاماً يعد طفلاً!! ويعامل معاملة الأطفال قانونياً! لكن الفتيات الصغيرات يدخلن لعالم النساء سريعاً! ملابس فاتنة وعلاقة مع العشاق! وحمل وإجهاض أو ولادة (كما أسلفت) وذكر موقع الحكومة الأمريكية¹. ارتفاع معدل الولادات من النساء غير المتزوجات من عمر 15 إلى 44 في عام 2004 عنه في عام 2003 على سبيل المثال.

كنت أظنهن في البداية يرعين إخوتهن أشعر بالإشفاق عليهن ببطونهن المنتفخة وهن يتصرف كصغيرات؟! أو تكون الواحدة منهن بصحبة صغيرين وليس واحد، فتجر عربة أحدهم وتمسك الآخر، وتحمل حقيبة أطفال كبيرة وحدها بلا مساعدة (إنه خطؤها وعليها أن تتحمله!) وربما يساعدها مراهق مثله! رأيت كثيرات وتحدثت مع بعضهن، فلا عجب أن يجبن: هذه ابنتي وهي تبكي بين يديها، أو هذا ابني وهذه ابنتي، ثم تقول بثقة بالغة: أنا لم أتزوج أو لست متزوجة!

تقول (إمبر): حملت في عمر الثامنة عشر والآن المراهقات يحملن في سن أصغر، لكن لا بد أن يستخدمن موانع الحمل ويحمين أنفسهن، فالطفل يحتاج للرعاية، وإذا لم يكن لديك استعداد للاهتمام به لماذا تتجبنه؟ وهذا السبب الذي جعلني أعطي أُمي طفلي!.

1- موقع الحكومة الأمريكية www.usa.gov.

من جهة أخرى يعاني الأطفال الذين هم ثمرة علاقات محرمة خارج نطاق الزواج، الذين تكاثرت أعدادهم وارتفع معدل المواليد لنساء غير متزوجات في 2005 إلى 37% من مجموع المواليد¹، وفي إحصائية لمدى ارتفاع المواليد لنساء غير متزوجات حسب الفئات العمرية الشابة بين عامي 1980 و2005 يتضح الارتفاع الحاد في أعداد المواليد، فالمرافقات ارتفع من 62% إلى 90% للأعمار ما بين (15 و17) ومن 40% إلى 79% للأعمار (من 18 إلى 19) وإلى ثلاثة أضعاف نسبة المواليد الأحياء لنساء في العشرينيات من 19% إلى 56% للأعمار ما بين (24 و20) ومن 9% إلى 29% للأعمار ما بين (25 و29) وفي الثلاثين من 8% إلى 17%².

وتعاني الأمهات افتقاد الأطفال لآبائهم وحاجتهم الفطرية لهم أمام تخلي كثيرين عن أطفالهم وهروبهم من المسؤولية، وخصوصاً الأطفال غير الشرعيين فتجد الأم تتساءل بحرقه: من أين أجد له أباً؟ أمام شعورها باحتياجه له والحاحه في السؤال عنه أيضاً؛ لذلك تجتهد بعضهن في ملاحقة الأب وتتوسل له أن يرى ابنه، وقد تدفع له قيمة الترفيه وجلوسه مع طفله؛ وأيضاً صعوبة اتصال الطفل بعائلته لأبيه، وخصوصاً إذا سمح بانتسابه له، ومنهم من يرفض تلك العلاقة؛ تقول من أنجبت طفلة من صديقها ثم تخلى عنها ورفض أن تتعرف على أسرته: إنها تحدثه ووطدت علاقة ابنتها بعائلة أبيها، وقد يتطور

1- موقع الحكومة الأمريكية www.child.td.gov.stats.

2- موقع الحكومة الأمريكية www.child.td.gov.stats.

الأمر إلى التأثير على شخصيات الرجال مستقبلاً الذين نشؤوا بلا آباء أمام تكاثرهم في المجتمع، وكثرة من لا يعرفون آباءهم أصلاً! مما يعني خللاً في المجتمع ذاته وليس على مستوى الفرد فقط، حتى وإن كانوا أطفالاً يتلهفون لأب يحنو عليهم ويفتخرون به بين أصدقائهم. تقول جولي: لدي قريبة لها ثلاثة أطفال لا تعرف آباءهم!! وقد ندمت كثيراً فيما بعد، حتى إن والدتها لا تعترف بهم، وحين تُسأل هل لديك أحفاد؟ تجيب: لا ليس لدي أحفاد! وتقول راهبة كاثوليكية: يأتينا في المدرسة الكاثوليكية آباء مع أطفالهم من أمهات مختلفات والعكس!! وذكرت أنها قابلت امرأة تقول: إننا سبعة وعشرون أخاً وأختاً من أمهات متعدّدات وأب واحد! ؟

وأكثر الأطفال الهاربين من بيوتهم هم من الأطفال غير الشرعيين الذين يفتقدون للأب أو الأب في حياتهم، وهم أكثر عرضة للاكتئاب والسلوك المرضي والفشل الدراسي، وهم أكثر من يرتكب الجرائم ويدخلون السجن، ثم إلى دور الرعاية!! وهذا بالطبع نتاج طبيعي لحياتهم التي تفتقر للكثير وتبدو غير طبيعية إطلاقاً. تقول شينون: هناك كثير من الأطفال في أمريكا تربيتهم الأمهات فقط بلا آباء، وهم أكثر من الأطفال الذين يتربون بين أبويهم، وما أكثر القضايا العالقة بين الآباء والأمهات في المحاكم عن نفقة الأطفال وتربيتهم حتى إن بعض القضايا فسدت (أهملت)، فالحكومة لم تعد تستطيع متابعتها لكثرتها!! والرجال لا يملكون أي إحساس أو إخلاص أو مسؤولية، فما الذي يجبرهم على ذلك؟ هم أحرار فيما يفعلونه!! فقيمة الزواج في

انحطاط في أمريكا والضمان الاجتماعي استخدم فوق طاقته واستهلك من قبل الأطفال بلا آباء، الذين هم نتاج حمل غير طبيعي على المجتمع وتتابع بمرارة: في هذا الجانب لدي الكثير لأقوله!

وأمام اعترافات (شينون) بتأثير تخلي الآباء عن أطفالهم ربما كان التخلي عن الطفل من قبل الأم أيضاً، ولكن في حالات أقل من تخلي الأب؛ وذلك لوجود عاطفة الأمومة، لكنها تقع فعلاً لرغبتها القوية في المتعة مع رجل آخر وكون الطفل عائقاً حتماً أمام هذه المتعة، بالإضافة إلى جانب المسؤولية الكبيرة المرهقة لها -وخصوصاً المادية- في تربية الأطفال أو تحكم المحكمة للأب بحضانة الطفل، تقول إحدى الجارات: إن زوجها السابق كسب حضانة طفلها التوءمين!! والحقيقة أن حرص بعض الآباء في كسب قضية الحضانة يكون مادياً أيضاً، حيث يتوجب عليه إنفاق كثير من دخله على أطفاله، ويسلمه قانونياً للأم التي تتصرف فيه بمزاجها!! وربما أنفقته على صديقها!!

ولنعد لقضية الطفلين الصغيرين حيث كانا يعيشان مع أمهما وزوج أمهما وأخت صغيرة من أمهما، الآن أصبحا يعيشان مع والدهما وصديقتة التي لها ثلاثة أطفال من زوج سابق!! سلسلة من المعاناة لا تتوقف عند حدود اختلاف البيئة وكثرة التنقلات بين الأطفال وذويهما وفقد أحدهما؛ بل يتعداه إلى فقدهما في أي وقت، بتسليمهم للولاية لتسلمهم لمن يراهم!! الشيء الآخر أن هؤلاء الأطفال قد يفقدون أسماء عائلاتهم الحقيقية حين ينسب الطفل لعائلة أخرى، بل وحين

تتسبه الأم لعائلتها هذا يعني أن الطفل قد يكون له أخ وأخت، لكن باختلاف الأسماء بينهما وربما لا يعرفون أصلاً أن لهم إخوة!!

وجارة أخرى تعيش مع صديقها وطفلة وهي لديها طفلان أيضاً وآخر من أب ثانٍ يكبرهما لا يعيش معها.

تقول ندى: قابلت امرأة في أحد الأماكن العامة كانت تمازح صغاري!! أثناء حديثنا العابر قالت: إنها منفصلة عن زوجها منذ عام، ولها منه طفلتان (أربع وخمس سنوات) تعيشان مع والدهما فهي حين قررا الانفصال (هي ووالدهما)، تنازلت له عن البيت مقابل أن يسدد ثمنه المتبقي ويربي الطفلتين.. وفضلت هي أن تعيش لوحدها بعيدة عن المسؤوليات وترتاح منهم جميعاً!!! وتقول (أم أسامة): تعرفت عائلتي على طبيب بلجيكي وزوجته وطفلهما البالغ ثمانية أعوام، وفجأة قال: إنها تخلت عنا فقد اكتشفت مرضها الخطر، وأحببت الاستمتاع بما تبقى لها من عمر!!

وبالرغم من القانون الصارم في أمريكا للحد من الإساءة للأطفال إلا أنها تبقى قضية حاضرة فعلاً.

حكى (سوزان) لي قصة محزنة تمثل جوانب كثيرة من نتائج الحرية المفرطة لهذا العالم الغريب، لكن أبرز مآسيها ما يعانيه الأطفال لأجيال عدة!! تقول سوزان: كانت أمي مسؤولة في إحدى مدارس الأطفال تحت ست سنوات (ما قبل المدرسة) كان أكثر آباء أولئك الأطفال فقراء أولئك الأطفال لا يملكون المال، وإحدى أولئك الأمهات كانت تسيء

معاملة أطفالها، وتضربهم بقوة حتى إن علامات الضرب والكدمات تكون واضحة على وجوههم حين يأتون للمدرسة، هذه الأم عانت كثيراً حين كانت صغيرة لدى عائلتها، وتفتقد لكثير من الدعم؛ بل كان والدها يضربها، مما جعلها تهرب من البيت وهي شابة صغيرة؛ ولأنها لم تجد من يأخذ بيدها ويساعدها انحرفت بسهولة، فأصبحت تقضي أوقاتها مع أولاد متعددين، فصارت أماً لطفلين بسرعة كبيرة وبالطبع دون أن تتزوج، وأدمنت شرب الكحول وتعاطي المخدرات وظلت تعاني ضغطاً كبيراً، وخصوصاً لأنها تفتقد لدعم عائلتها ومساعدتهم، وهي مسؤولة ليس عن نفسها فحسب؛ بل عن طفلين؛ ووالدهما لم يكن ينفق عليهما ما يكفي، كما أن تعاطيها للمخدرات أسهم في تبذير ما لها، مما جعلها تحت تلك الضغوط الهائلة تضرب الطفلين وتسيء معاملتهما، حين يأتون للمدرسة والكدمات في وجهيهما كان ذلك يؤلم أمي كثيراً، وأصبحت حائرة بين تبليغ المسؤولين حسب القانون وبين شفقتها على هذه الأم الصغيرة، التي قد لا تستطيع أن ترى أطفالها مرة أخرى، فالولاية ستأخذ الأطفال منها، وتسلمهم لمن يحسن رعايتهم إذا أبلغتهم أمي بذلك؛ وهذا سيئ للأم وللأطفال أيضاً؛ من جهة أخرى كان من الصعب أن يأتي هذان الطفلان للمدرسة دوماً وأثار الضرب على وجهيهما؛ لكن أخيراً أبلغت أمي الولاية، وأخذوا الطفلين من الأم ولا ندري ماذا حدث لهم جميعاً فيما بعد، لكن أمي كانت تبكي وقتها وتقول هذه الأم يمكن أن تكون أماً جيدة، لكنها دون دعم ومساعدة ستعود حتماً للمخدرات والانحراف، لقد رأيت العالم مكاناً تمارس فيه الحرية المفرطة.

كما كان إلى عهد قريب يعدّ قتل الأطفال حديثي الولادة من غير الشرعيين ظاهرة منتشرة، فتعتمد الأم إلى رميه في حاويات القمامة أو تعهد لأي أحد بالتخلص منه، وذلك لأنها حين تسلمه للدولة تجبر على الاعتراف بأبيه ومن ثمّ يقتطع من دخله للصرف على ابنه، لكن تغير الوضع الآن، ولم تعد تتعرض الأم لأي مساءلة في حال أرادت أن تسلم رضيعها في أسايعة الأولى، ويعتني بها إذا أرادت العناية الطبية كل ذلك للحد من قتل الأطفال. (هذا اليوم الذي صرنا نقرأ فيه عن مراقات صغيرات يرمين مواليدهن في حاوية النفايات، ويتركونهن في الثلج ويغادرن)¹.

ولهذا تعمد الأمهات لتسليم أطفالهن إلى الدولة وراء أي دافع وتسلمهن الدولة لعائلات تتبناهم وتسببهم إليها، أو يعيشون في دور للرعاية، أو حتى لظروف الفقر يسلمهم أهلهم لعائلات أخرى، وبعضهم يحتفظون بأسمائهم ويتعرفون على أمهاتهم الحقيقية، تقول إحدى الأخوات التي أسلمت حديثاً: حين أصبح عمري ثماني سنوات، وبسبب فقر عائلتي سلمتني أمي لأم بديلة كي تربيني مع احتفاظي باسم عائلتي وزيارتي لأمي الحقيقية، وأصبحت حين تتحدث عن أمها لا بد أن يتبعها (البديلة أو الحقيقية). لهذا فظاهرة التبني ونسب الأطفال إلى غير آبائهم سائدة بل تكاد تكون حلاً شائعاً لمن لم تستطع الإنجاب أو أفاقت على كبر! ويشير موقع التبني الأمريكي (facts@.org adoptio) إلى أن سبعة ملايين أمريكي هم أبناء بالتبني. وأن ما يقارب 140 ألفاً تتبناهم العائلات الأمريكية كل سنة بحسب الموقع أيضاً.

1- باتريك بوكانان - موت الغرب - ص 44.

وقد قابلت امرأة تقول: إنها ربت حتى الآن 150 طفلاً تخلى عنهم أمهاتهم وآبائهم، وخصوصاً اللاتي في مرحلة المراهقة... أو حكم على أمهاتهن أو آبائهم بالسجن، أو قصروا في تربيتهم، ومن ثم أخذتهم الدولة منهم أو لأي سبب، كما قالت تلك المرأة عن رضيع عمره ستة أشهر كرهه والداه؛ لأنه ولد وكانا يتمنيان مولودة أنثى الأمر الذي جعلهم لا يرحبون بوجوده فتركاه في سريره طوال ستة أشهر!! وكان شيئاً قاسياً عليه وعليها كلما حاولت أن تحمله بين ذراعيها!! ولهذا أصبح مبدأ التخلي عن الطفل في غاية السهولة ولا يعد معيباً في حقهم، وخصوصاً حين يكون وجوده عائقاً أمام راحتهم وسعادتهم أو رغبتهم في أن يعيش حياة أفضل لدى عائلة أخرى!، لكن في كثير من الأحيان يحاولون الاعتناء بأطفالهم والاحتفاظ بهم، وخصوصاً الأمهات ولو كن صغيرات.

حكّت لي إحدى الأمريكيات بكثير من الإشفاق عن ابنها وحفيدتها فقالت:

عندما حملت صديقة ابني فكرت هي وابني في إعطاء الطفل بعد ولادته لعائلة غنية؛ لتتبناه وتصرف عليه، وذلك أفضل له كما يريان، فلم يكن لديه عمل وقتها وكان صغيراً في الثانية والعشرين من عمره، فكيف سيصرف على الطفل؟ لكنهما عندما شاهدا الطفلة قررا الاحتفاظ بها، وعاد ليعيش معنا كنت أتمنى أن يحتفظ بالطفلة؛ لأننا سنتساءل عن مصيرها فيما بعد، وبعد أن بلغت الطفلة سنة ونصف من عمرها، وكانت طفلة جميلة، قررا الزواج وقالوا: يجب أن نعمل

سوية وهذا ما قلته لهما: إذا أنجبتما طفلاً لا بد أن ترتبطا ببعضكما.
سألتهما: هل ترين أن من الطبيعي أن يحدث ذلك (الإنجاب دون زواج)
قالت: حالياً أصبح طبيعياً، لكنه من المفترض ألا يكون كذلك!!

ولا عجب أن الصغيرة تدخن، وتشرب الكحول، وتتعاطى المخدرات!
(في عام 2005 صدر تقرير بأن 4% من طلبة الصف الثامن
و8% من طلبة الصف العاشر و14% من طلبة الصف الثاني عشر
كانوا يدخنون يومياً أثناء شهر واحد فقط! ومتعاطو المخدرات أثناء
شهر واحد فقط من العام نفسه كان بنسبة 9% لطلبة الصف الثامن
و17% من طلبة الصف العاشر و23% من طلبة الصف الثاني عشر،
والإحصائية تشمل الجنسين!!)¹.

وتقول عنهم (سارة بوكير) (أمريكية اعتنقت الإسلام): انسي
الأطفال، فقد تركوا بلا أنظمة ولا حدود أو حب واهتمام مما يسبب
لهم محاولة تعويض هذا الحرمان في أي مكان آخر، عادة ما تكون بيئة
منحرفة كالكحول والمخدرات. وتقول: المراهقات تُفرض عليهن قوانين
معينة كحظر الخروج من المنزل في ساعات معينة، ولكن إذا لم يكن
أهلن صارمين في ذلك سيكون لهن الحرية التامة للذهاب لمواعيد
الغرام مع الشبان، وحضور الحفلات المأجنة مع الأصدقاء والعشاق. .
ومع هذه الأنشطة تأتي الكحول والعلاقات الجنسية وتعاطي المخدرات!!
كل هذه الأمور أصبحت طبيعية اعتيادية في بلاد الحرية؛ لذلك فأني

1- موقع الحكومة الأمريكية www. usa. gov

شخص يقرر الامتناع عن مثل هذه المواقف يصبح منبوذاً!! إلا إذا كان هذا الشخص قوياً جداً أو يملك دعماً قوياً وإلا سيكون في النهاية خاضعاً لتلك الضغوط وممارسة كل تلك الأشياء ليعيش طبيعياً.

إحدى الأمريكيات تحدثت بصراحة عن زوجة ابنها الحالية (صديقته سابقاً) قائلة: لقد ربت زوجة ابني نفسها!! والداها كانا يعملان ساعات طويلة، وقد تحملت مسؤولية نفسها وأختها وأخيها اللذين يصغرانها، عندما بلغت الثامنة من عمرها أصبحت أمّاً وليس طفلة؛ ولم يكن لديها فرصة لتكون طفلة! ولأنها عملت بمشقة في مساعدة أهلها كافأها بأن لم يلزمها بأنظمة وقوانين كما هي العادة مع الأطفال! فهي التي تطبق الأنظمة على أخويها! ولكن حين أصبحت في الكلية مارست حريتها الزائدة كما لو كانت في بيت أهلها وفي سكن الكلية، مثلاً كانت تعمل ما تريد أن تعمله ولا تخبر شريكها في الغرفة، إلى أين ستذهب، وهي منزوعة منها؛ لأنها لا تساعد في تنظيف الغرفة، بل لا تهتم بالتنظيف إطلاقاً! هي حرة في الكلية طبعاً، ولكن المفترض أن يكون لديها مسؤولية وقوانين تطبقها كأن تخبر شريكها إلى أين ستذهب؟ وماذا ستفعل؟

وهكذا عاشت حرية زائدة فهي بحاجة لمن يعتني بها، وأعتقد لهذا السبب حملت من ابني حتى يتزوجها ويعتني بها، فقد تعبت وهي صغيرة من العناية بالآخرين والعناية بنفسها، وترى الآن من السهولة أن تجد شخصاً تعتمد عليه، قد أكون مخطئة في اعتقادي هذا، ولكن أعتقد أن الحرية الزائدة التي عاشتها ولم تجد من يقول لها لا، جعلها تتصرف

تصرفات غير مسؤولة ولا تملك القدرة على اتخاذ القرار السليم وتبحث عن آخرين لتعتمد عليهم، هذا يعني أن الأطفال لا يحتاجون حرية مطلقة؛ بل يحتاجون أن نعلمهم الصح والخطأ ونعطيهم الأنظمة لتقيدهم، وإن لم يكن كذلك اعتقدوا أنك لا تعني بهم!

تقول (إمبر) (عشرون عاماً) المراهقات لم يعدن يحترمن الكبار والمراهقين عموماً يثيرون المشكلات بتربيتهم السيئة، ويعملون أشياء سيئة تؤدي بهم للسجن بعضهم يقول: سأنتبه لحياتي حين أبلغ الثامنة عشر، لكنهم يعودون للسجن!

تقول (ريتا)؛ عندما يتربى الأطفال في بيت ممتلئ بالحب والاحترام وتقديم أمثلة جيدة له (من قبل الأهل) فهذا ما يبحث عنه الطفل عندما يكبر. فالضرر يأتي من الآباء عندما لا يلقون بالاً لما يراه الطفل، فالشر لا يخلق من الحرية؛ بل يأتي من الناس الذين نشؤوا في بيت تحدث فيه أفعال قبيحة، فالأطفال يرون الكبار قدوة لهم في قوانينهم الحياتية.

والحديث عن المراهقين والشباب من الجنسين مؤسف إلى درجة الاشمئزاز، بحركاتهم البهيمية، بل لو نطقت البهيمة لخرجت من وقاحتهم وجراتهم واستباحتهم لكل شيء وأي شيء حتى الجراءة على قوانينهم، وفي ميلهم لكل ما هو غريب يجذب العيون ويلفت الانتباه، حتى وإن كان مستهجنًا فاضحاً ومثيراً للتقزز فالمهم إشباع غرائزهم وتقول (يوسيبا) (أمريكية من أصل فلبيني): أنا هنا منذ عام 1980 وأرى المراهقات الآن يفعلن أخطاء أكثر من قبل، والأطفال كانوا أكثر

احتراماً للكبار أما الآن فليس هناك احترام من الصغار للكبار ومما يثير الاشمئزاز ما نراه من المراهقين حتى في المكتبة (تعمل في مكتبة فلباسهم غير جيد ويقومون بحركات غير لائقة!) وتضيف (يوسيبا): الأطفال هنا لا يحترمون آباءهم ويردون عليهم حتى إن الأهل يخافون من أولادهم المراهقين.

تقول (جولي): المراهقون عادة يلجؤون لما هو مخالف كصبغ شعورهم بأصباغ ملونة ومحاكاة ظاهرة (الهيبيز)¹. ما زالت حاضرة في مجتمعاتنا!! ربما هي طريقتهم في التعبير عن حاجتهم لمن يتحدث معهم ويصغي إليهم.

(أنغريد) من فنزويلا تقول: في وطني المراهقات أضعن القيم تماماً! إنهن يتعاطين المخدرات في سن صغيرة ولباسهن مثير جداً. لكنها تتابع في وطني يبدو طبيعياً هذا اللباس!!

تقول (رندة) (طالبة مسلمة في الثانوية): تصدر حركات سيئة بين الطلاب والطالبات وقد يستغلون بعض الأوقات لتبادل القبلات! كما أن المدارس الثانوية تقيم عادة حفلات مختلطة في نهاية العام الدراسي، حيث تستأجر لطلاب الثانوية العامة مكاناً للاحتفال والرقص، وبعد نهاية الحفلة لهم أن يتوجهوا شباباً وشابات لأي مكان! وأصبحنا نسمع من يطالب بالفصل بين الجنسين؛ لتأثير الاختلاط على تحصيلهم

1- حركة نشأت في الستينيات في أمريكا اختار الشباب المنتسبون لها حياة التشرد ولبس الملابس الجلدية والشاذة وإطالة شعورهم وإدمان المخدرات والعقاقير والثورة على العادات والتقاليد.

العلمي؛ وذلك من تبعات الاختلاط المريعة، تقول (فيكي): ابنتي في الثالثة عشر من عمرها تحدثني عن كثير مما يحدث في المدرسة من التلاميذ والتلميذات وأنا أقلق عليها كثيراً.

تقول (إلينا): عملت مدرّسة في مدرسة ابتدائية وكنت أدرّس الصف الخامس والأطفال بأعمار ما بين الحادية عشر والثانية عشر، وقد حدث من الأولاد تصرف أذهلني، بل أرعبني فقد كان بعضهم يجبرون البنات على عمل جنسي شاذ معهم! والبنات كن يعتقدن أنه من المفروض أن يمارسن ذلك! حين تحدثت معهن الممرضة! كن ثلاث أو أربع تلميذات ناشطات جنسياً لقد راعني أن يصل النشاط الجنسي للصف الخامس، فعندما كنت صغيرة كانت مرحلة الثانوية العامة هي بداية النشاط الجنسي للطلاب والطالبات! طبعاً ليس الجميع بل بعضهم، ابني في المرحلة المتوسطة ويحدثني عن الضغوط التي تواجه الأطفال من العشاق والعشيقات! فهم يشعرون أنهم لا بد أن يكون لهم مواعيد غرامية مع بعضهم! كنت أتعجب من ذلك، وأقول: أنت في الثانية عشر فقط فيسألني: ومتى علي أن أبدأ باتخاذ صديقة؟ لذلك هذه الأمور بدأت تبدأ بعمر أصغر فأصغر وأعتقد أن كثيراً منها لا يكون بإدراك وكثيراً من الأطفال يتخيّلون دون ممارسة حقيقية، ولكنهم يتحدثون فقط عما سيفعلونه، لكن هذا أيضاً يضر بتفكيرهم إذا تكلّموا بمثل هذه الأمور.

الذي يبرز معاناة الأطفال وافتقارهم لأبائهم حتى قبل ولادتهم ما تفعله بعض النساء التي تعتمد للإنجاب وهي لم تتزوج ولم تتخذ صديقاً؟ فهي حين تستغرق في حياتها وعملها ولهوها تصحو من سباتها

وحيدة، وقد تجاوزت سنّاً يجعلها غير قادرة على الحمل مثلاً، أو حتى تكون في سن الحمل، لكنها لم ترتبط بصديق أو زوج، أو حتى لا تريد ارتباطاً بالرجل فتعتمد إلى التخصيب عن طريق بنوك النطاف وتلقح نفسها!! من أي رجل متبرع أو بائع لنطفه حسب اختيارها لمواصفات، وليس لها أن تعرف من يكون حتى لا تلاحقه فيما بعد لأجل الطفل!! ولا يمنع أيضاً من استعارة بويضة من متبرعة إن كان بها خلل ما أو كانت كبيرة في السن!! أو إعطاء بويضتها الملحقة من أي أحد! لامرأة أخرى فيما يسمى بالرحم المستأجر، طبعاً كل ذلك مقابل مبالغ مالية، إذ أن تلك الحرية أعطتهم الحق في هذه الفوضى الأخلاقية؛ ولأن المادة هي الأهم قامت شركات كاملة على الإفادة من هذه الفكرة، فالرجل يبيع نطفه لهم ويكسب، وهم يبيعون المرأة ويكسبون وهي تكسب الطفل!

تقول (ندى): سأحدثك عن جارتني التي تمثل شريحة من المجتمع الغربي فهي لم تتزوج ولن تتزوج!! ولكن لديها ابنتان وتعيش معهما فقط، وهي تعمل في وظيفة حكومية راقية، وعندما قررت أن تكون أمّاً للمرة الأولى ذهبت لبنك الحيوانات المنوية واشترت واحداً بعد فحوصات طبية معينة وحملت تحت إشراف الطبيب ورزقت بابنتها الأولى، وبعد سنتين كررت المحاولة وولدت بنتاً أيضاً، وهكذا أصبحت أمّاً من رجل لا تعرفه! وابنتاها بلا أب أيضاً.. ولأنها عاملة وتعيش وحدها تضع الصغيرتين في حضانة الأطفال طوال اليوم تقريباً، وفي العطلة تأخذهما إلى والدتها وهكذا لا تحاول الاختلاط بالجيران ربما؛ لأنها تخجل من وضعها وتخشى أسئلة الآخرين!! وهكذا يصبح الأمر طبيعياً جداً لدى الصغيرة حين تكبر، ومن ثمّ يتطبع المجتمع على

عادات مستهجنة غير سوية إطلاقاً!!، فهذه من الممارسات التي تعدّ شاذة تخالف الفطرة والأخلاق، ولا يهم اختلاط الأنساب أو كونه زنى، فالهدف أن تكون أمّاً.

وما أكثر ما نتطرق لهذا الموضوع! معاناة الصغار لأن أهمهم عاملة (وهذه الكلمة تعني غيابها معظم ساعات اليوم)، فكم يقاسي الأطفال مع أمهاتهم العاملات، أراهم يومياً يخرجون في ظروف جوية متجمدة يحملون بين أناملهم زجاجة الحليب إلى حضانات غالية الثمن عادة، أو تحضر لهم جليسة أطفال في المنزل تكون غالية أيضاً! حتى أطفالهم في سن المدارس بالرغم من طول اليوم الدراسي إلا أنهم يبقونهم في مدارسهم أو في أماكن أخرى حتى ينتهي عمل الأم، وبالطبع يدفعون ثمن ذلك ففي هذه البلاد كل شيء بثمن! وتعدّ الحضانة (الدي كير) أو جليسة الأطفال (البيبي ستر) من أكثر المصروفات التي ترهق ميزانية الأسرة نظراً لغلاء أسعارها.

كما أن غياب الوالدين طيلة اليوم عن أطفالهما وتربية الآخرين لهم مؤلة لهما، تقول أمريكية: إن أهم مساوئ الحرية الاضطراب للعمل الذي يبعدنا عن تربية أطفالنا في المنزل!! فالوالدان لا يبقيان كفاية في المنزل ليكونا قريبين من أطفالهم، وهكذا يتربى أطفالنا على يد أشخاص آخرين مما يجعل الأطفال أكثر عنفاً، ومن ثمّ يتعاطون المخدرات والكحول فيما بعد.

تقول (ميجان): الحياة الغربية ممتلئة حالياً بالمشكلات الجديدة من نوعها.. بسبب الحياة الاقتصادية الجديدة؛ النساء يجب أن يعملن

لتأمين السكن المناسب مع جيران طبيين.. أو لتأمين مدارس جيدة.. أو عناية صحية ممتازة لأطفالهم، لهذا أصبح لزاماً على الأمهات الصغيرات أن يدفعن لأخريات ليقمن بالعناية بأطفالهن!! هذه أفكار غريبة.. وأعتقد أنه لا شيء أهم من تربية الجيل الجديد، وأنا غير مرتاحة لفكرة أن أستأجر أمّاً بديلة لأبنائي!!

ليس لدي أطفال الآن.. ولكن عندما يصبح لدي أطفال.. لن أتركهم لغيري، ولكنني سأبقى في المنزل لرعايتهم في طفولتهم وتربيتهم والتأكد من أنهم ينشؤون أطفالاً صالحين.. المشكلة في المربية هي أنها تريد الطفل هادئاً.. وتركه وحيداً!

وحدهم الوالدان هما من يهتمان بالطفل ويبدلان طاقتهم لتعليمه وتنشئته تنشئة سليمة.. وعندما يكبر أطفاله ويدخلون المدرسة.. سأجد الوقت الكافي للعمل.. لأساعد غيري خارج نطاق أسرتي.

وقد تبدأ معاناة الأطفال وهم في رحم أمهاتهم، عندما يتعاطين المخدرات والكحول، فتتأثر تلك الأجساد الصغيرة، وتحدث التشوهات العقلية والجسدية لهم عندما يولدون، تقول (إلينا): صديقتي كانت تتعاطى المخدرات والآن أولادها يعانون من مشكلات صحية وأعتقد أنه من جرّاء تعاطيها المخدرات، ومن ثمّ تعلم الناس من بعضهم كما أنه إذا كان الأهل غير متعلمين وغير بيبي الأطوار فالأطفال سيكونون مثلهم.

وتبدو (سيليسيا) متفائلة وهي تقول: لقد بدأت النساء تعي أخطار التدخين وشرب الكحول حين يحملن لمضرته على الجنين.

ومن الأمور اللافتة أنه لم يعد هناك وقت كافٍ للمرأة للإنجاب وإن أنجبت كان العدد قليلاً؛ لصعوبة التريبة من حيث المادة والمسؤوليات الأخرى، وشعورها المقلق بأنها ستكون وحيدة حين يتخلى عنها شريكها (زوج أو صديق) بأنانية طاغية، ويبحث عن لهوه وراحته بعيداً عن تلك المسؤوليات والأموال التي يتحتم عليها دفعها. لذلك يلجأ بكثرة لموانع الحمل لمنع إنجاب الأطفال (المؤرخ في يوم ما قد يطلق على حبة منع الحمل انتحار الغرب. أول رخصة لها كانت في عام 1960م وفي عام 1963م 6% من الأمريكيات كن يستخدمن اختراع د. روك وفي عام 1970م 43%)¹.

ومنهن من تلغي فكرة الإنجاب تماماً تقول (وتشي) التي تبلغ من العمر 44 عاماً: اتفقت وزوجي على عدم إنجاب الأطفال ونحن سعداء بهذا القرار! وقالت (فيكي) (لديها ابنتان): لا أريد إنجاب المزيد ذلك غال جداً بالنسبة لرعايتهم ومصاريفهم، ومنهم من تخشى مسؤولية إنجاب، الأطفال وتربيتهم، حتى إن إحدى الأخوات تقول: إنهم يربون الحيوانات عامدين متخذينهم بدلاً من الأبناء مخافة المسؤولية.

ويتخذون الكلاب والقطط (أعزكم الله تعالى) بالذات، مؤنسين وأصدقاء، بل يعدونهم أبناء، فلا عجب أن تجيبك من إذا سألتها: هل

1- كتاب باتريك بوكانان - موت الغرب ص 26.

لديك أبناء؟؟ قالت: عندي بنت وكلب أو قطّة وكلب! حتى إنني سألت السؤال ذاته للأمريكية في الأربعينيات من عمرها فأشارت إلى كلبها قائلة: هذا ابني! وهي تطلق ضحكة عالية، وتتحدث الأخت (روز) عن شكوى أمريكية لها من تربية كلابها الأربعة ومسؤوليتهم الكبيرة وانشغالها بهم!! على الرغم من أنها اقتنتهم لحبها لهم لدرجة أنها خصصت دوراً كاملاً في منزلها لهم!! والكلاب في معظم البيوت ولدى معظم العائلات، ويعدونها أفضل صديق لهم، وينفقون عليها كثيراً من الأموال من طعام خاص وعلاج وكثير من الوقت في تربيضهم، والمشي ساعات طويلة بهم سواء قبل العمل في ساعات الصباح الأولى، أو بعد عودتهم من أعمالهم تراهم يمشون بها ومعهم أكياس صغيرة يحملون قاذوراتها، وربما تركوها بلا مبالاة!! وتقول جولي: أعرف امرأة ليس لها أطفال، لكنها حين تتحدث عن كلابها وأحصنتها تتحدث وكأنهم أولادها!! وتقول: حين ذهبت وزوجي بكلبنا للطبيب قال له: (بوبي أندرسون) لديك موعد اليوم؟ مما أثار امتعاض زوجي، فأندرسون هو اسم عائلتنا، تقول (فرونيكا): كانت لدي جارة أسمعها دوماً تصرخ على والدتها!! أمي لا تفعل ذلك، أمي اجلسي! وحين رأيتهما أول مرة سألتها لماذا تصرخين على والدتك دوماً، فقالت باستغراب: ولكن والدتي لا تعيش معي! تلك قطتي! أقول لها ماما! والحقيقة لدي ثلاث قطط!!؟

فلا عجب إذاً - وهذا مبلغ تفكيرهم - أن يورث أغنياءهم ثرواتهم الهائلة لقططهم وكلابهم!

12- الحرية الجنسية وأمراضها القاتلة

لأن المرأة المتحررة التي تعيش تحت مظلة مجتمع حر أصبح لديها مطلق الحرية لتستمتع بجسدها كيفما شاءت ومع من أرادت، حتى وإن كانت متزوجة، وبالرغم من المحاذير والحرص على الجنس الآمن والتثقيف والوعي، إلا أن هذه الحرية مع تعدد العلاقات من النساء والمراهقات مع العشاق، واستحالتها من أمر مقزز ومستهجن إلى أمر عادي وطبيعي، تسببت في ظهور أمراض قاتلة كثيرة أشهرها مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز).

ويشير المركز الوطني للوقاية من الأمراض المزمنة وتعزيز الصحة في أمريكا إلى أنه في كل عام تظهر 19 مليون حالة جديدة من الأمراض المنقولة بالاتصال الجنسي، ونصفهم تقريباً من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و24 سنة

وصدق الرسول الكريم ﷺ وهو يقول -بأبي هو وأمي- كما جاء في سنن ابن ماجه وغيره بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتكم بهن، وأعوذ بالله أن تدركنهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا) الحديث. تبعاً لذلك أصبحت الدول المتحررة تنفق كثيراً على علاج تلك الأمراض في المستشفيات والعيادات والأبحاث الخاصة بإنتاج أدوية تحارب تلك الأمراض. تقول (جولي): العالم ينفق كثيراً من المال لعلاج الأمراض الجنسية بسبب انتشار الفاحشة!

الغريب في الأمر أن تلك الدول المتحررة تعتمد بمؤسساتها وإعلامها على توعية الناس للوقاية من الأمراض، وذلك بشرح وسائل الوقاية، واستخدام كل ما يمكن لهم المحافظة على أنفسهم من العدوى الممكنة! لكنهم لم ينصحوا بخطورة شيوع العلاقات الجنسية وانتشارها وحريتها، وأنها إذا خرجت عن مؤسسة الزواج كانت فتاكة وهادمة للأفراد والمجتمعات!؟

وفي أحدث تقرير للمراكز الأمريكية للسيطرة على الأمراض الذي وُزِعَ في اجتماع في شيكاغو في (الحادي عشر من آذار/ مارس عام 2008) وتحدثت عنه وسائل الإعلام الأمريكية، وجدوا أن أكثر من واحدة من كل أربع فتيات أمريكيات مراهقات ما بين 14 عاماً و19 مصابات بأمراض منقولة جنسياً!

ولم تشمل الدراسة الأمراض الخطيرة كالإيدز والزهري والسيلان!!

تقول الدراسة: إن (3.2) مليون فتاة مصابة! في هذه المرحلة العمرية فقط! ومن ثمّ فهنّ معرضات لخطر الإصابة بالسرطان، وخصوصاً سرطان عنق الرحم والعقم أيضاً، تقول أم أمريكية لفتاة مراهقة حين سمعت ذلك في الإذاعة: أحسست بالصدمة، فهذا خطر جداً وكانت ذاتها قد سألتني سؤالاً معتاداً بتوصية من أخرى: هل الإسلام يسمح للرجل بالزواج من امرأتين معاً؟ أجبتها بنعم مع بعض الشرح، ثم سألتها: أليس من الأفضل زواج الرجل بامرأتين على أن يتزوج امرأة واحدة، ولكن يعاشر نساء عدة!! قالت: ربما هذا أفضل حل!!

13- الشذوذ وزواج المثليين

مما يعاني منه المجتمع الغربي الآن وبكثرة متزايدة ولافتة انتشار الشذوذ فيما بينهم، فلا عجب أن تتزوج الفتاة صديقتها أو الرجل صديقه! وقد وجد من يشجع على هذا الشذوذ، وبعد أن كان الأمر معيباً ومستتراً صار علنياً مألوفاً، بل ويدافعون عن حقوقهم وحياتهم والقانون أيضاً وتبرزهم وسائل الإعلام على أنهم أناس عاديون وهم أسوياء وليسوا شاذين!! وهم مواطنون لهم حقوقهم وحياتهم الشخصية التي تبيح لهم شذوذهم عن الفطرة الإنسانية! ويسعون إلى تبني الأطفال ليكونوا أسرة بزعمهم وعليه يكون الرجل أمأ وفي المقابل تكون المرأة أبأ!! في هدم ساذج وبهيمي لأركان الأسرة المتأرجحة أصلاً.. وبالطبع يتزوج الرجل صديقة وفي كلا الحالتين سمح لهم بالزواج في بعض الولايات في أمريكا، وكذلك أوروبا، وأصبح الموضوع يتعلق بالتصويت حتى تقره الولاية ومن ثم يصبح قانونياً، وأصبح لهم حقوق ومدافعون ورابطة وجمعيات تدعو الناس لممارسة الشذوذ بدافع الحرية الجنسية!! في صورة ساذجة بهيمية.. الذي كانوا يتوارون منه ويخجلون منه أصبح عادياً يفخرون به ويجاهرون بفعله، ومنهم مشاهير ومشهورات يقتدي بهم المراهقون وأبناء سياسيين، لهم كلمتهم وتأثيرهم على المجتمع!! تقول (سكينة) (أمريكية اعتنقت الإسلام): من أكثر الأمثلة دلالة على سلبات الحرية ومشاقها ما صار من إباحة الشذوذ الجنسي وتشجيع الغرب له، بل والمحاربة بقوة لأجله ولحمايته وتشجيعه، فالمجتمع بالأساس وافق على ممارسة هذا الإثم ليس في الخفاء فقط؛ بل في العلن!!

تقول (أم طارق) (أمريكية اعتنقت الإسلام): من المشكلات هنا وهي نتاج التفكك الأسري بدعة العلاقات الجنسية المثلية (الشدوذ) في أجزاء عديدة من البلاد (وليس كل مكان) أصبح مقبولاً أن يكون الشخص شاذاً، وهذا أسلوب حياته وله أزياءه الخاصة، ولكن نحن أحرار بأن نكون على هذا النحو؟ فهو أمر شائع ويبدو في برامج التلفاز وفي السينما ويجري تدريسه على أنه طبيعي، وكتب الأطفال تحاول جعل الجيل القادم يرى أن هذا أسلوب حياة عادي ومقبول. تقول محامية أمريكية: حين دخلت امرأة المنزل وجدت زوجها في وضع شاذ مع رجل آخر، لكنها لا تستطيع أن تطلقه بسبب شدوذه، فهو حر!!

14- كثرة الجرائم والعنف ضد المرأة

بالتأكيد كل مجتمع يعاني من الجرائم، ولكن بنسب متفاوتة، وهي في أمريكا وسائر البلاد الغربية كثيرة ومتنوعة، فلا حدود تردعهم برغم القوانين الصارمة أحياناً، ولكن لا وازع ديني يمنعهم، أو حتى يقلل من اندفاعهم نحو الانتقام نتيجة الإحباط والاكتماب وسائر الأمراض النفسية المسببة للجرائم في أحيان كثيرة إلى جانب الكحول والمخدرات المتاحة لهم، وكل ما يذهب العقل ويجعل العقلاء في عداد المجانين ويغذي الأفكار الشيطانية، وخصوصاً أن شرب الكحول عندهم كشرب الماء.. والمخدرات بأنواعها وسائر ما يذهب العقل ويجعل شاربه كالبهيمة أو أشد، إضافة لوجود العصابات المنظمة

حتى على مستوى المراهقين وطلبة المدارس.. يقول القاضي (لويس ج. بيريز): (من الحقائق البديهية أن عالمنا ما فتئ يزداد تعقيداً وصعوبة. وما المخدرات غير الشرعية والأسلحة ونشاط العصابات والعنف إلا بعض المشكلات الكثيرة التي أصبحت تشكل تهديدات مألوفة ضد نوعية الحياة في العديد من المجتمعات المحلية في الولايات المتحدة، وليس فقط في الأحياء الداخلية الفقيرة، بل وفي المدن)¹. لذلك ليست المرأة الأمريكية وحدها تعاني كثرة الجرائم بل المجتمع بأكمله كافة، لكنها أيضاً بوصفها امرأة لها معاناتها الخاصة، يزيد لها كونها متحررة، فهي تعاني من العنف بشتى أنواعه: في الشارع والأماكن العامة والعنف الأسري أيضاً.

ومن أكثر ما تعاني منه المرأة من الرجل الضرب، والعنف الشديد الذي يؤدي للقتل أحياناً، أو على أقل تقدير الإصابات الخطيرة على أيدي أزواجهن أو أصدقائهن! (وفقاً لتقرير أصدرته منظمة الصحة العالمية في عام 2002، أظهرت دراسات أجريت في كل من أستراليا وإسرائيل وجنوب إفريقيا وكندا والولايات المتحدة أن 40 - 70 بالمئة من النساء اللاتي تعرضن للقتل، قُتلن على أيدي شركائهن الحميمين، عادة في سياق علاقة تقوم على الإساءة. (وتفيد منظمة الصحة العالمية أن 40

1- قضايا الديمقراطية، مجلة إلكترونية تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية لمجلد 8، العدد 1، أيار/مايو، 2003. usinfo.state.gov/journals/itdhr

في المئة من النساء اللاتي يتعرضن للقتل يلقين حتفهن بأيدي الزوج أو الرفيق¹. وما مظاهر احترام المرأة عندهم بتقديرها أولاً وغيرها إلا شكيلات بسيطة ومظاهر فقط. (أكثر من أربعة ملايين امرأة أمريكية تعرضن لاعتداء عنيف من قبل شركائهن في اثني عشر شهراً، ومتوسط ذلك: تقتل أكثر من ثلاث نساء كل يوم على أيدي أزواجهن أو عشاقهن. مما يعني ضرب 5500 امرأة يومياً حتى الموت منذ 11 سبتمبر)².

وعلى الرغم من القانون الأمريكي في دعاوى التحرش التي تقف في صف المرأة وتصدقها، إلا أنها لم تسلم من أنواع الاعتداء حتى في مواعيدهن مع الآخرين إن لم ترغب بالطبع!

تقول (إلينا): عشت عازبة وقتاً طويلاً حتى سن الثلاثين، وبالتأكيد توجد مشكلات خاصة للمرأة العازبة، وخصوصاً في المواعيد مع الشبان، فلا بد أن تكون الواحدة منا حريصة في لباسها، فلا تكون مثيرة مثلاً حتى لا يتحرش بها الرجل، كما حدث لصديقتي حين لبست ملابس مثيرة، فالعازبة لا بد أن تحرص، لكن لا يعني ذلك ألا تفعل شيئاً، لقد كنت أسافر وأعمل كل ما أريد عمله، لكن لا بد من الحرص وعدم لفت الانتباه كثيراً. ومن أكثر ما تعانيه المرأة الغربية من أنواع العنف جرائم الاغتصاب على الرغم من الحرية الجنسية لديهم!!

1- موقع الأمم المتحدة www.un.org.

2- الكاتبة الإنجليزية المسلمة إيفون ردلي ن كيف أصبحت أحب الحجاب، الثلاثاء -31- تشرين الأول/ أكتوبر 2006 www.yvonneidley.org.

وفي إحصائية لوزارة الداخلية الفرنسية أشارت إلى وقوع 4412
حادثة اغتصاب أثناء عام 2006م في فرنسا، وفي أمريكا تقاس جرائم
الاغتصاب بالثانية وليس بالدقيقة فضلاً عن اليوم!!

تقول (جولي): تعاني النساء في أمريكا بكثرة من الخوف من
الاغتصاب الذي يكثر عندنا خاصة النساء اللاتي يخرجن بالليل، أو
اللاتي لديهن مواعيد ليلية مع الرجال أو الأولاد! لدى المرأة هنا دوماً
هاجس الخوف!

وتصف الكاتبة البريطانية (يفون ردلي) المجتمع الغربي بأنه
(مجتمع الاغتصاب والاعتداءات الجنسية والعنف ضد النساء فيه شيء
مألوف، حيث مجتمع المساواة بين الرجل والمرأة وهم من الأوهام، إنه
المجتمع الذي يكون فيه نفوذ النساء وسلطتهن تبعاً لحجم أثمانهن)¹.

تقول امرأة أمريكية بحماس وقد كادت عيناها تجحظان: أشعر
بالخوف كوننا نساء نخاف حين نضطر للذهاب لمواقع معينة في
المدينة خاصة وتقول (كارينا): الرجال هنا مخيفون لا أشعر بالأمن،
فتنظراتهم تتبعني على الرغم من لباسي المحتشم، واشتكت أمريكية
لإحدى الأخوات فقالت: إنها تحرص على إقفال أبواب سيارتها ونوافذها
عند ذهابها للجامعة (هي محاضرة) وتتمنى ترك عملها لشدة خوفها،
وذلك لوجود الجامعة في منطقة غير آمنة وهذه العبارة (منطقة غير
آمنة) أو شارع غير آمن متعارف عليها في كل مدينة تقريباً، وكذلك

1- الكاتبة الإنجليزية يفون ردلي ن كيف أصبحت أحب الحجاب، الثلاثاء -31-
تشرين الأول/ أكتوبر 2006 www.yvonneridley.org

المناطق والحارات (إن جاز لي التعبير) وهي عادة تكون رخيصة وفقيرة ويتحاشى الناس المرور منها! ويكونون حذرين جداً إذا اضطروا لذلك، ومن الممكن جداً أن تكون سيارة الشرطة وبداخلها رجل بزيه العسكري، لكنه ليس إلا مجرمًا يريد ابتزازك أو قتلك، تقول إحدى الأخوات: استوقفتني سيارة الشرطة كان الوقت ليلاً وأنا بشارع داخلي، لكنني اضطررت للخروج من هذا الشارع للتوقف في شارع عام؛ لأنني لا أثق أن هذا شرطي فعلاً!!

قالت أمريكية بألم: السكارى يخرجون من البارات وقد فقدوا عقولهم ويعتدون على النساء، إنهم لا يأبهون بالشرطة أيضاً! وأشارت بيدها قائلة: انظري هناك بار وهناك آخر وآخر هناك، وهناك مبنى الشرطة قريب أيضاً، لكنهم لا يأبهون بها! وتابعت: عمري تسع وأربعون عاماً ومع هذا أتعرض لكلام بعض الرجال البذيء ودعواتهم للجنس!! حتى إنني تعرضت لمحاولة اختطاف أحدهم لقد أمسكني بقوة، وكمم فمي وأدخلني سيارته، وكنت محظوظة حين رآه الناس وجاء أحدهم يدق نافذة السيارة، فرماني منها وذهب!!

تقول أمريكية: لا بد أن أغير مكان سكني، بل المدينة كلها؛ لا أشعر بالأمان إطلاقاً، ثم سألتني: هل سمعت ما حدث بالأمس في شارع (تن ستريت)، هذا الشارع الخطر الذي يتحاشى الناس المرور فيه! وحدثتني عن جريمة لا تعد مستغربة حين اختطف شاب في الثانية والعشرين من عمره فتاة واعتدى عليها، وحين طوقت الشرطة بيته لم يتمكن من الهرب، فانتحر (لذلك يعد في أمريكا البحث عن المسكن العائلي الآمن والبعيد عن أماكن اللهو والجيران السيئين مهماً).

(حتى البلدان التي تتمتع بالسلم والرفاهة النسبية، يعيش كثير من النساء في حالة دائمة من انعدام الأمن)¹.

ومن المتعارف عليه أن يكون بحوزة المرأة بعض وسائل الدفاع عن أنفسهن (كالبخاخات الحارقة مثلاً) أو حتى تتدرب للدفاع عن نفسها، وقد تحدث الناس في المدينة التي أقطنها عن فتاة صغيرة أصابت من حاول خطفها إصابة بالغة لإتقانها فنون الكارتية!!

ولكن ما أكثر ما تقدم الفتاة نفسها فريسة للمعتدي، فهي مثلاً تمارس رياضة الركض، وهي شبه عارية، وقد تعالت أصوات الموسيقى في أذنيها في مكان خال وفي أي ساعة من اليوم!! والحقيقة أن المرأة الغربية بمظهرها الخليع توحى بأنها تريد أن تغتصب!

وكم هن اللاتي تعرضن لاعتداءات مختلفة وموحشة ليس الاغتصاب فحسب؛ بل والقتل أيضاً بسبب حريتها! فهي مسؤولة عن نفسها حرة تصرفاتها فتلبس لباسها الماجن وتكمل سهرتها، حيث النوادي الليلة والأصدقاء والخمر الذي يذهب بالعقول.

وتتكاثر المشاحنات بين الأزواج، الأمر الذي يصل حد الضرب والتهديد بالقتل والقتل في بعض الجرائم، وما أكثر ما تستدعى الشرطة لفض النزاع بين زوجين أو صديقين في كل أوقات اليوم؛ بل وحتى في آخر الليل، لكنها أي الزوجة قد ترفض اتهامه؛ لحاجتها له أو خوفها منه، وخصوصاً حين يأتي استدعاء الشرطة من قبل الجيران؛ لشعورهم

1 - موقع الأمم المتحدة www.un.org.

بالانزعاج أو خوفهم من جريمة على وشك الحدوث أو من الأبناء،
فأحدى التلميذات في المرحلة الثانوية تقول: إنها تضطر لاستدعاء
الشرطة إذا دبت مشاجرة بين والديها، وربما سجنَت الزوجة زوجها
لأنه ضربها.

ولا يخلو الأمر من ضرب الزوجات لأزواجهن!

تقول أمريكية مسلمة: لقد تعرضت للمشكلات ذاتها التي تتعرض
لها المرأة الأمريكية، فلقد تعرضت للاغتصاب في سن السابعة عشر
وأحسست بالضيق، فبدأت بتجويع نفسي وقدر الله، فتزوجت بعمر
التاسعة عشر وكان زوجي لا يريد إنجاب الأطفال، لكنني أنجبت منه
ثلاثة، وقد كان يضربني دوماً واستغرق الوقت للفرار منه عشر سنوات،
لأنه هدد بقتلي وقتل أطفالي، وفي أحد الأيام اكتشفت خيانتة لي مع
عشيقة عمرها نصف عمرنا! وغضب جداً لأنني عرفت وكنت متأكدة
أنه لن يوفر الغذاء لأطفالنا. وأخيراً حصلت على الطلاق منه، فكانت
أمي تريدينني أن أذهب للحانات لشرب الخمر والرقص، وتقول: إن هذا
سيجعلني أشعر أنتي أفضل، لكنني لم أكن أريد الذهاب، والحمد لله أن
أرشدني الله تعالى للإسلام، وقد كانت أُمي تعتني بأطفالي حين كنت
أذهب للقراءة، وأسلم أولادي أيضاً، والآن تزوجت مسلماً ولله الحمد
وأنجبت طفلين، أنا أحب حريتي كوني أمريكية، ولكن الحرية في أمريكا
بلا إسلام ليست حرية على الإطلاق. قالت لي مسلمة أمريكية: أخي
كان مدمناً على المخدرات يضرب زوجته؛ بل ويعطيها من المخدرات

وهي حامل!! حتى مات الجنين في بطنها؛ بل ويضرب صديقاته!! وقد
تأثر جسمه ومات تقريباً قبل موته!!

قالت أخرى: أنا أعيش وحدي مطلقة من رجل سكير يضربني
دوماً ولي ولدين كل منهم في ولاية، وأشعر بالراحة كوني وحدي (هي
جدة لعدة أحفاد).

ومن اللافت أنه حتى الشرطيات لم يسلمن من الاغتصاب وهن على
رأس العمل وكذلك المجندات!! الممرضات يعانين كثيراً من التحرشات
الجنسية، وخصوصاً حين يمرضن الرجال.

ومن أخطر الجرائم جرائم الاعتداء على الأطفال سواء الخطف أو
الاغتصاب أو القتل، وسجلت حالات كثيرة في هذا الجانب الخطر، أو
حتى الاعتداء عليهم من والديهم الأمر الذي يصل حد القتل أحياناً..
لقد صحت المدينة الصغيرة التي نساكنها على فاجعة هزت أركان
المدرسة الابتدائية والمجتمع، وغطتها وسائل الإعلام، فقد أفاقت أم في
الخامسة والعشرين من عمرها (من أصول إسبانية) صباح يوم إثنين
لتعد ابنتها (ذات الست سنوات للمدرسة، كانت طفلة رائعة الجمال)،
لكنها أحضرت سكيناً وطعننها عدة طعنات بدعوى أنها تريد لها حياة
أفضل!! هذه الأم كانت وحيدة بلا زوج ولا صديق ولا عائلة وهي من
ترعى ابنتها، كانت تعمل ثلاثة أعمال! فانهارت وقتلت ابنتها!

ومن أقبح ما تعاني منه المرأة في سن الطفولة التحرش الجنسي
من قبل أقربائها وأحياناً يكون والدها!! أو أحد أقربائها لا سيما أمام

إدمان الكحول، وقد اعترفت بعض الجريئات بجريمة آبائهن ومنهن على الملأ!

حكّت لي طالبة مسلمة عن قصة زميلتها في المدرسة تبدو موجهة ومقززة، فمنذ بلغت (إليشا) الرابعة من عمرها وهي تعاني تحرشات والدها مدمن المخدرات والكحول، وحين بلغت الثامنة أصبح يعتدي عليها بقسوة؛ بل يعزم أصدقاء السوء على صغيرته!! كل هذا أمام غياب الأم في عملها طيلة الوقت، ولم تكن (إليشا) وحدها الضحية فأخواتها مثلها تماماً، حين بلغت العاشرة ذهبت باكية لمنزل صديقتها، فسمعت والددة الصديقة ذلك وتحققت منها، ثم أبلغت الشرطة وسجن الأب! (إليشا) الآن في المرحلة الثانوية، لكنها تعاني تشوهاً في كتفها جراء تلك الجريمة!

تقول (شينون): أعمل في مكتب الشرطة في كولومبس بولاية أوهايو، وأشهد كثيراً من الجرائم ضد المرأة، وهي دوماً ما تتصاعد للأسوأ يوماً بعد يوم. أطفال يضربون أمهاتهم ولا يحترمونهن ويفعلون ذلك مع آبائهم أيضاً!! وخصوصاً الآباء الذين ليس لديهم خبرة في تربية الأطفال!

15- انتشار وسائل اللهو والمحرمات

من إفرازات الحرية الفردية وغياب الوعي والهم الجماعي في كل بلاد تنتهج الحرية أسلوباً لتقدمها وتطورها، فتنتشر الملاحية والنوادي الليلية في كل مكان، ففي أمريكية مثلاً توجد بكثرة الملاحية

والبارات والمطاعم التي تفتح أبوابها ليلاً وإلى ساعات متأخرة لممارسة حرياتهم في الشرب والرقص الجماعي وغيرها من أنواع الحرية، التي يكفلها لهم القانون ويتقبلها المجتمع حتى وإن كانت رذيلة! والخمور في متناولهم في المنازل والأسواق والفنادق والنوادي والمحطات، وكذلك المخدرات بأنواعها، وكل ما من شأنه تحطيم الفرد جسدياً وروحياً ونفسياً، وفي كل هذا القاسم المشترك دوماً وهي امرأة تروج وتغري وتمتع الرجال وتعمل وترتب كل ذلك اللهو والفجور. ولك أن تتخيلي حال الفتيات يخرجن أواخر الليل من الملاهي الليلية يتمايلن يمناً ويسرة بفعل الخمر، وقد كانت لا تدري هي في حضن من؟ ومع من؟ بالتأكيد لسن يمتهن الدعارة، لكن هذه حياتهن يرونها طبيعية جداً! تقول الأخت (أم أسامة): كنت أراهن صغيرات يخرجن من النوادي وقد مالت أفواههن بتأثر الخمر، فيعتصرني قلبي، فهن صغيرات على كل هذا؟! لذلك تقول (ريتا): الناس بحاجة ليتعلموا كيف يعيشون حياتهم بلا كحول ولا مخدرات ولا استغلال للآخرين، ويتعلموا كيف يفعلون الأفضل للآخرين ولأنفسهم.

(إمبر) (21) عاماً: كثير من الأمهات والجدات يتعاطين المخدرات ويؤثرن في أطفالهن الذين لن يكونوا منتجين في المجتمع.

حتى الأطفال والشباب الصغار تجد السجائر ولفائف المخدرات بين أصابعهم فتيات وفتيان على حد سواء، وحتى وإن منع القانون بيع الخمر لهم، فهناك كثير من التجاوزات والالتفاف على قوانينهم الوضعية، فمن أين ستأتي الاستقامة بعد كل هذا؟ وإني لأعجب

لهم كيف يحاولون إصلاحهم وتخصيص حصص دراسية عن تلك المخاطر والأمراض وكل هذا اللهو يحيط بهم وبهن؟ ولا تسلم المدارس، وخصوصاً الثانوية من الفساد بالرغم من محاولات الإصلاح المستميتة، بل إن بعض الأسر الأمريكية التي تخشى على أولادها وبناتها من تأثير الأصحاب السيئين يعمدون إلى الدراسة المنزلية..

وخصوصاً تعاطي المخدرات لدرجة أن ضُبط حارس إحدى الثانويات يبيعها للطلبة والطالبات.

ولعل أقسى ما يحدث في المدرسة ما تحدثت عنه الأخت (رنيم) من كندا عن التثقيف الجنسي الذي تعتمد له المدرسة عن طريق حصة تسمى (بالهيلث كلاس)!! للصف التاسع، يعني في الرابعة عشر من عمر التلاميذ والتلميذات، لقد كانت أحاديث التلاميذ مخجلة ومزعجة وجعلتها تهرب من الدرس، فكل يتحدث عن علاقاته وتجاربه باعتيادية وبلا خجل، كانت هي فقط وثلاث معها ممن لم يجربن!! في حين أن الفصل كاملاً جرب في هذا العمر الصغير وربما قبله بكثير!! والمعلمة تشجعهن وتساعدن على ممارسة الجنس بأريحية ومتعة! والحديث عن الشذوذ على أنه أمر عادي غير شاذ!! وغيره من وسائل المتعة الحرام خارج العلاقة بين الجنسين!! وتضيف (رنيم) التي تدرس في الجامعة الآن أن الحديث عن الجنس في المرحلة الثانوية يدخل في معظم المواد، في حصص الأحياء والعلوم مثلاً هناك جزء ضخم من الكتاب يتحدث عن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ويشرحها!! وفي

حصص الكيمياء شرح وافٍ للتفاعلات الكيميائية أثناء تلك العلاقة!!
وفي حصص الرياضة (كورس) كامل للحديث عنها أيضاً، بل وحتى
في الجغرافية حين يتطرق الحديث عن التعداد السكاني يتفرع قسرياً
ليتناول الحديث عنها أيضاً!!

أما الإعلام ووسائله المتنوعة فالحديث عن مغرباته ذو شجون!! سواء
القنوات التلفازية التي تغص بكل ما يدعو للفجور واللهو والانحراف، أو
السينما ودورها المنتشرة والمجلات الخليعة.

وأكثر خطورة تأتي من برامج التلفاز، فالفجور وكل وما يدعو للردية
والفساد متاح فيها، بل متاح لها ولا يناقضها إلا الموضوعات السياسية،
فلا تخلو بعض برامجهم وقنواتهم المخصصة لهم من دعوة للردية أو
لفت الانتباه لأشياء فاسدة.

تقول شينون (أمريكية اعتنقت الإسلام): لدينا حرية زائدة جداً،
لست مضطرة لأنظر إليها على أنها حرية!! نحن نعيش في مجتمع كل
شيء فيه يعني الجنس!! لذلك أرى أن تلك الحرية سلبية جداً وضد
مصلحة الرجال والنساء. لسنوات مضت عندما كان الإعلام لا يعتمد
في الدعاية على الجنس، وكانت النساء يحتشمن في لباسهن، كان يُنظر
للجنس بنظرة دونية، والناس ينظرون باستحقار للمرأة التي تنجب
دون زواج! وتقارير الاغتصاب والتحرش بالأطفال قليلة، أما الآن فقد
أصبحنا مخدرين وغير مباليين بالأخلاقيات!! والمرأة أصبحت تعامل
مثل النفايات؛ ترمى بعد أن تستخدم فلا احترام للمرأة مطلقاً.

تقول أمريكية: منذ كان عمر ابنتي خمس سنوات منعت عنها التلفاز واستعصت عنه بأشرطة تناسب عمرها وهي الآن في الثامنة عشر وهي محافظة (بمقياسها طبعاً) وحين أقارنها بمثيلاتها في العمر أشعر بالفرق الهائل بينها وبينهم، حتى والدها الذي تولى عنها وهي صغيرة يستغرب وزوجته من محافظتها!

تقول (بارب): بعض السيدات تسعى لإشباع الشعور بالفقد والاهتمام الحقيقي والشعور بالأمان عن طريق المخدرات. كما أن للتلفاز والأفلام تأثير بالغ في وجود أشخاص شديدي الحساسية؛ لتركيزه على المادية والعلاقات الجنسية غير الشرعية.

16- الضياع والتشرد

في بلاد تفتخر بتحرير المرأة، وترى أنها قدمت لها كامل حقوقها التي سلبت منها، يمكن أن ترى هذه الحقوق المزعومة مقدمة لامرأة تحمل لافتة كتبت فيها أنها بلا مأوى ولا بيت (هوملس) وتتسول من المارة. ومن تبعات تلك الحرية أن ترى فتيات ونساء يجبن شوارع معروفة تمتهن الدعارة، وتعرض نفسها لكل من يدفع، ويمكن أن ترى نساء جالسات في الشارع ورؤوسهن بين أرجلهن في وضع مؤلم بسبب المخدرات.

تقول (أم حمد): في أحد شوارع أوروبة رأيتها تقف في الساحة قرب إحدى المحطات وتحت خشبة الجسر الكبير، وفات الثلج يتساقط عليها.. تقلب النفايات تبحث عن بقايا طعام يسد رمقها أو أعقاب للسجائر تطفئ نهمها! في المساء مررت بذات الطريق حين عودتي

لمنزلي، كانت نائمة على قطعة من الورق المقوى (الكارتون) وجسدها متسخ من الأحوال.. وتبدو في الأربعين أو ربما أصغر، قد تورمت أصابعها وازرقت من أعقاب السجائر!! كنت حال مروري منها أسرع الخطى؛ لأعود لمنزلي الدافئ وأحمد ربي كثيراً أن جعلني مسلمة.!!، وحدثتني أخت مسلمة عن أخت من نيوزلندة أسلمت ولله الحمد تقول: خرجت من بيت أهلي مطرودة وعمري لم يتجاوز الستة عشر عاماً فقط!! طفلة تائهة في الشوارع أبحث عن عمل لأتمكن من العيش، كنت ضالة، فلبست الملابس المغرية الفاتنة، وأدمنت المخدرات والضياع، ولم أكن أشعر بالارتياح شيء ما داخلي لم أعلم ما هو يقلقني! حتى هداني ربي تبارك وتعالى للإسلام.

(إمبر) فتاة صغيرة عمرها عشرون عاماً فقط، لكنها تبدو أكبر من ذلك بكثير، فحياتها الصعبة أضافت لقسماتها سنوات كثيرة تقول: عشت حياة صعبة جداً لا أعتقد أن امرأة عاشت ما عشته، كنت مشردة بلا مأوى (هوملس) ضربت كثيراً، وأنجبت طفلاً في عمر الثامنة عشر، لكنني أعطيته لأمي لترعاه، لم أشعر يوماً أنني أمتلك عائلة، فوالدي كثير السفر بحكم عمله، وأمي ربتني وشقيقتي كما أنني أسافر كثيراً، فقد قدمت من سياتل إلى إلينوي، وأنا أصلاً من تكساس وعشت ست سنوات في أوروبا! أحياناً أتمنى العودة لها الآن أحاول الوقوف على قدمي لأكون جيدة، يبقى لي الكثير لأنهي الكلية ولا أعرف ماذا سأخصص! ما يشغلني الآن هو ماذا علي أن أفعل؟ وإلى أين أذهب في حياتي؟ وما هي الوظيفة التي سأشغلها؟ وهل سأنجب

أطفالاً أولاً أريد أن أنجب؟ وهل سأتزوج أم لا؟ هذه أصعب القرارات في حياتي.

تقول إحدى الأخوات المسلمات: بدأت شقيقتي تتعاطى المخدرات منذ كانت في العشرين من عمرها، وحين تزوجت كان زوجها متورطاً في التعاطي أيضاً، هي الآن في الخمسين من عمرها وتعاني من آثار المخدرات كل هذه السنوات، فهي تشعر بالخمول والكسل وكثير من الأعراض المرضية، وحين توفي زوجها ظننتها ستكون أفضل، لكنها أصبحت أسوأ، تقول إنها توقفت عن المخدرات، لكنني لا أصدقها، وهي أم لاثنتين من الأبناء ولعل المريح في الأمر أنها أحبت القرآن الكريم حين قرأت معانيه في كتاب أهديته لها..

تحكي (ندى) قصة امرأة عاشت ضياعاً مريعاً تعاني منه حتى الآن بالرغم من زواجها وبقائها مع زوجها، هي من أصل روسي تعيش في أمريكا منذ خمسة عشر عاماً تقول: (عشت حياة ضائعة في روسية مارست كل أنواع اللهو والضياع والحرية من شرب الخمر وتعاطي المخدرات والعلاقات الجنسية الجماعية وسهر الليالي بعيداً عن المنزل، حتى تعرفت على رجل أمريكي رأيته في إحدى الحانات، كنت ما أزال صغيرة في السادسة عشر فقط! جئت معه إلى أمريكا وتزوجني وأنجبت منه طفلتين) تتابع (ندى) وهي تعيش في منزل كبير جدرانها كلها ملأى بصور يظنونها للمسيح ولريم العذراء عليهما السلام هي تعرف أنها مسيحية وتعتقد بالمسيح، وكل ما تعرفه أنه صلب فقط، ولا شيء غير ذلك!! زوجها يعاملها على أنه صاحب فضل عليها؛ بل كأنها

جاريته يعبرها بأهلها وماضيها وبلدها!! بالمقابل يفتخر بجمالها عند أصدقائه ويريدها أن تكون فاتنة ومغرية أمامهم لذلك ترتدي دوماً أكثر الملابس فتنة ومشيتها تميل للإغراء، ويظن من يراها أنها سعيدة، لكنها محطمة متشتتة منكسرة وأمام زوجها تحاول أن تتحدث عن الدين وتصرفاتها تقول شيئاً آخر!! لا يوجد حولها أسرة وعائلة تعود إليها وتستقر نفسها بقربها، أو مجتمع تنتمي إليه ويشعرها بالحماية، فهي تتخبط فقط بصور المسيح، وكل أملها في الحياة أن تكون سعيدة ومستقرة تتابع (ندى): تحدثني كل ليلة عن كوايسها الليلة التي لا تعرف سببها!! زوجها متسلط وهي تشعر بالضعف والمهانة أمام نفسها وأمام الجميع، لكنها تخبئ ذلك خلف نظارة (كريستيان ديور) كبيرة أو بملابس مغرية فاتنة تنظر إلي فتقول: أنت جميلة فعلاً!! بالرغم من أنني أقل منها جاذبية وجمالاً، لكنها تقيس الجمال بمدى الاستقرار والشعور بالرضا فأنا أستمد قوتي من إسلامي ولله الحمد.

17- المرأة في الكبر وعقوق الأبناء

حين تصبح المرأة كبيرة يقل دورها كثيراً في المجتمع وتصبح مهمشة تكاد لا تصلح لشيء بنظرهم، لذلك أشعر أن هؤلاء الكبيرات يعشن على هامش الحياة ينتظرن يومهن الأخير ويجهزن لجنازة تليق بهن، وربما ماتت الواحدة منهن في بيتها أياماً دون أن يدري بها أحد، وربما اتخذوا الحيوانات مؤنسين لهم، وخصوصاً الكلاب (أعزكم الله تعالى) .. كم أشعر بالشفقة عليهن لهذه الوحدة المؤلمة وأنا أراهن

بالكاد يستطعن المشي وقد انحنت ظهورهن، ومع هذا يخدمن أنفسهن ويقدن سياراتهن ويحملن أغراضهن ويمشين وأجهزة الأكسجين ملتصقة بأنوفهن أو يدرن عجلات الكرسي المتحرك بأياديهن الواهنة، وكم أرى عجائز يعشن لوحدهن في بيوت كبيرة، ويقمن بشؤون أنفسهن ويتمنين إطلالة من أبنائهن فلا يحصلن عليها، أو تكون قصيرة كضيف يزور ويرحل، أو يجتمعون معهم في أعيادهم أو حتى يرسلون هداياهم عبر البريد.

دور العجزة ملأى بالمسنين والمسنات، بعضهم يذهب لها بنفسه خوفاً من الوحدة وبحثاً عن أمثاله.

أما أولادهن، فبعد أن يبلغوا الثامنة عشر من العمر، كثيراً ما تنقطع صلتهم بأبائهم حيث يستقلون بحياتهم الخاصة

وبعد كل هذا اللهاث لأجل الإنفاق عليهم وتعليمهم يتلاشى ذلك كله فور استطاعتهم الاعتماد على أنفسهم

اشتكت إحداهن قائلة: هرب زوجي بعد إنجاب الأطفال فتحملت تربيتهم والإنفاق عليهم، لكنهم هربوا أيضاً حين أمكنهم الاستغناء عني.. وأشعر أن حياتي ضاعت ولم يعد لها معنى ولا نتيجة؟

فهؤلاء الأولاد لا شيء يدفعهم للاعتناء بأبائهم وأمهاتهم. بالرغم أن بعض الكبريات يرفضن العيش مع الأبناء ويفضلن العيش في بيوتهن وحدهن، ولكن هل يجد هؤلاء الكبار -وخصوصاً المتقاعدين- اهتماماً؟

تقول أخت مسلمة: من مشاهداتي في المجتمع الغربي عدم الاهتمام بكبار السن وتهميشهم، ففي السكن الذي أقطنه يوجد عشرات المسنين فلا تجد منظمة أو جهة لمساعدتهم، وكثيراً ما كانوا يستغربون عندما يقوم بمساعدتهم أحد المسلمين.. وكأنهم اعتادوا على النبذ، لذا فتجد رقم الطوارئ (911) يضج بمكالماتهم ومعاناتهم.. في ظل الخوف والرغبة من أن يغادروا هذه الدنيا دون أن يشعر أحد بهم.

تقول مسلمة عربية: لدي جارة أمريكية كبيرة في السن تعيش لوحدها وقد تركها ابنها الوحيد الذي ربته وكتبت له كل مالها، فهي تأتي إليهم شاكية باكية من ابنها وتتساءل هل تحترقون من الداخل لوفعل أبناؤكم بكم كما يفعل ابني بي؟ لا يتصل بي ولا يهتم بي حتى وإن رأيته في مطعم لا يكلف نفسه أن يشرب معي فنجان قهوة؛ بل يعتمد الصدود عني وكأنه لا يراني!!! ولم ينته بها المطاف إلى هنا؛ بل واصلت مساعدته؛ فقد ربت ابنته مذ كانت صغيرة وتكفلت بشؤونها جميعها، وحين كبرت تركتها هي الأخرى وانقطع اتصالها بها! وكم يكون بكاؤها شديداً حين ترحب بها جارتها المسلمة، وتقول لها: إننا لك أهل وعائلة بدل الذين تخلوا عنك من عائلتك.. وكثيراً ما تعلن إعجابها بتلاحم العرب والمسلمين وترابطهم الأسري.

وتحدثت أخوات عربيات عن كثير من المشاهد المحزنة في حياة العجائز، ووصفن حاجتهن ووحدتهن في هذا العمر بتلك التي تبكي وتصرخ ليلاً محمولة في سيارة الإسعاف وحيدة! ومن الجيد أن استطاعت مهاتفة الإسعاف!

تقول (رنا): جاءت مريضة بصحبة ابنتها للكشف عند زوجي الطبيب، وقطعت الأم مسافة سبع ساعات لتصل للمدينة التي تسكن فيها ابنتها، فقد كانت وقت أعياد لديهم، وأخبرها زوجي بضرورة إجراء تحاليل معينة والانتظار للغد لمعرفة النتائج، لكنها عبرت عن عدم استطاعتها المكوث للغد فلا بد لها أن تعود لمدينتها حيث تسكن!! فتساءل الطبيب إن كانت هذه ابنتها فيمكنها المبيت عندها لليلة واحدة! فأجابت بأنها ابنتها! لكن الابنة ترددت في امتعاض وقالت: لا بأس يمكنك الإقامة في هذه الليلة في بيتي، فلدي فندق مجاني! فواعجبي لهذه الابنة التي يقلقها أن تبني والدتها ليلة واحدة في بيتها، وقد باتت في بطنها تسعة أشهر!!

وما أكثر ما يستكثرون أي بادرة طيبة للبر بالأم. خرج أحد المشاهير في التلفاز في يوم عيد الأم وهو يوزع الورود على الأمهات الحاضرات، وحين سُئل عما إذا كان أهدى لأمه هدية في هذه المناسبة قال: قبل عدة سنوات أهديتها خاتم من ذهب، فضجت الحاضرات بالتصفيق إعجاباً بهذا الابن البار!! كانت أمه وقتها في السبعين من عمرها، وحين سُئل عما إذا أهداها هذا العام شيئاً، فأجاب: إنه أهداها دراجة وخوذة رأس!!



ثم ماذا؟

هل بقي شيء بعد كل ذلك يطالبن به؟ هل ما زلن يردن المزيد من الحقوق المسلوبة أو يعانين هاجس المساواة مع الرجل؟ هل ما زالت بعض الواهومات يبحثن عن المزيد كلما وصلن لهدف وبغية ما، واللاتي لم يعد يشبعهن كل الذي حصلن عليه، بالرغم من أنهن حصلن على الكثير مما كن يطمحن له من ملذات ومغريات وحرية مما كان يصعب عليهن سابقاً.

نعم هناك الكثير، وخصوصاً حين تجرب الواحدة منهن كل شيء، ثم لا تعد تشعر بالسعادة، ثم تتلفت في البحث عما قد تكون حرمت منه لتنفق جهدها وتفكيرها للحصول عليه! ولا أدري إلى ماذا سيصل بهن الحال في قادم الأيام؟ فماذا بعد نوادي ومراكز التعري وإباحة زواج المثليين وتشجيع الشذوذ والاعتراف بوظيفة الزانية؟ بل الاعتراف بالرديلة خارج رباط الزواج لكل امرأة ولكل فتاة، وعدّها حرية جنسية ككل الحريات؟

ومع كل ذلك

* منهن من يطالبن بكشف صدورهن كالرجال؟؟ لماذا الرجل يمكنه أن يكشف صدره والمرأة لا بد أن تغطيه بقطعه صغيرة؟ حيث يمنع في أمريكا وبعض الدول، لكنه مسموح في بعضها على الشواطئ!

* لماذا العاهرة لا تجاهر بوظيفتها وتعد وظيفة شريفة؟! الذي تُحرمه بعض الدول (وتجيزه أخرى)، فما دام أن المرأة تستطيع ممارسة الجنس خارج نطاق الزواج فلم لا تتكسب منه؟! والقانون ذاته لا يجرم المرأة التي تعاشر رجالاً عدة! مما يعني أن البغاء حاصل على أي حال، فلم يمنع التكسب منه؟

وقد أصبح البغاء الآن علماً يدرس (نسأل الله العافية) ففي أمريكا (توجهت 25 بائعة هوى إلى كلية متخصصة في تعليم البغاء، بغية إلقاء محاضرات عن طرق التسويق الفعال... وتحصل المشاركات في نهاية الدورة على شهادة دبلوم GSW مصدقة بوصفهن من «الخريجات في مهنة البغاء»¹).

تقول (راب): لو اغتصبت المرأة تلام على ذلك!! وتعد المتسببة في ذلك، لماذا يلومون المرأة إذا مشت عارية، من حقها أن تفعل!! لا أحد يريد الاغتصاب، ولا يعطي ذلك للرجل الحق في اغتصابها، لكن الرجال ليس لديهم قوانين، كما أن النساء يحق لهن أو لا يحق لهن، فلو قبض على الرجل مثلاً وهو ثمل، فهو مسكين، لكن المرأة تلام على ذلك! وإذا سكرت واغتصبت تلام على ذلك ويقال: ماذا كانت تعتقد أنه سيحدث؟! إننا النساء نشغل أنفسنا دوماً، ونقلق من أشياء كثيرة، فإذا سهرت أتساءل هل سأعود متأخرة؟ هل ثوبي قصير وسيغري الناس، وحين أضع المكياج أو ألبس ثوباً قصيراً أتساءل: هل سيظن بي

1-rabic.cnn.com/2005/entertainment/57//whore.college/index.html

الناس سوءاً؟ وعندما أطلب المزيد من الكحول أتساءل: ماذا سيقولون عني؟ تقول (وتتي): أغلب النساء الأمريكيات منشغلات كثيراً فما زلن يفتقدن لمساعدة الرجال في الأعمال المنزلية، فلا بد من تغيير ذلك، لا بد أن يؤدي الزوج حصته من العمل في المنزل، فالمرأة تعمل خارج المنزل وكذا داخله؟!

وما أكثر المتأثرات بالفكر الغربي والرافضات لدور الزوجة التقليدي، (فيلا) فلبينية تعيش في أمريكا تقول: في الفلبين عندما تتزوجين تنتهي حياتك (كانت متزوجة من الفلبين)!! لأنك تكونين تابعة للزوج واهتمامك يكون له ولأطفاله. ولا تستطيعين الذهاب لأي مكان، ويجب أن تسأليه عن أصغر الأمور، الحياة هناك مملة وطوال اليوم تقومين بالأعمال نفسها!! ويجب عليك خدمته والعناية بكل أموره حين يكون في العمل وعليك أن تعلمي كل أعمال المنزل وانتظاره حتى يعود للمنزل وخدمته، أما هنا في أمريكا (تزوجت من أمريكي) التي أحببت الحياة فيها، فأنا وزوجي نعمل كل شيء مع بعضنا، كما أنني أفعل ما أريده بكل حرية، أستطيع أن أذهب إلى أي مكان أريده وأفعل ما أحب أن أفعله (هي جده الآن لعدة أحفاد).



المسلمات الغربيات

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُغْلِقْ صَدْرَهُ، ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٥) وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ هُمْ دَارُ السَّكَنِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ [الأنعام: 125 - 127].

ما أكثر سعادة المسلمات بإسلامهن وما أشد اختلاف حياتهن كلية من نواحيها جميعاً، كلهن يكرهن حياتهن السابقة، ولا يتمنين العودة لها حين عرفن حقيقة الإسلام؛ بل الكثيرات يلتزمن بالحجاب، وينتهجن الستر والحشمة؛ فسبحان الهادي كيف استبدلن التعري بالحشمة والوقار والشعور بالقلق وعبادة الشهوات إلى الشعور بالراحة والأمان، حين دخل الإيمان قلوبهن وذقن حلاوته، وقد رضين بتعاليم الإسلام، ولم يشعرن بقيود تزعمها بعض المسلمات، على الرغم من أنهن في بؤرة الحرية والتحرر وهن قريبات عهد بها!

وقد تبدلت مفاهيمهن إلى النقيض تماماً (لم أعد أجد حريتي في البنطال الضيق والتنورة القصيرة، لكنني وجدت حريتي في الحجاب والاحتشام. لم أعد أعتقد بالمساواة بين المرأة والرجل فكل شخص أنظمتها الملائمة لجنسه)¹.

1 - Yawana Publications MO, USA، بنات الطريق المخالف carol l. anway ص 78، 2002،

(ميشيل) أمريكية أسلمت من ربع قرن! (شفاها الله تعالى).

حين رأيته تملكني فرح بالغ كان الوقت عيداً، فابتهج العيد أكثر! بدت لي لأول مرة ثمينة في جلبابها وخمارها الساترين، حدثتني فتتابعت كلماتها كأروع ما يكون، شعرت للوهلة الأولى أنها متميزة ولديها الكثير لتقولته تلك هي (عائشة) أمريكية مسلمة شقراء، ودهشت حين علمت أنها أسلمت من ربع قرن! في وقت لم تكن تسمع عن الإسلام فضلاً عن الدخول فيه! بل لم يمض وقت على مجرد السماع وإعلان الشهادتين فسبحان الله تعالى! بالرغم من معارضة أهلها إلى الآن، تقول بثبات ويقين: لا تعجبي من قدرة الله تعالى كنت كإبرة في كومة قش فاستلني ربي تبارك وتعالى من بين كل أولئك الخلق لأكون مسلمة! وأخذت ترسم بالقلم كيف كانت تعيش في بيتها مع أسرتها محاطة بالأشجار من كل جانب، وبعيدة عن الجيران وتعيش في استقرار مع أسرتها الحريصة عليها وعلى إخوتها، وتتابع: كنت كذلك ولم أكن أدري عن الإسلام ولم أسمع عنه مطلقاً، والحمد لله شاء ربي تبارك وتعالى أن أكون مسلمة..

وقتها كانت طالبة في الجامعة ولديها درس عن الأديان في آسية، اختارت (ميشيل) الإسلام من بين الأديان التي عرضها عليها الأستاذ تقول: دونت مجموعة من الأسئلة وبحثت عمن يجيبني عنها لقد كانت عن الحياة والموت والبعث وأشياء كثيرة تمس العقيدة ذاتها! عرضتها على القس فأجاب عنها! وعلى إمام المسجد، فجاءت إجابته مبهرة لي قارنتها مع إجابة القس فبدى لي الفرق شاسعاً، قالتها وهي ترفع يدها عالياً حيث إجابة الإمام وتنزلها للأسفل حيث إجابة القس! وهنا بدأ

التفكير في دينها يقلقها، حتى رأت زميلتها في غرفة السكن الجامعي تقرأ في كتاب قالت: إنه القرآن الكريم، فطلبت منها ترجمة لمعاني القرآن الكريم وبدأت تقرأ بدهشة وتتعلق بالإسلام وتقارن بشدة بينه وبين المسيحية، ربما خمسة أشهر فقط تملكها حيرة شديدة بين ما نشأت عليه وتلقته من والديها، وبين ما تفاجأت به من حقيقة غائبة عنها تماماً! تقول: وجدتني أردد هذا هو الدين فعلاً!! هذا هو الصح!! وأعلنت إسلامها ودخلت في الدين الحق، ولم تكثر أوتراجع بسبب معارضة أهلها بالرغم من صغر سنها!.

(هيلينا): أوروبية تعيش في أمريكا سعيدة بالطبع بإسلامها ومتحبة ولله الحمد، تقول: إنها عملت مع مسلمين ومسلمات ورأت منهم التقدير وحسن المعاملة، ودعوها للإفطار في رمضان ورأت كرمهم وكانوا أحن عليها من أهلها، فقرأت عن الإسلام، وتزوجت فيما بعد من عربي مسلم.

(كاثرين): الفرنسية التي أصبحت أمينة بعد إسلامها، أشرق قلبها بنور الايمان وهي روائية فرنسية تعرفت على محدثي الرواية العربية أيضاً، فأعجبت بسلوكها وامتناعها عن الخمر والسهرات في النوادي كلما دعيتها إليها! قرأت وبحثت عن هذا الدين المميز الذي يحافظ على صحة أتباعه، وقررت الدخول في الإسلام باقتناع وفرح شديدين.

(نامي): مسلمة يابانية (محجبة) قابلتها في أمريكا، تقول: إنها قابلت زوجها الأمريكي المسلم في اليابان، وعرض عليها الزواج الذي لم

يخضع لمقاييس المجتمع الذي يدفع المرأة للتعري لتحظى بمشروع زواج! وهم بدورهم - أي الرجال - يتقربون لمن تتعري أكثر وتتجمل أكثر!!... أهداها بالطبع كتباً إسلامية عن الإسلام، وهي التي لم تسمع عن هذا الدين إلا القليل، ثم أعلنت إسلامها وكانت متخوفة من رفض أهلها، لكنهم لم يمانعوا وتضيف لم تسلم لأجله؛ بل عن قناعة.

(ميري): مسلمة أمريكية سعيدة بإسلامها جداً وتشعر بالاشمئزاز من حياتها السابقة، بالرغم أنها من عائلة محافظة تقول: كنت حين أردد بعض الأغاني في الكنيسة التي يطلبون منا ترديدها أشعر بالغصة ولا أستطيع أن أنطق جملة فيها تقول ساعدوا الله!! كنت أتساءل كيف تساعد الله ونحن الذين نطلب مساعدته؟ وهل يحتاج الله (تعالى وتقدس) إلى مساعدتنا؟ ومن ثم قرأت ودرست الإسلام جيداً فأسلمت عن قناعة.

(شينون): قبل إسلامي كنت أشعر بالضيق والفرق والوحدة، كنت ألبس ملابس مثيرة وأشعر بالاستقلالية في كل شيء. بعد إسلامي أصبحت أرى الأشياء باختلاف كبير عما مضى وأشعر، أنني كنت مخدوعة بتربيتي في مجتمع غير أخلاقي، الآن ألبس ملابس محتشمة وأشعر أنني مختلفة إيجابياً والرجال يحترمونني! فلا تحديق في من قبلهم، ولا تعليقات فظة، أو أحاديث فقط لاستمالي والنيل مني. أشعر أن حياتي لها معنى واتجاه، ولا أشعر بالضيق أو الوحدة والمجتمع المسلم كان مرحباً وداقئاً ومحباً ومساعداً، بعد تحولي للإسلام بدأت أشعر بالازدراء تجاه ما يدعونه حرية!! أنا أغبط الناس الذين ولدوا

في مجتمع يتبع طريق الله تعالى فطريق الحرية المفرطة يجعل الحياة شاقة للناس الأخلاقيين: لأنهم هم الأقلية! وأشكر الله تعالى فقد أرشدني لطريق الصواب.

(إيزا) شابة من كندا

تحدثت عنها صديقتها (رغد) وكيف كانت تستاء منها ومن مضايقاتها لها وتتميز من أسلوب حياتها المنحرف، الذي يماثله كثير من الغربيات اللاتي يتمتعن بالحرية المفرطة لكنها بعد إسلامها أصبحت صديقتها بالفعل، كما أن صديقاتها تخلصن عنها، لأنها لم تعد تذهب معهن للبارات والنوادي الليلية!! مرت بمراحل ومنعطفات في حياتها جعلتها تفاجئ (رغد) بإسلامها وتحجبها وأجابت عن تساؤلها عن السبب الحقيقي لإسلامها؟ فقالت: السؤال الذي تردد في عقلي دوماً لم المسلمون مختلفون تماماً حتى فيما بينهم؟ لم ترتدين أنت الحجاب وغيرك بالتنورة وثالثة البنطال وأخرى لا ترتدي الحجاب مطلقاً؟ لماذا لا تشربين الكحول وصديقي المسلم يشرب الكحول؟ كنت أشعر بالقهر لثقتك بنفسك وبسعادتك في حياتك ونظرتك لوالديك!! لم تسبي والديك يوماً ولم تتأفني من حجابك ولم يزعجك أن تؤدي الصلاة تحت أي ظرف، ولم تقابليني بالإساءة عندما كنت أسيء لك كثيراً.. سبحان الله لم كل هذا الاختلاف بين المسلمين؟ فقممت بشراء بعض الكتب عن الإسلام وقرأتها.. لكنها زادت الأمور تعقيداً لدي أكثر، فهناك رسل وملائكة وحياة أخرى وميزان وشيطان ولم أفهم تماماً!! فاشترت كتباً أخرى وظللت أقرأ وأقرأ حتى

وجدت أنه دين ممتع والغوص فيه لذيذ! أثناء هذه المدة كنت أمر بظروف مادية صعبة جداً، فكنت أدعو إن كان هذا الإله موجوداً فعلاً، فإني أسأله أن ينقذني وقد تيسرت أموري فعلاً!! أحببت هذا الدين وأصبحت أقرأ المزيد والمزيد حتى قررت أنه هو الدين الحق، وإلا لما شعرت بهذه السعادة التي افتقدتها كثيراً، ثم تركت عملي نادلةً في مطعم؛ لأن هذا العمل يتطلب المزيد من الإغراء لكسب الزبائن. المدهش أنها أثرت على صديقها المسلم فهداها الله تعالى!! وتزوجا وأنجبا طفلاً.

وتتحدث (سارة بوكر) (أمريكية مسلمة) بكثير اعتزاز عن حشمتها ووقارها ونقابها أيضاً فتقول: بالأمس كان البكيني رمز تحرري في حين أنه لم يحررني سوى من حيائي وعفتي، من روحانيتي وقيمتي كوني شخصاً جديراً بالاحترام، واليوم حجابي هو عنوان حرיתי لعلّي أصلح في هذا الكون بعض ما أفسدت بغير قصد مني. لم أفرح قط كفرحي بهجري للبكيني وبريق حياة التحرر في (ساوث بيتش) لأنعم بحياة ملؤها الأمن والوقار مع خالقي، ولأن أحظى بنعمة العبودية له كسائر خلقه. وللسبب نفسه أرتدي اليوم نقابي، وأعاهد خالقي أن لا أموت دون حقي في عبادته على الوجه الذي يرضيه عني. النقاب اليوم هو عين حرية المرأة لتعرف من هي؟ وما غايتها؟ ماهية العلاقة التي ترتضيها مع خالقها. لكل النساء اللاتي استسلمن لحملات التشهير بالحجاب والطعن بفضائله أقول: (ليس لديكن أدنى فكرة كم تفتقدن!)¹.

1 - جريدة الرياض: الخميس 22 ذي الحجة 1427هـ - 11 يناير 2007م - العدد 14080.

مسلمة من (نيوزلندة) عاشت حياة مريرة في حياتها، فقد طردت من بيت أهلها وهي في السادسة عشر من عمرها، وتقلت في أسفارها في رحلة ضياع مؤلمة حتى وصلت المغرب وتعرفت على أسرة لفت انتباهها صلاتهم، وسألتهم، فحدثتها ابنتهم عن الإسلام، وشعرت بأن هذا الذي تريده! فأسلمت ولله الحمد وأكثرت القراءة عن الإسلام وعلمت نفسها القرآن الكريم عن طريق التسجيلات والإنترنت، وعادت لبلدها وهي تتحجب الحجاب الكامل، بل تلتف في السواد على كامل جسمها مع القفازين والجوارب! وأصبحت تعلم ابنتها (عشر وسبع سنوات) القرآن الكريم حفظاً وتلاوة والتزمتا في هذه السن الصغيرة بلبس الحجاب!

(أم خديجة): وبالرجوع للعائلات المسلمة يلاحظ أن قوانين العائلة تشكل دوراً مهماً في حياة المرأة، فالعائلة توفر لها الأمان والحماية.

لقد استمتعت بحماية أفراد الأسرة المسلمة للمرأة من آباء وإخوان وأعمام وأخوال. وأنا سعيدة ويشرفني أن يوفر لي ديني مجتمعاً آمناً لك، المجتمع الذي لا يقدم المرأة كقطعة لحم أو يُهْتَم بها فقط لأجل جسدها وشكلها ولبسها للملابس الضيقة بهدف جذب الرجل. فالمرأة هي أهم شخص في المجتمع فإذا دمرت وحطمت وخدعت فستدمر الأجيال، وأنا في أمريكا أحترم المرأة التي لا تظهر جسدها، كما أنني أحب أن أكون محمية عند خروجي من منزلي، ألبس ملابس محتشمة لأغطي نفسي حتى وإن واجهتني أسئلة مثل: هل تشعرين بالحر؟ أو قالوا: هذه موضوعة قديمة!! لكنني أقول: أنا حرة فيما أريد أن ألبس.

أنا حرة في اختيار ديني وقد اخترت طريق الله تعالى وأمل أن تعرف المسلمة أن الإسلام أفضل دين وأنا أحب هذا الدين الذي أنقذ حياتي وأريد من العالم أن يحبوه.

تقول (جيسيكا): أنا الآن كوني مسلمة غريبة تذوقت طعم الإسلام وعرفت حقيقة حريتي لا أهتم بما يروجه الليبراليون في البحث عن حرية المرأة؛ لأنني وجدت حريتي في معرفتي لربي وديني، فعلي أن أتخلى عن كل الحريات وأحظى بأسرة تهتم بي وتشاركني في فرحي وحزني وتنصحنني وترشدني للطريق الصحيح، يكفيني أن أشعر أن هناك من يهتم بي كوني إنسانة ويعبني لذاتي لا لشكلي وجمالي، فلا أريد حرية تأسرني وتجعلني وحيدة في حياتي، نحن نعلم أن الإسلام أعطى للمرأة كل حقوقها بعدل وإنصاف، على عكس الطريقة الغربية التي سلبتها كل حقوقها. فالرجل في الإسلام حصن وحماية للمرأة، أما الثقافة الغربية تسهل الحياة على الرجل عبر إشباع غرائزه الجنسية، وأن ينظر للمرأة بنظرة جنسية! فهذه هي حرية المرأة بنظرهم! حريتها أن تكون تحت رغبات الرجل الجنسية فقط، وتلك هي الحقيقة التي لم تدركها الغربيات!

(هبة): أمريكية مسلمة تقول: بعد إسلامي تغيرت نظرتي للحرية لقد عدت لفطرتي التي خلقني الله تعالى عليها، لقد تربيت في مدينة صغيرة وكانت عائلتي محترمة وعشت في نيويورك، حيث النساء هناك واثقات جداً وكن يفعلن أي شيء!! ولأنني لم أترب على ذلك شعرت أنني غريبة الأطوار ومختلفة عنهن! كنت أظن أن ثمة خطأ فيني! لكن بعد تحولي للإسلام عرفت أن ذلك الاختلاف كان طبيعياً جداً، إن عبودية الله تعالى هي أكبر حرية للشخص في العالم، وحين عرفت تعاليم الإسلام بشأن المرأة شعرت بالقوة والثقة الكبيرة في نفسي، وقدرت الإسلام كثيراً.

(سكينة) تقول: كنت قبل الإسلام معتمدة على نفسي وكنت أفخر بذلك، في ذات الوقت كنت عنيدة ولست طيبة مع الآخرين، بعد إسلامي، أصبحت صبورة ومتواضعة ومنحت الفهم، فهذه الدنيا تساوي قطعة صغيرة مقارنة بما اختاره الله تعالى لنا في الآخرة، وكلها تحضير للآخرة. الآن أتفهم معنى الحرية جيداً، فهي تعني لي الحرية في ممارستي لديني في بلاد الغرب، فالحرية التي منحنا الله تعالى إياها تفوق كل قوانين الحرية التي وضعها الإنسان، فالله تعالى أعطانا حرية اختيار الطريق المستقيم أو لا! الناس المتحررون يأخذون الحرية بإفراط ويركزون على الحرية دون تلك القيود التي فرضها الخالق تبارك وتعالى علينا، فمن الشاق جداً ألا يكون هناك قيود في لباس النساء ولا التزام، فهن يلبسن كل ما يثير الانتباه ولا يفكرن في العواقب.

ومسلمة أخرى تقول: كنت أعمل عارضة أزياء وكان همي الكبير هو كيفية اجتذاب الرجال إلي، ولكن بعد إسلامي بدأت أشعر أن دخول الرجل لمجتمع نساء أنا فيه إهانة لي! وتحرص على اللباس الساتر لطفلتها ذات الخمس سنوات..

(أمينة): بعد إسلامي خسرت أعز صديقاتي فلقد تركت صحبتهن لأنني لا أريد أن أجاريهن، وأفعل مثلهن في سهراتهن واختلاطهن مع الرجال واجتماعهن على الخمر والرقص والمفاسد، بمعنى أن بيئتهن لم تعد تناسبني.

(أمينة) أقامت حفلة أعلنت فيها لضيوفها أنها بمناسبة ارتداء ابنتها ياسمين للحجاب، وهي التي تبلغ من العمر خمس سنوات، تقول: إنني أخشى على ابنتي، وخصوصاً حين لا أكون برفقتها!!

(سندس) أمريكية: أنا مسلمة منذ 16 عاماً ارتديت الحجاب منذ البداية وحين أردت تجديد رخصة القيادة طلبوا مني نزع حجابي لأجل الصورة ورفضت، وقلت لهم: هذا ديني وذكرت لهم حقوقي كأمركية مسلمة ولم يكن للمدير خيار سوى أن يسمح لي بارتدائه! وتقول: طُلِّقت منذ تسع سنوات وكذلك زوجي الحالي طلق زوجته غير المسلمة، وقد رأى القاضي أن الانضباط في الإسلام سمح لنا أن نكون آباء وأمهات يعتمد علينا أكثر من غيرنا.

(أميرة) أمريكية: الحرية بالنسبة لي كوني مسلمة أمريكية تكون بارتداء الحجاب الإسلامي، فالحجاب أمر أساسي لحريتي؛ لأنني يمكن أذهب إلى حيث أريد دون مضايقات من الرجال أو التعرض لفسادهم الجنسي. وقالت عن النساء اللاتي قاتلن في الماضي لأجل حرية المرأة الأمريكية: كن يردن الحرية الحقيقية للمرأة الأمريكية وهذا نوع من حرية المرأة في الإسلام!

(كوري) تقول: حياتي تحسنت للأفضل تحسناً كبيراً بعد إسلامي، لدي زوج رائع وثلاثة أبناء رائعين ما شاء الله، والحمد لله. زوجي يخاف الله وهو يهتم بالأسرة ويحب الجلوس في البيت. صدقيني لو لم أتزوج مسلماً لكنت طلقت مئة مرة!! الحمد لله أنا أعبد الله وسعيدة جداً بأن أسرتي تطبق الإسلام كل يوم. عندما كنت غير مسلمة كنت أرى الحرية على أنها فعل ما أريد مهما كان! كنت أنظر للحرية بنظرة أناانية. الآن كوني مسلمة أشعر أن تعريفي للحرية متوازن بالنظر

لنفسي وللآخرين أيضاً، هذه الحرية التي تعني الاحترام والكرامة للنفس وللآخرين، وأنه بالعيش بالطريقة الإسلامية أستطيع خلق جو من الحرية يجلب الاحترام لنفسي ولكل من حولي إن شاء الله تعالى. فأنا أعارض تماماً الحرية في تعاطي المخدرات أو الدعارة، وأعدّ الكحول مخدراً ويجب أن يمنع قانونياً؛ لأنه يسبب مشكلات لا حصر لها في المجتمع. وأعتقد أن الصور الخليعة يجب أن تمنع نهائياً، وكذلك التعري في الأفلام. بخلاف ذلك أعتقد أن الناس يجب أن يكونوا أحراراً في اتخاذ قراراتهم بأنفسهم. أعتقد أنه لو أصبحت الأمور مقيدة على نحو كبير فسيحصل اضطهاد. أؤمن بحرية الصحافة وحرية الحديث وحرية الفكر. أؤمن بحرية الآخرين في مخالفتي واختيارهم طريقاً آخر لأنفسهم إن أرادوا ذلك.

(أمينة السلمي)¹: أنا سعيدة جداً لأنني مسلمة، الإسلام حياتي وهو نبض قلبي وقوتي والدم الذي يجري في عروقي، الإسلام أجمل وأروع شيء في حياتي ودون الإسلام أنا لا شيء، ولو أشاح الله تعالى بوجهه الكريم عني لما استطعت النجاة.. (وتتحدث عن حجابها بكل فخر واعتزاز) إن هذا الحجاب الذي أرتديه يبين للجميع أنني امرأة لا يمكن المساس بها، هو مظهر خلفه حقيقة تعني أن المرأة إنسان له فكر وعقل، وهي ليست مجرد جسد فقط، وهو لا يعني أنها مضطهدة بفرضه عليها، ولسنا كوننا محجبات بحاجة لمن يتباكى علينا².

1- مديرة الاتحاد الدولي للنساء المسلمات.

2- www.welcome-back.org

* (الحجاب أفضل حق للمرأة في الإسلام، ينظر لي على أنني امرأة ذات أخلاق عالية، ولا يُصدق فيني أحد على أنني قطعة من اللحم)¹.

وهناك كثير من النماذج لإسلام الأخوات بعضها يعدّ بسيطاً، لكنها بالنسبة لهم مؤثرة وغيرت مجرى حياتهن، فتلك التي أثار انتباهها ذلك البناء الذي يتزاحم عليه الناس كل جمعة! قرأت ما عليه من ملصقات ثم سألت فأسلمت! بل إن إحداهن استوقفها صوت إمام المسجد وهو يتلو القرآن الكريم، وظلت أمام المسجد تستمع باندھاش وتشعر بتأثير ما تسمعه عليها دون أن تفهم معناه.. أخذت بيدها إحدى المسلمات وأدخلتها المسجد وأسلمت من فورها! وأخرى ظلت تستمع لحديث مزينة الشعر المسلمة التي كانت تتحدث عن حياتها بعد إسلامها، وكيف تغيرت حياتها وأصبحت سعيدة ومطمئنة، ثم أسلمت هي الأخرى!

وهذه كلمات مهمة لأخوات مسلمات عشن بين بلاد الإسلام وبلاد الحرية فتكشفت الحقيقة لهن بكل وضوح أيضاً:

* (أم أحمد): من أصول إفريقية عاشت سنوات عدة في السعودية قبل انتقالها لأمريكا تقول: لم أشعر بالراحة مطلقاً منذ انتقالي إلى هنا صدمت بكل هذه الحرية على الرغم من علمي السابق بها، وحقائبي بقيت أربع سنوات جاهزة للعودة للسعودية، ولست

1- Yawana Publications MO. بنات الطريق المخالف carol l. anway
ص 77 2002. USA

وحدي، فكل من قابلتهن يتمنين العودة بالرغم من كل التسهيلات هنا، لم أتأقلم مع هذا المجتمع الحر، وأشعر بكراهية ما يقترفونه من انحلال خلقي واضح وحركات بهيمية سيئة تحدث أمام أولادي، الذين أحرص كثيراً عليهم، وعلى تنشئتهم النشأة الإسلامية السليمة، أتفهم كثيراً كيف أن المرأة السعودية مدلة جداً؛ فهي تجد من يخدمها ويقوم بشؤونها أمماً وابنة وزوجة وأختاً أيضاً! فمثلاً حين ذهبت للعمرة ومكثت شهراً هناك ارتحت كثيراً من قيادة السيارة، ووجدت من يخدمني، فأنا هنا أقوم تقريباً بكل شيء من شراء كل متطلبات المنزل إلى توصيل الصغار للمدارس، وحتى سداد الفواتير وما إلى ذلك، حتى وإن لم أكن عاملة، فلدي كثير من المسؤوليات التي تختص بالأب عادة!!

* وتقول عنها أخت مسلمة عاشت عشر سنوات في أمريكا: ما يعتقد بأن أسلوب الحياة الغربية أعطى للمرأة حريتها وهو في الحقيقة أكذوبة كبرى، فالمرأة بهذا الأسلوب وبصدق سلبت حريتها تماماً، وأصبحت أسيرة شهواتها وعبدة لها ولشهوات الرجل أيضاً!! فهي الآن تعيش انحطاطاً أخلاقياً مؤلماً وتعاني ضياعاً مريعاً.. وخسراناً لنفسها واحترامها لنفسها أيضاً!!

* والحرية كما تراها الأخت (هند) بقولها: حرية المرأة الغربية التي تن من هنا ما هي إلا سراب يلهث خلفه الجهال، شهدنا بأعيننا واقع المرأة الغربية ورأيناها أثناء إقامتنا في بلادهم ورأيناها أمماً وبناتاً وأختاً وزوجة! فمنذ وصلت هذه البلاد الغربية

وجدت فضولاً بداخلي لمعرفة حقيقة المرأة الغربية، لهذا تعرفت عليها عن قرب أثناء مراحل حياتها (طفلة وشابة ومسنة) وذلك عن طريق الجوار ومقاعد الدراسة وغيرها. فهي تعتني بها مدارس «دي كير» في طفولتها؛ لانشغال الأم التي أضناها كدح الحياة، ثم تتخلى عنها الأسرة في مرحلة المراهقة بزعم الحرية والاعتماد على النفس، وفي مرحلة النضج تبدأ تتطلع للزوج الحنون وللأسرة السعيدة وتشوق لهما حتى تقع تحت مظلة استعباد الرجل، وأما في مرحلة الكهولة وما أدراك ما تلك المرحلة والله إنهن يعددن لها شبحاً كما صرحت بها إحداهن لي، لأنها تدفن حية - يتخلى عنها الولد وتستغني عنها الوظيفة، وتصبح كالسلعة التي انتهت صلاحيتها لخلوها من مقومات الجاذبية، فتعيش مضطرة في دار المسنين لتجد الأنس مع مثيلاتها أحياناً، أو تعيش وحيدة أحياناً كثيرة.

* كما لخصت أخت عربية تعيش في إحدى الدول العربية الحرية الغربية في بعض جوانبها المعتادة عبر احتكاكها بالأجانب وحديثهم عن حياتهم ووصفها لهم، فهم يرون عمر الثامنة عشر هو بداية الانطلاق الحقيقي نحو الحرية وتكوين الذات بعيداً عن سيطرة وأفكار الأهل! التي يستغربون بعدم وجود ذلك في العالم العربي!

فهم يفترضون مثلاً من الفتاة العربية تمرداً على أهلها في حال رفضوا شخصاً تقدم للزواج بها، وكانت على معرفة أو قناعة به! فتزوج

نفسها منه رغماً عنهم! فلا اعتبار لإذن الولي لديهم، ويرون ألا عيب في أن تقيم المتزوجة علاقة جنسية مع صديق! ويمكن لغير المتزوجة أن تتجب أطفالاً بلا زوج! من صديق أو أكثر ويرون أن العلاقة بين الأصدقاء تجنبهم مشكلات الزواج من طلاق وعدم اتفاق بين الأزواج.

* تقول الأخت (نبوية): عندما تنظرين للنساء الغربيات والأمريكيات مثلاً ترين حياتهن جيدة، من حيث أسلوب المعيشة والنظافة والترتيب، لكنهن من داخلهن لا شيء!! ليس لديهن روح الإخلاص للزوج مثلاً مع وجود الاستثناءات، فمن السهل أن تطلب الطلاق لو فصل زوجها عن عمله؛ لأنها لا تستطيع أن تعيش في المستوى الاجتماعي نفسه الذي كانت تعيشه معه. لدينا -نحن المسلمات- الإخلاص للزوج وكذلك تربية الأبناء واحتمال كل مشقة في ذلك طمعاً في الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى.. تلك اللذة مفقودة لدى الغربيات، فعلى الرغم من كل هذه الحرية المفرطة لديهن، وأنهن جربن كل شيء وأي شيء في سبيل السعادة، لكنهن يفتقدن طعم السعادة الحقيقي، وأكثر الأمثلة دلالة المغنيات المشهورات، فإحداهن مثلاً لديها الكثير من مال وشهرة وجمال أيضاً، وكل أسباب السعادة التي يطمحن إليها، ومع ذلك تلجأ للمزيد مما تعتقد أنه يشعرها بالسعادة من مخدرات وإفراط في الكحول، وتعالج في المصحات، وتعود إليها مرات عديدة حتى انتزعت المحكمة منها حضانة أطفالها. وتقول الأخت (نبوية) أيضاً: قدمت مجموعة من الأخوات من

وطنني لأمريكة من سنوات عدة كن متهاونات في أمور الدين،
وخصوصاً الحجاب، لكنهن عندما رأين كل هذا الانحلال
الخلقي، التزموا بأوامر الدين وتحجبن وكانت مفاجأة لأهلهم
حين عدن للوطن، حتى قالوا: كانت أشكالكن كالأمريكيات حين
سافرتن لأمريكة لتعدن منها كالفلاحات!!

* تقول أخت عربية مسلمة: كنت في وطني حين أسمع بحرية المرأة
الغربية ومطالبة الغرب بالحرية في بلادنا، أتصور أن الغربية
تعيش حياة سعيدة تحسد عليها!! لكن حين أتيت لبلادهم رأيت
عكس ذلك تماماً، فالغربية هي التي بحاجة للحرية والتحرر مما
هي فيه من تكاليف ومسؤوليات، فهي تعمل كل أعمال الرجال
مما لا يناسب طبيعتها، وهي مسؤولة عن نفسها ومتطلباتها
حتى وإن كانت متزوجة، وشعرت بالفرق الكبير بين الغربية
والمسلمة وسعدت بعظمة الإسلام الذي كرم المرأة ولم يكلفها
بما لا تطيق، وجعل الرجل مسؤولاً عنها وألزمه بذلك. تؤكد
كلماتها - خاصة في مشاعر الاشتياق لرؤية هذه الحرية - أخت
أخرى فقالت: كنت متشوقة لرؤية حياتهم وحريرتهم وأرى الذي
باتت فتياتنا يقلدنه في بعض مظاهره، لكنني رأيت حياة مزجت
بالفجور والفسوق! وعرفت كم هي الدعوة لتحرير المرأة ما هي
إلا تجرير وفساد.

* الأخت (أمل) من الجزائر تحدثت بشيء من الحماس - وهي
التي عاشت طفولتها ومعظم حياتها في فرنسة، ثم انتقلت

للعيش في أمريكا منذ سنوات عدة - عن خطأ الاعتقاد بأن
المرأة الغربية نالت حريتها؟؟ فتقول بإصرار: المرأة الغربية هي
التي تفتقد للحرية! إنها تعيش الدورين! دورها امرأة مسؤولة
عن بيت وأعمال منزلية والأهم العناية بالأطفال، ودورها رجلاً
تعمل طوال اليوم؛ لأنها تحتاج إلى المال الذي تنفق منه وتعيش
حياتها!! الرجل الغربي هو المستفيد والمستمتع!

* أخت خليجية تتحدث عن رحلتها مع التحرر والحريّة منذ زواجها
صغيرة في الخامسة عشر من عمرها بزواج يميل للأفكار العلمانية
والتحررية، وكانت تحلم بالسهرات المختلطة التي تراها في
الأفلام مع محافظتها على عرضها والله الحمد تقول: حين أقيت
الحجاب فرح بي زوجي وأصبح يذهب بي إلى كل مكان!! عانيت
من زوجي وتناوله للخمر، وعشت لحظات عصيبة بالرغم من
الحريّة التي أعيشها بتفاصيلها الكريهة، وحاولت الانتحار فقد
سألت حالتي النفسية! وعانيت من مضايقات صديق زوجي،
وقد نجاني ربي تبارك وتعالى. والحمد لله يسر لي ربي الهداية
أسأله تعالى الثبات، وأصبحت نشيطة حسب قدرتي في الدعوة
إلى الله تعالى.. الآن أشعر أنني أكثر سعادة وأكثر شعوراً بالرضا
حمدت ربي لأنه لم يميّتنني على ضلّالتي.



همسات لك

أيتها الثمينة!

يالؤلؤة بيضاء نقية، حين سكنت لجة البحر يوماً،

كنت وسط المحارة تحتمين!

أتذكرين؟

هل راعك البحر يوماً؟

أم ذقت ملحه برهة؟

يا رائعة!

أنت أغلى، وأنت أعز، وأنت أسمى من أن تخترقك العيون العابثة!

أنت أؤمن من أن تلوكك ثم تلفظك، وتركل كرامتك بين

أقدامها!

أنت أرق من أن تعبت برقتك وصبرك وكل طاقات احتمالك!

فتعالي معي لنرسم الخططين

ضدان، بل لوانان مختلفان

لا يلتقيان

أفكارهما متناقضة، ومتباعدة

الفارق بينهما مهول، وكبير، وضخم...

لا يمكن أن يكون الليل نهاراً، أو يستحيل الورد حنظلاً!
ولا يمكن أن يستر الثوب المهلهل عورة!!
وهل حجب الغربال شمس الظهيرة يوماً؟!

أختي

دعيني أمسح خصلاتك، وأطوّق كفيك، وأربت على كتفيك
امنحيني شرف الحديث إليك وأنا أحكي لك بكل لهفة، وأصف
لك بكل صدق.

لنستنتج معاً، وندهش معاً، ونلاحظ ونقارن، ونستشف ونميز،
ونبعثر ونرتب!!

قد نضحك وربما بكينا!

بالنهاية ستبلج الحقيقة المتوارية خلف غيوم اللذة الدنيوية
والسعادة الوقتية!

ستعرفين يا أختي حقيقة مهمة تقول:

في الوقت الذي نرى فيه الإسلام يحزر المسلم والمسلمة من شهوات
النفس، نجد الغرب يشجع الإنسان على أن يكون عبداً لشهواته ويسجنه
في فلكتها.

فمن الحر إذاً؟ ومن المسجون؟ ومن الطليق؟

لماذا نخشاها؟

دعيني أقول لك أولاً تلك الحقيقة المهمة لا أحد يعادي الحرية،
والمسلمون كذلك.

للمرأة وللرجل أيضاً وللمرأة على وجه الخصوص فمنذ جاء الإسلام بمفردات غاية في الغرابة في عصر كانت المرأة فيه تعيش ظلمة طاغية، لتقرر حقوق المرأة، ولتؤسس مبادئ التعامل معها فجاءت كلمات مثل (وعاشروهن بالمعروف، ولا تضاروهن، ولهن مثل الذي عليهن، اسكنوهن، ولا تضيقوا عليهن، وأنفقوا عليهن، النساء شقائق الرجال وخيركم خيركم لأهله)، مروراً بقول الخليفة الراشد (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟.

لذلك نحن لا نخشى الحرية في مفهومها الإيجابي، وقد قررنا ديننا الكريم وضبطها بجملة من القوانين، التي حددها الخالق تبارك وتعالى الذي خلق جل شأنه النفس البشرية، وهو تعالى العارف بطبيعتها وما يقومها ويضبطها.

ولكن الذي نخشاه من الحرية الآن في صورتها الغربية ومفهومها المفرط السيئ المنا في تماماً لكل أوامر الإسلام، وخصوصاً حين ترتبط بمخلوق رقيق، وضعيف، وعاطفي، فالمرأة ذلك المخلوق الفاتن والمفتون!! وتصبح أكثر وجعاً حين تكون في فلك غربي حداثي علماني فصل الدين عن التشريع وعن الحياة العامة، وأصبح مفهوم الحرية يعني حرية الإنسان في الاستمتاع بشهوته وغرائزه! وجعل تلك المتعة هدفاً وغاية، لا شيء يمكن أن يقف أمامه، أو يكبح سعادته الواهمة،

مع التخلي عن القيم والفضائل والأسوأ هو الخروج عن الدين وتعاليمه
الراقية وعدها من مخلفات الماضي، التي يجب أن تباد ولا بد أن يتحرر
الإنسان من قوانينها!!

إن الحرية التي نخشاها في مفهومها الذي تراه أمريكية مسلمة،
وهي المحامية التي عاشت مآسي حياة المرأة الأمريكية في أروقة
المحاكم خاصة وفي واقعهم عامة وهي تقول: مفهوم الحرية عندنا
يتلخص في بنت صغيرة تتخذ صديقاً وتحمل منه وعليها أن تعمل
لتؤمن المال لطفلها حين تلده، أما الصديق فيتركها، ويبحث عن
سعادته مع أخرى، وهي التي ترتبط بالطفل، ووحدها من يندم فقط!!
وامرأة تسهر في أحد النوادي الليلة وزوجها في نادٍ آخر!! وهي تعني
حرية الزوجة في النوم مع أي رجل آخر غير زوجها إذا أعجب بها أو
أعجبت به!!.

لذلك نخشى هذا التفلت الجنسي الحاد وإباحة الزنى العلني!

نخشى التبرج حد العري،

نخشى إباحة الخمور وتفشي المخدرات

نخشى تفكك الأسر وضياع الأبناء

نخشى التصادم مع الفطرة السليمة وانهيار الأخلاق والقيم،

نخشى إهدار كرامة المرأة واستغلالها والتلاعب بها

نخشى تلاشي قوامه الرجال ودرجتهم في المسؤولية

ونخشى النموذج الغربي للمرأة الذي يسعى العالم الغربي لفرضه علينا بالمؤتمرات العلنية والسرية بيد الأمم المتحدة ومنظماتها ومؤتمراتها، التي يحاك بعضها خلف أبواب موصدة، وتسعى في كلها إلى هيمنة الفكر الغربي الذي يتحدث عن حقوق المرأة (من وجهة نظرهم!!) ومساندتها وتمكينها من كل ما هو للرجل؛ بل جعل الجنس البشري نوعاً واحداً (جنس)!!، وتجريم فكرة تمييز الأنثى عن الذكر والتصدي للقضاء على أشكال التمييز كافة!! وكأنهم لا يرون الفرق واضحاً بين الجنسين!! والأخطر أنهم يريدون إرغامنا -نحن المسلمين- (وبنفس طويل يميل لتفريغ عقول الأجيال الجديدة مما تؤمن به الأجيال السابقة، ثم قذف ما يريدونه في تلك العقول!!) عن طريق تلك المؤتمرات والقرارات ووسائل الإعلام لتقبل تلك الأفكار وليس هذا فحسب؛ بل وتجريم كل الدول التي تثبت خرقها لتلك القوانين، ومن ثمّ تعريضها للعقوبة حتى وإن كان ذلك تطبيقاً لشرع الله تعالى، وذلك باستحداث قوانين الأحوال الشخصية التي يتناهى كثيرها مع أحكام شرعنا المطهر، ومنها مسائل الزواج والطلاق والمساواة في الميراث وإلغاء ولاية الزوج والأب، والمؤلم في ذلك كله سعيهم لتقبل فكرة الفوضى الجنسية الغربية، التي تتناهى قول الله تعالى وقول رسوله، وجعلها حقاً من حقوق المرأة والطفلة الأنثى أيضاً فضلاً عن الرجل والفتى كذلك!!

ويكفي في هذا أن نشير إلى أحدث تقرير إلى الآن لصندوق الأمم المتحدة للسكان! فقط تقرير واحد لمنظمة واحدة من منظمات اللاأمم

المتحدة!! هذه المنظمة التي ترى أهم مهماتها (المساعدة على كفالة سبل الوصول العام إلى خدمات الصحة الإنجابية، ومن بينها تنظيم الأسرة والصحة الجنسية، بالنسبة للأزواج والأفراد جميعاً بحلول سنة 2015 أو قبلها)¹. الذي يقوم بتمويل برامج من مختلف دول العالم ومنها الدول العربية والإسلامية!

هذا التقرير ورد في دورته السنوية عام 2007 (من 11 إلى 22 يونيو/حزيران بنيويورك) مقدم من قبل مديرتة التنفيذية ويركز التقرير على الصحة الإنجابية والجنسية خصوصاً للنساء وللرجال، وللمتزوجين وغير المتزوجين ولل كبار وللمراهقين!! وبالنسبة للمرأة تحديداً يتحدث عن تمتعها بحقوقها في مسألة الجنس! (فإن قدرة المرأة على اتخاذ قرارات مستقلة ومستتيرة بشأن المسائل الجنسية والإنجابية هي أمر محوري، لضمان تمتعها بحقوق الإنسان)²⁻³

وسعيّاً لذلك يعمل الصندوق على (حذف الأحكام التمييزية ضد النساء والفتيات من التشريعات الوطنية ودون الوطنية)⁴. ثم يبين المقصود بها (والمقصود بذلك القوانين الدينية والعرفية)⁵.

ويعلن إنجازهم المتمثل في (التزام البلدان في مؤتمر القمة العالمي

1- موقع صندوق الأمم المتحدة للسكان www.unfpa.org/index.htm

2- www.unfpa.org/index.htm موقع صندوق الأمم المتحدة للسكان.

3- طبعاً ورد هذا الهراء في مؤتمر بيجين عام 1995.

4- www.unfpa.org/index.htm

5- المصدر السابق.

لعام 2005 بإدماج هدف المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في تأمين سبل الوصول للجميع وإلى خدمات الصحة الإنجابية بحلول عام 2015 في الإستراتيجيات الوطنية لتحقيق الأهداف الإنمائية للألفية)¹. وما يعني بالصحة الإنجابية -وخصوصاً للمراهقين- هي توعيتهم بالجنس الآمن عن طريق (تشجيع زيادة الميزانيات الوطنية المخصصة للسلع الأساسية اللازمة للصحة الإنجابية)². وهي (في عام 2005 قام الصندوق بتوفير 725 مليون من الرفالات الذكرية للبلدان النامية)³. كل هذا من أجل (تركيز الصندوق على المراهقين على سبيل الأولوية)⁴. عن طريق (تزايد الدعم للخدمات والمعلومات الصحية والإنجابية الذي يلبي احتياجات المراهقين، ولا سيما في سياق بناء القدرات)⁵. وبالطبع شباب آسية لهم نصيبهم!!

(تواصل مبادرة الصحة الإنجابية لشباب آسية تعاونها الناجح مع الاتحاد الأوروبي والمنظمات غير الحكومية والأوروبية والمحلية في سبيل تحسين الصحة الجنسية والإنجابية لأكثر السكان ضعفاً، مع التركيز على المراهقين والشباب في سبعة بلدان آسيوية)⁶. ثم يعترف صراحة في تركيزه على الشباب العربي!! (وواصل صندوق الأمم المتحدة للسكان

1- المصدر السابق.

2- المصدر السابق.

3- المصدر السابق.

4- المصدر السابق.

5- المصدر السابق.

6- المصدر السابق.

تبوء مركز الشريك الرئيس في الصحة الجنسية والإنجابية للمراهقين بفضل ما يقوم به من أنشطة، وعلى سبيل المثال اضطلع الصندوق في غرب آسيا بدور مهم في طائفة من المبادرات من قبيل الإستراتيجية الإقليمية بشأن تمكين الشباب العربي ومشاركته¹. ففيم يكون تمكين الشباب العربي عبر الصحة الجنسية والإنجابية؟

وهكذا يوصي خبراء الأمم المتحدة بضرورة توزيع وسائل منع الحمل للجميع بمن فيهم المراهقين، وتمويل ذلك ليتيسر لهم ممارسة الجنس الآمن الحر، كل ذلك مقابل تجريم الزواج المبكر وتحريمه وعده شكلاً من أشكال العنف ضد المرأة!! ولكن ماذا لو تم الحمل برغم الموانع؟؟ الذي أسموه بالحمل غير المرغوب فيه!! الحل يكون بالإجهاض الذي يريدونه آمناً وميسراً ومعلنأ عنه في المستشفيات!!

والاستماتة في تنظيم الأسرة وتحديد النسل، وخصوصاً في الدول العربية والإسلامية والتحجج بنقص الغذاء!! لكنها مقارنة خاسرة بين النمو السكاني في الدول الإسلامية مقابل تضاؤل النمو وقلة المواليد في الدول الغربية!! كذلك التقليل من أهمية الأمومة وتشجيع المرأة العاملة وخروجها من المنزل الذي يعدون العمل فيه ورعاية شؤون الأطفال والأسرة بطلاة، إذ إنه عمل لا يدر المال. متبنين آراء الحركات النسوية برغم إخفاقاتها وتضاد أفكارها واضطرابها عبر الزمن منذ نشوئها وحتى الآن.

1- المصدر السابق.

ومهما اختلفت مطالبها وتدرجت فإن تكون حرية المرأة أو تحرير المرأة والدعوة للمساواة أو التمرکز حول الأنثى، التي قادتها الحركات النسوية وما زالت تقودها، فهي كلها في مراحل تطورها لا تتفق تقريباً مع تعاليم الإسلام ومبدأ الحلال والحرام فيه، ولا حتى مع تقاليد العرب وشيمهم الأصيلة والنبيلة.

نخشاها مع سعي الغرب لتمويل الجمعيات العربية التي تستلهم أفكارهم وتقتدي بها!!

نخشاها ونحن نرى تلك الأقلام التي يصلنا صريها عبر الصحف والكتب والروايات من إخواننا الذين يريدون تحرر المسلمات، وكأنهم لا يعون أنهم يتكلمون عن زوجاتهم وبناتهم وأخواتهم وأمهاتهم! ومن أخواتنا المسلمات اللاتي بهرن النموذج الغربي للمرأة وأصبحن يصفن حياتها كحلم لذيذ يسعين لتحقيقه، فانطلقت أقلامهن بالدفاع عن حقوق المرأة عبر المطالبة بالاختلاط بالرجل وكشف الوجه وافتحام أعمال الرجل، ولا ندري إلى أين ستصل مطالبهن بعد أن يتحقق لهن ذلك.

نخشاها أمام الاعتقاد بأنه حتى يكون المجتمع متطوراً لا بد أن يرافقه تحرير المرأة من كل متطلبات الستر والحياء!

كما أخشاها لأنني رأيت فواجع هذه الحرية، وتكشفت لي معاييبها وبانت أخطارها، وأصبحت أعد نفسي أحمل أمانة التعريف بحقيقة الحرية في جانبها السلبي.

ويتراءى لي ما كان من أمر دعاة الحرية في بلاد الإسلام حين بدؤوا أولاً بمدح الغربيات في حريتهن وقدرتهن على مبارزة الرجل والاستقلال التام عنه، ثم خطو نحو التباكي على حرية المسلمة المفقودة واستنهاض التمرد داخلها، ومن ثم المجاهرة المباشرة، وتزيين طريق الحرية للمسلمات الضعيفات! وهو ذات الطريق يسلكه دعاة التمرد والتحرر في بلادنا! وعذرهم في ذلك أن المرأة لدينا مقهورة ومهضومة الحقوق ولا تريد سوى حقوقها، ولا يعنيها أن تكون كالغربية، بل لا تسعى لذلك!! وكأنه يغيب عنهم ما وصل إليه الحال بالمرأة في بعض المجتمعات الإسلامية التي تدرج بها الحال لمستوى يخالف الدين كثيراً، وقد بذلوا طاقاتهم في تحقيق أهداف العولمة بشقها السلبي ساعين لتقديم مجتمعاتنا المحافظة - بعد تدمير قيمها - لقمة سائغة لهيمنة الغرب وتعزيز مكاسبه منه.

كما أخشاها وأنا أراها في مفهومها العربي وقد تركزت أولاً على مسائل معينة محددة كتعدد الزوجات والطلاق والحجاب، حيث كان المفهوم الديني بعيداً تماماً عن قناعاتهم المبيتة النية!! ثم تعدى ذلك للمشاركة في المؤتمرات الدولية الداعية للحرية المفترطة للمرأة والإقرار بقراراتها حتى وإن كانت تخالف الدين الإسلامي وتعاليمه الملزمة للمرأة، ومع نظرة الغرب للمسلمة بنظرة العطف الزائفة ومحاولة الدفاع عنها باستهداف أوامر إلهية تحاسب عليها المرأة ووليها!

كما أخشاها كلما رأيت نماذج موجهة في بلاد الغرب لمسلمين ومسلمات يحاولون الخروج عن تعاليم الإسلام، واستحداث الإسلام الجديد الذي يوافق أهواءهم، فيبيحون المحرمات ويستسهلون الخروج

عن أوامر الإسلام واقتراف نواهيه، فأصبحت حرية التفكير في أوامر الإسلام ونواهيه مشروعة لكل من أراد، حتى وإن لم يكن لديه أدنى درجات العلم الشرعي؛ بل لا يؤدون الصلاة ولا يصومون رمضان، ومع هذا يدخلون في مناقشات عن تعاليم الإسلام، ويبحثون عن قناعات يجب أن يتوصلوا لها في هذا الحكم أو ذاك، بالرغم من ضعف وازعهم الديني، وضعف علمهم الشرعي أو تلاشيه تماماً.

وأكثر ما أخشاه أمام تغييب كثير من المسلمين والمسلمات عن حقيقة ما يجري! أو تقليلهم من شأن تأثير الفكر الغربي التحرري على بنات وأبناء المسلمين! وتخرج جملة فضفاضة (إنها مجتمعات منحرفة لا يمكن أن تنطبق على المجتمع المسلم ولا يمكن أن يتأثر بها المجتمع المسلم!!) بالرغم من أن حقيقة ما يجري هو العكس تماماً تأثير متدرج بطريقة مرسومة تماماً! لذلك الخشية العظيمة على زرع الأمة ونباتها إنه خوف يصل إلى حد الهلع على الأجيال القادمة، التي يتسرب لها كل هذا الضجيج دون أن يشعر الآباء، بل ربما قللوا من حجم الخطر!¹.

وبالنظر لحال المجتمعات الإسلامية والعربية على وجه الخصوص والمجتمع السعودي تحديداً، يتألم لهذا التسارع المقلق لحال المرأة الذي وصفته البريطانية المسلمة (إي، جي ويلكنسن) التي تعيش مع أسرتها في الرياض بالقول في مقدمة كتابها الذي لخصت فيه كتاب سوء تعليم المرأة في الغرب للكاتب البروفيسور جيمس تولي¹: (حتى المراقب غير المبالي للمجتمع السعودي لا يسعه إلا أن يلاحظ التغيرات السريعة التي

1- أستاذ السياسة التربوية بجامعة نيوكاسل أبون تاين البريطانية.

طرأت على هذا المجتمع في السنوات العشر الأخيرة. ولكوني امرأة فقد شعرت بالحزن والأسى بسبب التوقعات التي طرأت على تفكير النساء السعوديات..... ولا شك أن هناك أعداداً كبيرة متزايدة من خريجات الجامعات اللاتي فاتهن قطار الزواج؛ لتقدمهن الوظيفة على الأسرة، وهذه الظاهرة بلا أدنى شك إرهاصات ظهور التقليد الأعمى لمنهج الحياة الغربية الذي يستغل النساء أيما استغلال¹.

ولا يعني هذا أنني أطالب بهضم حقوق المرأة المسلمة أو أصادر حرياتهما كما يتجنن بعضهم على كل من يحذر من الحرية الغربية!! ذلك أن حقوقها مقررّة منذ انتشلها الإسلام من غياهب الجاهلية وكرّمها وأوجب احترامها وتقديرها! لكن الإشكالية في التطبيق من قبل الأولياء وهو موضوع غاية في الأهمية والدقة ينبغي التركيز عليه كثيراً، ذلك أن الشعور بالظلم هو الذي يدفع المرأة المسلمة للتطلع لحياة أخرى، وتُخدع بأنها الأفضل، فالمسلمة التي تظن أن الغربية سعيدة تعتقد ذلك في الأشياء المضطهدة هي فيها!! سيطرة الرجل الضاربة في المبالغة أحياناً كثيرة، والأحكام المستقاة من العادات والتقاليد التي ينالها بعضها تعاليم الإسلام السمحة، العضل في الزواج، والتضييق عليها في مالها، وحرمانها من ميراثها الشرعي!، والطلاق التعسفي، وحرمانها من أبنائها في حالات الطلاق أو وفاة الزوج! وحرمان الأبناء من النفقة وهم تحت رعايتها مطلقة أو أرملة! أو حتى تفضيل الابن وإقصاء الابنة

1- إي، جي ويلكنسن دراسة وتلخيص سوء تعليم المرأة في الغرب للكاتب البروفيسور جيمس تولي، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، ص 14.

وسلبها حقوقها؛ لأنها فتاة فقط، وأمور كثيرة ليست من الإسلام في شيء؛ بل على النقيض من تعاليمه السمحة وعدالته البيضاء النزيهة.. وقد غيببت بعض حقوقها عنها نفسها!!

ولكن ما يؤلم أنه لم يعد الأمر يقتصر على المطالبة بحقوقها التي أقرها الشرع؛ بل تعدى ذلك إلى المطالبة بما يتنافى مع أوامر الإسلام، بل يستوجب المعاقبة شرعاً!!

فمن القائلين بوجوب المساواة التامة بين الرجل والمرأة!! ومن القائلين بضرورة اختلاط المرأة والرجل في ميادين العمل والترفيه وسائر التجمعات!! وإلى المنادين بحرق الحجاب الشرعي والتخلي عن الحشمة والستر، وإلى فضائيات تسعى عبر برامج أقل ما يقال عنها إنها خادشة للحياء، وكلها تسعى لحرية المرأة باقتداء النموذج الغربي في كل شيء... ويزيد الهم أكثر حين أرى أخواتي المسلمات يجذبن لمثل تلك الدعوات المسمومة، ويعتقدن أنها تقدماً وجمالاً وموضة، وأسلوباً حديثاً للحياة ليس فقط في الزينة واللباس، تعدى ذلك لكثير من الأخلاق والقيم التي يرونها أنها لا بد أن تتبع ويفاخرن بها أيضاً، ويعدون الستر والاحتشام واتباع تعاليم الإسلام رجعية وتخلفاً.. أو ترى إحداهن حرية المرأة الغربية حلمًا وبغية وهدفًا، وتسعى جهدها لتكون مثلها!!

هذا هو الخوف الحقيقي الذي نخشاه الذي يستوجب أن نكرر هذا التحذير بشتى الوسائل، ونستشعر أهميته حتى وإن قيل: إن العالم أصبح قرية صغيرة، واطلع الناس على العالم الغربي بكل ما فيه،

لكنه اقترح بيوتنا بكل ما فيه من صالح وطالح، والمؤلم هو التركيز على السيئ منه أكثر من الانتفاع بحضارته وتقدمه وعلومه! فكم هم أعداد المولعين بالأجساد المائلة رقصاً وطرباً أمام المولعين بالأجساد المائلة والمحدوبة على الاختراعات والاكتشافات؟! وكم هم المعجبون بالمخلصين في أعمالهم؟ أمام المتساهلين والمتصلين من المسؤولية؟ كم قارئ لدينا مقابل آلاف الكتب التي مرت بين أيادي الغربيين والغربيات منذ الطفولة؟ دعونا نأخذ المفيد ونحذر من المهلك في الدنيا والآخرة. لذلك حين نخشاها فلا يعني ذلك التحذير من أسلوبهم في الحياة وتفكيرهم تماماً، فهناك إيجابيات يتميز بها وهي مهمة بالنسبة لأي مجتمع حديث، فالإخلاص في العمل ومحاولة تطوير النفس والاعتماد عليها والثقة بها والدقة في المواعيد واحترام الأوقات، والعناية بالرياضة الجسمية، والالتزام بالقوانين لدى غالبيتهم (مع الانتباه إلى أن الأنظمة والقوانين مسؤولية حكومات وليست أفراداً!).

بعض الحقيقة!!

وهكذا يا أخية يمكنني أن أقول الآن بعد كل هذا الوقت الذي عشناه سوياً نتأمل معاً وندهش معاً، وقد فُتِحَ لنا بابٌ واسعٌ لنطلع على عوالم أخرى، وحياة تتناقض كلية مع حياتنا، ترى ما عساك تقولين الآن وأنت تسمعين بعض من يزين هذه الحياة؟ أتفهم جداً أنك خبرت بعضها، وليس جميعها بالجديد عليك، لكنك الآن رأيت تفاصيل كبيرة وصغيرة من حياة المتحررات، وسمعت منهن وهن صويحبات الشأن!

لعلك تتأملين معي ما يريدونك بهذا التنازل أن تصلي إليه!

هذه هي الحرية يا أختي ببعض صورها الفاشلة ليس حسب منظورنا الإسلامي فقط؛ بل وأيضاً حسب الفطرة الإنسانية التي بدت الحرية مقلقة لها ومعاكسة لها أمام تمازج الأدوار بين الذكر والأنثى وأمام انحصار الهم في إشباع الغرائز فقط! والوصول لكل ما هو ممتع بغض النظر عن أخلاق الفطرة السليمة!!

أختي

ألا يمكنني الآن أن أقول لك ملء فمي وقلمي وكل جوارحي:

(كل من اندلق لسانه بالمديح، وبج صوته بالثناء لا تصدقيه! لا تعيريه اهتمامك! واجعليه يسمع نفسه، وينسج خيالاته واهنة حوله! صمي أذنيك عن حديثه الخادع، وعن وصفه البائس، وعن حلمه الزائف. كلهم سواء - يا أختي - نابهم المسموم يريدون أن يغرسوه في خاصرتك الطاهرة! ليضيع شرفك، وتهدر كرامتك، وتتلاشى أخلاقك الإسلامية السامية! يريدونك لعبة أو دمية والأشد وجعاً يسهلون لهم ولك! طريق افتراسك، فتكونين فريسة سهلة مطروحة في طريقهم، يريدون إشباع بهيميتهم بالتباكي على ضياع حريتك، ويصفونك بالمقهورة ويوهمونك أنك مسجونة، فيدفعونك قسراً للخروج السافر، ومن ثم للاختلاط السيئ بالرجال وإسقاط ما يمكن من حشمتك ووقارك.. وهذه بداية المهالك! تتبعها خطوات مخيفة، تجر ويلات ومصائب)¹.

1- جزء من مقالي في جريدة الجزيرة الأحد 5 شعبان 1425 - 19 سبتمبر 2004 العدد 11679.

إنهم أولئك الذين ينادون بحرية المرأة المسلمة!! أولئك الذين يقودون دعاوى التحرير!! تحرير المرأة المسلمة من الأخلاق والآداب الإسلامية والأحكام الشرعية الخاصة بها كالتقليل من شأن الحجاب أو السخرية منه، وجعله من العادات والتقاليد، وليس من أحكام الإسلام؟! والمساواة مع الرجل في كل شيء وأي شيء، وإباحة السفور والاختلاط السافر مع الرجال، وإسقاط مسؤولية الولي ومنها المحرم! الذين جعلوا من المرأة الغربية مثلاً وأنموذجاً، وكأنهم لم يروا حالها المؤلم الغارق في البهيمية والتكشف والعري؟! وكأنهم لم يقرؤوا إحصائيات مهولة ومخيفة عن جرائم خطيرة ضحيتها دوماً امرأة تتمتع بحرية مزعومة؟! وكأنهم يجهلون أعداد أولاد الزنى والمنتسبين إلى أمهاتهم! وكأنهم لم يسمعوا صيحات الاستغاثة من كثرات أنهكهن هذا العيش الكئيب المثقل بالمسؤوليات التي لا تنتهي، الذي يستغل إنسانيتهن ويطبق على راحتهن وسعادتهن، حتى اللاتي عشن السعادة الوهمية بكل تفاصيلها المغرقة في الملذات والشهوات، وتكشفت لهن حقيقة هذا الزيف، ولكن بعد فوات أوانهن! فلا عجب أن تقول إحدى الممثلات المشهورات: إنها تبصق على نفسها إذا شاهدت أفلامها القديمة!! وتتحسر على ضياع شبابها واستغلالها ثم لفظها بكل قسوة. لذلك يا أختي الحبيبة فإن الحرية المقيدة بالضوابط الإسلامية هي النجاة في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى. فالحجاب الذي هو عبادة تتعبدن الله تعالى بارتدائه كصلاتك وصومك هو صون لك وكرامة عن ابتذال العيون، فأنت لؤلؤة وحجابك يقيك ملوحة الحياة وفواجعها!! والأكثر أهمية أنه صون لك من قسوة ما تعانيه الغربية من اغتصاب وقهر

وظلم رجولي أحسبه غريباً ساذجاً، من حيث استغلالها بإرادتها
وسعيها أيضاً!

وما أشد الفرق بيننا. نحن المسلمات وهن؟؟ فنحن نأتمر بأمر الله
تعالى في كل حياتنا وهذا هو الواجب أن يكون منا، ومنه آية الحجاب
قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59].

كما أن هذا الأمر الإلهي لك بالستر كما هو رحمة بك وضون لك
فهو أيضاً صون للرجل ورحمة به وللمجتمع كافة، وقد حذر المصطفى
صلى الله عليه وسلم من فتنة النساء!! فقال ﷺ: (ما تركت بعدي فتنة
أضر على الرجال من النساء) هذه الفتنة حاصلة بحذاقها في العالم
الغربي، ويتجرع سمومها الجميع النساء والرجال والمجتمع لكن عقولهم
مغيبة أحياناً وأيديهم مكبلية أحياناً كثيرة!! ومع صيحات بعضهم فلقد
انفلت الزمام منهم جميعهم!

ومقابل تعبدنا بالستر والعفاف واتباع أوامر ديننا نجد الغربيات
لا رادع يردعهن!! لا دين ولا خلق ولا عرف ولا حياء ولا رجل يمكنه أن
يقول لهن: لا!! مما ينتفي معه نفياً قاطعاً أن تتناسب الحرية بتفاصيلها
المفرقة في الذنوب والمعاصي معنا نحن المسلمات، فإن كان كذلك
-والعياذ بالله تعالى- خسرت المسلمة دنياها وآخرتها إلا أن يتداركها
الله تعالى برحمته نسأل الله تعالى العفو والمغفرة.

لقد عانت المرأة عندهم من ظلم كبير ولهذا تاقت كثيراً للعيش بعيداً عن البهيمية والنبد، وبالتدرّج (١) انطلقت في ردة فعل عنيفة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، لكنها غرقت في بهيمية من نوع آخر! واستعبدت من جديد... فإذا كان هذا حال المرأة الغربية في اضطهادها حتى من دينها ورجالها سابقاً، فما الذي يدعوك أيتها المصونة لتسير في الطريق ذاته أو هم يسيرونك؟ لقد أعزك الإسلام في وقت غرق فيه غيرك، فما من اضطهاد لك، بل تشريف وتكريم وصون لك وكرامة ورفعة لك والأهم تقدير لحاجاتك النفسية، ومراعاة لمتطلباتك الجسدية، وحجم طاقتك واحتمالك.

لذلك لا توهمك أختي تلك المقولات الحاملة والمتوهمه عن الحرية الزائفة!! لا تجعل حياتهن حلمًا تتسجين حوله خيالات غارقة في الخداع والكذب! واعلمي أولاً أنهم بهذا التباكي عليك لا يريدونك أن تقفزي السلم من علو.. بل بهم صبر عجيب لتنزلي درجاته الواحدة تلو الأخرى، حتى وإن استغرق ذلك سنوات وسنوات، وحتى وإن كانت خطوة واحدة صغيرة منك!! ولتعلمي أيضاً أن من أقسى ما يمكن أن يعيشه الإنسان أن يصدق وهمه! يغيب الحقائق ويواربها، ثم يعيش تائهاً بين الحقيقة والوهم! كذلك الداعي الواهم الذي يكافح لأسلمة الحرية الغربية، وتميرها من تحت أقدام المجتمع المسلم ليضمن انزلاقه..! مستهدفاً المرأة المسلمة بالذات بعد أن يذرف دموع التماسيح عليها!! والمؤلم في كل ذلك أن يكون هذا الداعي من بيننا ممن تربى في بيت عامر بالفضيلة والأخلاق الطيبة. أنجبته وربته ذات الخمار!! فلا

تصدقني الذي هاجسه الغير بكل ما فيهم من شقاء!! يركض إلى جحر
الضب مغمض العينين، ويصدق فيه قول المصطفى ﷺ!! عن أبي سعيد
رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر
وذراعاً بذراع، حتى وإن سلكوا جحر ضبً لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله
اليهود والنصارى؟ قال: فمن!» رواه البخاري ومسلم.

واني إذ أشد على يدك أستنهض أيضاً مشاعر غيرتك على حريتك
التي فرضها الإسلام، ورسم حدودها وبين ضوابطها رحمة بك وخوفاً
عليك، وليس دوماً منك. لهذا أحدثك -يا أختي المسلمة- هامة في
أذنك: هل يسرك أن تكوني كتلك التي تجر كلبها، أو هو يجرها وتشتعل
سيجارتها بين أناملها وتمشي في ضياع وعري؟ أيسرك أن ترخصي
نفسك الطاهرة للعيون؟ لا تجحطي عينيك وتشهقي في استغراب،
وتستبعدي أن تكوني كحالهن! فما دامت أذنك تدير صيوانها باتجاه
همهمات المتباكين وأفكارهم المخادعة، ودعاة تحرير المرأة وضلالاتهم
الفاسدة، وما دام أنك رضيت بالتنازل عن بعض ما كنت تتمسكين به
فكنت ترفضين اللباس القصير حتى عند النساء والمحارم (!!) والآن
تقترفينه وإذا كنت ترفضين العباءة المزينة، وأصبحت ترينها عادية،
وإذا كنت تخجلين من محادثة الرجال والاختلاط بهم، فأصبحت ترين
سهولة ذلك واعتياديته.. فالخطر محقق بك وقريب!! حماك الله تعالى
وثبتك على الصلاح.

فالغريبات كانت جداتهن يرفلن في أثواب فضفاضة وطويلة إلى أن
عصفت بها الحرية وطيرتها عن الأجساد. هن يؤكدن بأنفسهن ذلك،

وخصوصاً الكبيرات منهن فقد كن محتشمات، ولم يكن مسموحاً لهن الخروج مع الشباب وفكرة الصديق (البوي فرند) فرضتها الحرية فقط (ومنها الحرية الجنسية لكل امرأة!) كما أن الأوروبي الذي كان يرى المرأة جسداً يملكه أحكم حزام العفة الحديدي على جسدها، واحتفظ بقفله كي يأمن خيانتها أو حتى اغتصابها!!

إن التحرر الحاصل الآن للمرأة الغربية ما هو إلا نباح حديث هدم ولم يبن، وأهدر ولم يحفظ!! يقول إمام أحد المساجد (وهو أمريكي أسلم من سنوات طويلة): إلى سنوات قريبة في السبعينات تقريباً لم تكن أُمي تصافح الضيف أو أي رجل، ولا تحتضنه كما يحدث الآن في طريقة السلام!! وكانت تضع قبعة على رأسها وتغطي وجهها بغطاء خفيف، وكان لأبي كلمته، وكنا نشعر معه بالأمان، وأُمي التي ترعانا في البيت ووقتها كنت الأصغر وكان والدي يقول لي: أنت رجل البيت إذا مت بالرغم أن لدي أخوات يكبرنني، لكن الآن تغيرت القيم والأحوال.

المدّهِش أن الستر والاحتشام في دين النصارى يتضح جلياً في الصور التي يقولون إنها للسيدة مريم عليها السلام، وكذلك في لباس بعض الراهبات الثقيل والسميك الذي يطوق تقاسيم وجوههن ويبرز أطراف أصابعهن فقط، بل إن بعض المتدينات من غير الراهبات يعمدن للباس المحتشم ويتألمن من التكشف والعري، والحجاب ليس خاصاً بالمسلمات؛ بل في شريعة اليهود أيضاً، وقد نرى النساء يغطين شعورهن ومحتشمات في لباسهن تقول يهودية تغطي شعرها: إنهم يتبعون تعاليم التوراة التي

تلتزم النساء باللباس المحتشم الطويل وتغطية رؤوسهن عندما يتزوجن، وحتى وإن ترملت إحداهن أو طلقت لا بد أن تستمر في تغطية رأسها، وحتى الرجال لا بد أن يغطوا رؤوسهم بالطواقبي أو القبعات؛ وذلك ليظهروا الاحترام للجنة! وختمت قولها: هذه تعاليم التوراة ولا بد أن نتبعها، فهو ما قاله الله لنا!

ولعل أكثر ما يثر العجب ويسقط تماماً دعاوى التخلف التي يراها العالم المتحضر فيمن لم يوافق هواهم هو ما عليه طائفة (الآمش)¹.

في أمريكا الذين يعيشون في بعض الولايات وقد اعتزلوا حياة كلية وليس فقط فيما يخص احتشام المرأة، وتسترها أو حتى ابتعادهم عن رذائل الحضارة من خمور وموسيقا وزنى؛ بل وحتى في تحريم رجال دينهم واستعمال كل أدوات الحضارة واختراعاتها، فهم يرون أن وسائل الحضارة تجلب أخلاقياتها، ولا يستخدمون منها إلا ما هو للضرورة القصوى مثل السيارة للذهاب للمستشفى شرط ألا يقودونها!! وبالكاد أخيراً أفتوا باستعمال الهاتف النقال لحاجة المزارعين، الذين قد يتعرضون لأخطار حال ابتعادهم عن الأماكن المأهولة، وقد حدثت حوادث عندهم تسببت (بقدره الله تعالى)، ثم بتأخر إعلام الشرطة في وفاة عدد من الأشخاص فهم يعيشون إلى الآن معتزلين في مستعمرات خاصة بهم، وفرضوا تعاليمهم وأصبحت لهم مدارسهم الخاصة التابعة للكنيسة ومحاكمهم، وعاشوا على البساطة وفلاحة

1- طائفة دينية نصرانية استوطنت أمريكا منذ القرن الثامن عشر بعد تعرضها للاضطهاد الديني في أوروبا).

الأرض والعيش من كسب أيديهم، وقد رأيت نساء هم بنفسي وعجبت
للبسهن الأكثر احتشاماً، وطواقيهن الصغيرة ورجالهم الملتحين،
بل الذين حفوا شواربهم ويرون ذلك أكثر نظافة!! والرجال فقط من
يقود العربات دون النساء في بعض مستعمراتهم وإن فعلت فلا بد من
محرم معها!!

ليس هذا الشيء عجيب في أمريكا فحسب؛ بل إن طائفة من اليهود
في أمريكا وفي نيويورك تحديداً لديهم من القوانين الخاصة بالمرأة ما
ستعجبين منه وهن في أشد الأماكن حرية، بل في معقلها! المدينة التي
خرجت منها أصوات النساء تطالب بالحرية! سألت (سوزان) (أمريكية
يهودية تعمل معلمة) عن هذه الطائفة فقالت: هذه الطائفة من اليهود
تسمى خاسيديم (Chasidim) نشأت في القرن الخامس عشر الميلادي
في أوروبا، وتفرعت منها مجموعات غالباً تسمى بأسماء القرى والمدن
التي كانوا يسكنون فيها، وتعد طائفة ساتمر (Satmar) أحد أكبر تلك
الطوائف من اليهود في العالم، وقد نشأت في هنغارية نسبة لسانت ميري،
تسكن هذه الطائفة في أماكن عديدة في نيويورك، وخصوصاً في وليم
سبريق وفي مدينة كريات يول (Kiryat Joel) حيث بدأت خاسيدوم
وأغلب سكانها من يهود هذه الطائفة، فإذا ذهبت هناك ستريين كثيراً
من عادات ولباس اليهود الخاص بهم، وهم يتبعون كثيراً من القوانين
الخاصة بهم وبالمرأة تحديداً، فالمتزوجة مثلاً تلبس شعراً مستعاراً
وتغطي رأسها بغطاء، أو تلبس قبعة ولباسها طويل ومحتشم ويفرق بين
النساء والرجال، ففي الصلاة مثلاً توجد غرفة للرجال وغرفة للنساء،

وفي الطريق لكل طريقه الخاص، وخصوصاً في الزحام، فلا بد أن يكون للرجال طريقهم وللنساء طريقهن، وكذلك بالنسبة للمدارس فالفتيات مدارسهن الخاصة وللأولاد مدارسهم أيضاً إلا في مدارس تعليم المعاقين مثلاً، ولا بد أن يكون للفتيات غرفهن الخاصة وكذلك الأولاد. وكذلك في الباصات، فالرجال يجلسون في الأمام والنساء في الخلف، ومن الطبيعي أن يفعلوا ذلك عادة، النساء والرجال إذا لم يكونوا من العائلة نفسها فلا يلمسون بعضهم حتى الملابس لا يجوز لمسها، وبالنسبة للصلاة عادة يصلي الرجال في الكنيسة، وإذا صلى في البيت فلا بد أن يكون لوحده في غرفة منعزلة، ولا تأتي إليه زوجته أو تلمس شاله إلا في حالة الضرورة القصوى، وربما لو لمسته فسيصرخ بها وهو يحافظ عليه ويعتني به! والمرأة قد تعمل قبل الزواج، ولكن حين تتزوج تلزم البيت حتى يكبر أطفالها، ولأنها لا تعمل خارج المنزل من الممكن أن تعمل عملاً صغيراً في بيتها كبيع الملابس مثلاً، لكن الأهم هو تركيزها على أمومتها!

ومما عرفته عنهم أيضاً

أنهم يلتزمون بتعاليم دينية تحقر النساء كثيراً، ويشكر الرجل الله على أن لم يخلقه امرأة وينجس الشال الذي يلبسونه أثناء الصلاة بمجرد لمس المرأة له حتى الزوجة! وهل تعلمين أيضاً أنهم يمنعون نساءهم من قيادة السيارات، بل وحتى الجلوس في المركب الأمامي حتى وإن كان السائق محرماً.

ويحرمون اختلاط الرجال بالنساء تماماً!!

ومع هذا لم تتدخل الحكومة الأمريكية ولا حقوق الإنسان ولا الأمم المتحدة بجحافلها لإنقاذ هؤلاء النساء! كما يفعلون معنا ومع تعاليم الإسلام المتسامحة، كما أن النساء ملتزمات بتلك التعاليم، ومؤيدات بكثير من التذلل لهذه الأوامر!!

وقد يدهشك أن تعلمي أنك مغبوبة من قبل المرأة الغربية حين تسمع بالحقوق التي تتمتعين بها؛ لأنك مسلمة! فكم فغرت الأفواه دهشة حين علمن أن لك حق النفقة المقررة شرعاً في مراحل حياتك جميعها، وأنت غير مطالبة بالعمل وهو اختياري بالنسبة لك، وتستطيعين الجلوس في البيت في أي وقت تشائين، وأن زوجك ليس له حق المطالبة بمالك، ويستغربين حق المهر عند الزواج، ويستغربين أيضاً كيف يتوجب على الرجل إيصال قريبتة المسؤول عنها إلى حيث تريد! ويكدن لا يصدقن إنفاق والدك عليك ملزماً وهو أحد حقوقك المقررة شرعاً حتى وإن جاوز عمرك الثامنة عشر! تقول مريم: كم يثير اندهاشهم حين أخبرهم أن والدي هو المسؤول عن نفقاتي كلها، بل إن إحداهن صرخت في تعجب: أمعقول هذا؟! كما يعجبهن كثيراً طريقة الزواج لدينا، فقد قالت إحداهن: إن طريقتكم في الزواج محترمة ورائعة وقالت لإحدى المسلمات: أتمنى أن أكون مثلك!! أنت محظوظة بزواجك فكل هذه الحرية ليست لها أي قيمة مقابل أن أجد زوجاً يحبني ويحترمني وأكون معه أسرة سعيدة وأنجب الأطفال، وهل سمعت من يتمنى أن تكون زوجته محتشمة، بل منقبة؟ (إيدا) شابه من هندوراس تقول: حين حدثت زوجي عن نقابك واحتشامك طلب مني أن أكون مثلك وقال:

أريدك أن تكوني عربية! أنا فقط من يراك وليس الرجال جميعها!
وجاءتني (لوذي) وقد أثرت الشمس في وجهها لتسألني أن أعطيها
حجاباً تغطي به وجهها ليحميه! أهديتها واحداً وأحكمتها على وجهها
وشكرتني بقوة وقالت: يبدو أنني سأدخل في دينكم!

وتقول إحدى الأخوات: طلق زميل زوجها في العمل زوجته، وترك لها
الأولاد والمنزل! وعاش مع صديقتها عشر سنوات رافضاً الزواج منها
ومن غيرها.. تقول محدثتي: لكنه حين رأى ملابسي واحتشامي قال
لزوجي: أريد زوجة محافظة كزوجتك في حشمتها ولباسها، فغضبت
صديقتها وعدت الأمر إهانة لها!! وطلبت منه الزواج منها، لكنه رفض!!
وأصبح يبحث عن زوجة محتشمة لم تتخذ صديقاً! ووجد فتاة متدينة
وتزوجها فوراً!

كما يتعجب لارتباطك الوثيق بدينك والقدرة على الاحتشام بالرغم
من كل إغراء الحرية المتعدد الأشكال! استوقفتني أمريكية كبيرة في
السن تقول: إنها تعمل مبشرة تابعة لكنيسة، امتدحت حجابي أولاً،
ثم استأذنتني في أن تسألني وعيناها مفرقة بالدموع فقالت: من أين
لك هذه القوة لتلبسي كل هذا اللباس وأنت في بلاد الحرية؟؟، (هي
تقصد كيف لم أتأثر بكل هذه الحرية؟ فالنساء المتحررات يبحثن عن
كل ما يستميل الأعين لهن ويجتهدن في عرض جمالهن ونحن نستره
ونحجبه عن الأعين!!) قلت لها: الأهم أن الله سبحانه وتعالى يراني
ويرضى عني وهو ربي في بلادي وهنا وفي أي مكان في العالم!!.. فهزت
رأسها في قناعة قائلة: نعم هذا الذي تؤمنين به خاصة حين علمت

أنني لست مكرهة ولله الحمد! ثم اشتكت بقوة من عدم تستر النساء وعريهن وقالت: نحن نكافح من أجل أن تستر النساء الأجزاء المثيرة من أجسامهن فقط، حتى نحمي الأبرياء في المجتمع من الرذيلة، ومع هذا لا نستطيع!!

والحقيقة أن كثيرات منهن يحترمن من تتمسك بدينها أكثر من المتشبهة بهن! حتى وإن أبدين استغراباً من الحجاب في درجات حرارة عالية بالنسبة لهن طبعاً!! تقول إحدى الأخوات: حين علمت من استغربت حجابي برغم حرارة الجو العالية أن ذلك امتثال لأمر ربي وطاعة له، فديني الإسلام يأمرني بالستر والحشمة سلمت علي بحرارة؛ بل احتضنتني وشدت على يدي وحتتني على التمسك بديني، وأن أبقى على ما أنا عليه!! نعم إنهن يحترمن المسلمات المتمسكات بالرغم من كل هذه الحرية التي يرينها ولا تبهرهن! وما أكثر مواقف الاحترام إلى جانب الاستغراب والتساؤل طبعاً!

وأصبحت وأخواتي المسلمات نسمع بكل فرح إجابتهن عن تساؤلات أطفالهن عن حجابنا (دينها يأمرها بذلك) بالرغم من محاولة منعهم من التحديق وإطالة النظر! استوقفتني (نيكول) ذات الخامسة عشر عاماً على نحو مفاجئ قائلة: أحب هذا الحجاب ونطقت كلمة حجاب نطقاً سليماً أثار دهشتي، بالرغم من أنها أمريكية ولم تكن مسلمة، لكن قالت: إن صديقتها في المدرسة مسلمة وترتدي مثل هذا الحجاب وهو يعجبها كثيراً، ولا ترى مشكلة لديها في اللباس (تقصد أمام رغبات المتحررات وخصوصاً الشابات في الظهور بملابس حديثة متحررة)

أيديتها والدتها وقالت إنه يعجبها المرأة التي تتمسك بدينها ، لكنها بكل صراحة وأمام بناتها لم تعد تذهب للكنيسة؛ لكثرة ما يطالبونهم بدفع المال للانفاق على الكنيسة!! وتقول (ندى) (مسلمة تعيش في أمريكا): كم أرى نظرات الغيرة تمتزج بدهشة كبيرة من قبل زميلتي في العمل حين أتحدث عن زوجي وعلاقتي معه وفق تعاليم الإسلام ووصايا القرآن الكريم لنا، وبالأخص المودة والاحترام بين الزوجين وإن اختلفا في أمور الحياة، وضرورة احتمال الزوجة وتدبر أمورها مع زوجها، ومن ثم أطفالها، تتابع (ندى): إن مثار استغراب هذه الزميلة؛ لأنها تعاني أشد المعاناة من تلاعب الأصدقاء (العشاق) بها دون أن تتمكن من الظفر بأحدهم زوجاً لها!!

وهناك أشياء كثيرة تلفت انتباه غير المسلمين نراها صغيرة ويرونها مثيرة وكبيرة، وربما أثارت في أذهانهم تساؤلات ومقارنات عديدة!! يعجبون للمسلم الذي يقدم المساعدة ولا ينتظر المقابل السريع! يدهشهم جداً المسلم الذي يحرص على زوجته ويؤدي كل متطلباتها خارج المنزل، ويبهرهم أن يبتعد المسلم عن اقتراف الخطأ ليس خوفاً من القانون! بل خوفه من الله تعالى واتباعاً لتعاليم دينه حتى وإن كان شخصاً عادياً، وليس قساً أو يدعي الدين!! ويدهشهم كثيراً أن يروا تزاحم المسلمين في المساجد، وخصوصاً أوقات الجمع.. ويتعجبون من المسلمين الذين يصلون بكل اطمئنان في الأماكن العامة حين يحين موعد الصلاة.. وأكثر ما يثير استغرابهم حين يصد الشباب المسلم رجالاً ونساء عن أماكن لهوهم ومنكراتهم برغم كثرتها أمامهم! وكم يعجبون

منا هذا الصبر على الحرمان (برأيهم) في رمضان، وكيف لا يخل الصائم بصيامه حتى وإن ابتعد عن الأعين!! ويستغربون قائلين: ولو شربة ماء؟! وقد خاضت إحداهن هذه التجربة الرائعة برغم أنها غير مسلمة، فلقد كانت تصحو قبل الفجر، وتنتظر من صديقتها المسلمة أن تخبرها بموعد الإمساك لتكف عن تناول الطعام وتتم صيامها، بل وتذهب للمسجد للإفطار مع المسلمات.

وبالتأكيد فالحديث عن تلك القناعات والشكوك تطول وتكثر. لكن منهن من تتأثر بشدة حين تعلم حقيقة الإسلام، أو تسمع القرآن الكريم مثل (كارين) شابة مكسيكية في العشرينيات من عمرها، تعيش هنا في أمريكا برفقة والدتها بعد طلاقها من أبيها.. وقد لاحظت أنها شديدة الاهتمام بي وبديني، ولقد أهديتها كتاباً بلغتها عن الإسلام.

تحدثنا كثيراً عن الإسلام، وقد خطرت ببالي فكرة سمعت عنها كثيراً عن تأثر غير المسلمين حين يسمعون تلاوة من القرآن الكريم وكيف يشعرون بالراحة، ومنهم من يطلب سماعه دوماً وهو ما زال على الكفر..!! فقررت أن أفعل فسألتها رأيها فوافقت بفرح ودهشة يا الله منذ بدأت بتلاوة سورة الفاتحة حتى تأثرت تأثراً لافتاً، بل وفاضت عيناها بالدموع، ثم تقاطرت كالطرر وبكت بشدة وكأنني بجسمها يرتعش!! وشفتها ترتعشان وعيناها متعلقتان بي في خشوع..!! قالت: فسري لي أرجوك ما قلت، ثم وصفت لي إحساسها وهي تسمع تلاوتي بانبهار وراحة عجيبة ومشاعر تقول: إنها لا تستطيع وصفها ثم قالت:

نعم أنا أفقد الإله!! ثم تلوت آية الكرسي فتأثرت أيضاً؛ بل احتضنتني وهي متأثرة بشدة وتشكرني بقوة!! قلت: أنت لا شك قريبة من الإسلام قالت: ما زلت أحتاج للوقت، لكنني أصدق بقوة بدينكم وبالنبي محمد ﷺ، وطلبت كتباً عن الإسلام وترجمة للقرآن الكريم.

ومنهن من تدخل الإسلام فور معرفتها بحقيقته، والقصص في ذلك كثيرة ومبهجة، بعضها يثير العجب لبساطته، لكنها رحمة الله تعالى وقدرته -نسأل الله تعالى من فضله- ومنهن المترددة التي تخشى عائلتها.. وبالطبع منهن من لا تغير الدين اهتماماً! وهناك من لديها فكرة غير جيدة عن الإسلام تقول (هيلينا): أسلم بعض أقربائي فنبذوا من عائلاتهم وكنت لا أسمع عن الإسلام سوى الأكاذيب والمغالطات المنفرة، وكنت أظن المتدينات في مختلف الأديان تعيسات.

وبالطبع منهن من تظهر التمسك بدينها تمسكاً غير قابل للتنازل، وخصوصاً الكبيرات، وهذا ما تعاني منه الأخوات الأمريكيات المسلمات، ويتألمن بشدة أمام رفض أمهاتهن الدخول في الإسلام، (عائشة) مثلاً أسلمت من ربع قرن ومع هذا لم تستطع إقناع والديها بالإسلام وسبحان الله القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56].

وها هم يحترمون ديننا الحنيف ويقدرونه، حتى وإن وعجزوا عن تصور حقيقة تعاليمه واستغربوا ذلك! وربما في أكثر الموضوعات التي تثير انتقادهم وحساسيتهم حين يمكن للمسلم أن يتزوج من أربع نساء!!

فحين سمعت امرأة غربية في إحدى الجامعات بأن الرجل المسلم يكون مسؤولاً عن زوجاته في نفقاتهن وأمورهن جميعاً قالت: إن ذلك أفضل منا فالرجل عندنا يعيش مع أربع نسوة، لكنه لا يكون مسؤولاً عن أي منهن!! ولا يتحمل نفقات أي واحدة منهن!! ولعلها نسيت أن تقول أيضاً: بل منهن من تصرف عليه لتفوز به!

وأكثر من ذلك فهناك من تتمنى العيش في البلاد الإسلامية هرباً بنفسها وأطفالها من مجتمعات الانحلال والفساد، فهاتان امرأتان من بريطانية أعلنت كل واحدة منهن رغبتها في العيش في بلادنا، إحداهن معلمة وأم لابن وابنة في السابعة عشر تقول: أتمنى أن أعيش في إحدى الدول المسلمة وأربي أولادي تربية سليمة بعيداً عن الخمر التي تملأ الأمكنة، وبعيداً عن الانحطاط الأخلاقي، وتابعت بحسرة: أريد الأمان الذي لا أجده في بلادي! والأخرى شابة ليس لها صديق مقرب ولا تشرب الخمر تتحدث عن إعجابها بمجتمعاتنا المسلمة التي لا تسمح بالاختلاط في المناسبات وتقول لمحدثتي: ستريني مسلمة يوماً ما!

تقول الكاتبة الأمريكية بعد زيارتها للمملكة العربية السعودية (تانيا سي هسو): ولم يمثل ارتدائي للحجاب، وعدم تمكّني من قيادتي للسيارة أثناء المدة التي قضيتها في المملكة أي مشكلة بالنسبة لي، وبعد أربعة أسابيع، طُرت إلى (أطلانطة) مرتدية الحجاب، ليس فقط لأختبر رد فعل الأمريكيين، ولكن لأنه كان مريحاً وعملياً، ولقد أضفت لحجابي في سوق البدو بالرياض البرقع وأدركت أول مرة في حياتي بأن الرجال يتحدثون إليّ باحترام وتقدير، دون أن يكون لجسدي (بكوني

امرأة) أثر في ذلك التقدير. إن هذا الكلام يذكّرني بكلام قالتها (الليدي ديانا) بعد أن زارت الرياض قبل موتها بسنوات، وعاشت أياماً مع النساء بحكم وضعنا الاجتماعي، فقالت: ما كنت أتوقع أن أحظى بهذه الراحة النفسية الكبيرة التي وجدتها في انعزال مجتمع النساء عن الرجال، حيث تبتعد المرأة عن نظرات الفضول التي تؤذي المشاعر من قبل الرجال، الذين لا يمكن أن يتركوا عاداتهم المتأصلة في نفوسهم المتمثلة في مراقبتهم لجسد المرأة المكشوف، مهما كانت المخالطة.

لقد قالت الكاتبة الأمريكية (تانيا سي هسو) كلاماً مهماً، يجدر بكل من يشكك في قيم بلاده، وخصوصية ثقافتها أن يُعيد قراءته مرّات ومرّات¹.

وبمحاولة تفهم إيجابيات الحرية في حياتهن سنتوصل لحقيقة مهمة مفادها أن دوافع الحرية لديهن، إما أن تكون منتفية لدينا كوننا نساءً مسلمات (بغض النظر عن مدى تطبيق أوامر الإسلام في مجتمع ما، أو تسيد العادات والتقاليد أيضاً، فهذه ليست مشكلة الدين؛ بل المجتمع البعيد عنه!! والحل يكون بالعودة للدين الصافي وقوانينه العادلة)، أو أنها مخالفة للفطرة السوية فضلاً عن أوامر الإسلام، لكنها بالتأكيد حين طالبت بحرية الرأي والتجارة والتعليم والمساواة وغيرها كنا قد سبقناها كثيراً!!!

فالمرأة ومنذ فجر الإسلام لها حق حرية العمل والتجارة والكسب، وتملك المال، وحرية العلم، ومنها التفقه في الدين والمساواة في الحقوق

1- عبد الرحمن العشماوي، جريدة الجزيرة الثلاثاء 7 جمادى الأولى 1426 - 14 يونيو 2005 العدد 11947.

والواجبات وحق الإرث، والأمر الملزم بالمعاشرة بالمعروف وحق اختيار الزوج وتحديد مسؤولية الولي، فلا يجوز له إجبارها ولا أخذ مهرها، ولها حرية الرأي، فهي تناقش الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في أمورهما وأمور الأمة ونزلت فيها آيات تتلى، وظهرت فقيهاً وعالمات وصحابييات جليلات، والمرأة لها حق الحضانة ولها حق الطلاق، وحق النفقة وحق المهر، والمرأة هي التي خطأت عمر أمام جمع من المسلمين وقال قولته المشهورة (أصاب المرأة وأخطأ عمر)، وهي التي حملت السلاح وجاهدت حين تطلب الأمر ذلك، وداوت المرضى، وكان لها تأثيرها في الأزمات أيضاً. لذا فيا كل اللاهثات للاقتداء بنساء الغرب، فليس بهن حل مشكلاتكن!! فقط عودوا لدينكن ورشدكن، وطالبوا بتطبيق شرع الله تعالى وليس بتطبيق ديمقراطية مستحدثة، وستحل كل مشكلاتكم بإذن الله تعالى.

ومن أروع الكلمات التي سمعتها وكانت موجهة لكل مسلمة تسعى للحرية على الطريقة الغربية كانت من قبل مريم الأمريكية، التي أسلمت قبل مدة تعدّ قصيرة فقالت ناصحة المرأة المسلمة: الحرية هي أن تعلمي ما يوافق أوامر الله تعالى، لا تفكري في الحرية كثيراً، وليكن تفكيرك في الآخرة فقط، ولا يهم أن توجد حرية أو لا، وإن وجدت فهي وقتية وغير حقيقية ولن تسعدك. وإذا خلا تفكيرك من الجنة والنار هنا فقط تبحثين عن الحرية!! وتقول أيضاً: حين أكون محجبة أشعر بالراحة كثيراً وأكاد أقترب من الكمال!! بل إنني أكون أكثر شعوراً بالحرية!! فحين يراني الرجل مثلاً ينظر لي كوني مسلمة عاقلة، وليس كوني جسداً فقط!! فحين تعطلت سيارتي يوماً وسط الطريق وكادت السيارة التي

خلفي أن تتسبب في حادثة، نزل رجل يتعالى صوته غضباً مني، لكنه حين اقترب ورأني متحجبة توقف عن الصراخ وتأسف بشدة!!

ولكن الخطأ أن نبني قناعاتنا على قناعات خاطئة (عدد كبير من النساء غير سعيدات؛ لأنهن يتصرفن بناء على الحكمة التي تناولنها من أناس يثقن بهم غالباً. أولئك النسوة يعتقدن أن كل ما يفعله صحيح، لكن بالنهاية كل ما اعتقدنه كان خاطئاً، فالحكمة التي اعتمدن عليها كانت خاطئة لهذا هن على خطأ)¹.

بالنهاية أوجه سؤالاً لكل الباحثات عن الحرية الآن! والمتطلعات للنموذج الغربي في بعض مطالبهن بغض النظر عن التحرر والفسوق كتوسيع مشاركتهن مع الرجل في عمله والمساواة به، والتحرر من سلطة المحرم، والمشاركة السياسية وغيرها، هل يسعدك الاضطلاع بكل تلك المسؤوليات؟ عم تبحثين؟ عن هذا الإرهاق البدني والنفسي والقلق وعدم الراحة، وإنهاك قواك المحددة، واضطراب مسؤولياتك الأساسية، وبخاصة التي ستحاسبين عليها؟

أنت تتطلعين لنموذج المرأة الغربية فهل يمكنك أن تكدي مثلها؟ طوال اليوم في عملها تقدم كل طاقاتها وجهدها، ثم تعود آخر اليوم، وتكمل كدحها في الاهتمام ببيتها، وقد أفلقت نفسها وأرهقت جسمها وإذا كانت أمّاً أفلقت تربية أطفالها بوضعهم في الحضانات، وبعدت عنهم كثيراً بالرغم من حاجتهم لها! إنه عمل ليس كعملك!! إنه يعني

1- دانيال كربتندن، ما لم نقله لنا أمهاتنا، الولايات المتحدة and ER SIMON SCHUST 1999 م ص 25.

أن تذبلني في سوق العمل فقط! تذكرني أنه عمل طوال اليوم! ولم يعد لديها القدرة لبذل المزيد معهم! وهل تعلمين أن الحرية بالنسبة لك كونك امرأة ليست تحرراً من رجل تظنين أنه يصادر حريتك وقراراتك! ولا تعني لباساً تستمعين باستعراض مفاتنتك فيه! الحرية ليست قيادة سيارة، والحرية ليست تصويتاً لفلان أو فلانة! إنها تعني المزيد من المسؤولية! والمشقة والخيارات التي قد لا تكون حكيمة دوماً.

تأملني هذا الرأي المخيف (لسارة بوكر) وكأنها تعني أن للحرية مراحل لم تتمها بعد فهناك ما هو أخطر فتقول: إن أي شخص يستطيع أن يرى الحرية مفردة بلا حدود، ودون إرشادات سيكون خطراً على السلام العالمي!! فأن تنتج شخصاً ما حر الفكر، وسيرى أنه يمكنه أن يقتل ويحطم ويتجرد من الأخلاق وما يمليه عليه الضمير معتمداً على حريته!؟ دون أن يقبض عليه أو تتم محا سبته على أذيته للآخرين!!

ثم اقرئي قول من تثق بك وترى أنك بدينك أبعد عن تلك المشكلات التي غرقت فيها المرأة الأمريكية بعد تحررها، تقول (سندس) المرأة الأمريكية المسلمة التي نشأت في أحضان الحرية ثم أسلمت فتغيرت مفاهيمها:

لا أعتقد أن المشكلات التي تواجهها المرأة الأمريكية ستعانيها المرأة المسلمة. فقبول حقيقة أن لا إله إلا الله وتكريس حياتك لاتباع سنة الرسول الحبيب ﷺ تساعد المرأة المسلمة التي تعاني مشكلات كثيرة.

ابتلاء أواجهه في أي مكان وفي أي بلد والله سبحانه وتعالى سيساعدني ويحميني، وفي كل صلاة أحس بأنني تحت رعاية الله تعالى.

الخاتمة

هذه هي حرية المرأة كما رأيتها في أمريكا، وهي ذاتها بنسب متفاوتة في كثير من بلدان العالم المتحررة. وتلك نتائج السيئة على المرأة خاصة ومجتمعاتهم عامة. هذا هو الحال الذي عليه المرأة الغربية وتلك حياتها بما فيها من شقاء!

هذا ما يحدث في العالم الحر!

هذا ما يحدث للمرأة تحديداً

أكاد أجزم أن العالم الحر يكاد يقف على أكتاف المرأة ويمتصها ويستغلها!

الشيء الذي أستطيع تأكيدده تماماً أن الغرب لم ينجح إطلاقاً في تقديم المرأة الغربية بوصفها نموذجاً ناجحاً يستحق الاقتداء، فضلاً عن الانبهار لكل نساء العالم، فما بالك بالمرأة المسلمة التي كفل لها الدين حريتها وحقوقها.

فهل حقاً هناك من يرى أن حياتهن تستحق أن تكون أنموذجاً للمرأة في العالم؟ لكنه التغريب الذي يسعى لتذويب الشخصية المسلمة فتصبح نسخة مكررة من الشخصية الغربية؛ بل تكون عينها التي ترى بها وأذنها التي تسمع بها وتملي عليها قراراتها، وماذا يجب عليها أن تفعله وتلبسه وتقول وتعلم به!

وهل سيخرج علينا من يدعي إصابته بالغثيان من مفردات معينة
كتلك التي تحذر من الحرية والتحرر على الطريقة الغربية، وترى بؤس
حياتها، وتذكر إحصاءات كثيرة تدلل على انهيار المجتمع الغربي المادي
وانحطاطه...؟ أو كلمات من جنس كفالة الإسلام لحقوق المرأة؟ دون أن
يتروى في قناعاته وسأمه!

الحقيقة التي يجب أن نعيها تماماً ونقولها لكل العالم: إن الإسلام ديننا،
وهو الذي حدد منهجنا في الحياة، وفرض علينا واجبات ونهانا عن موبقات
كثيرة! نسلم بأوامره ونواهيه تماماً ونرتضي تعاليمه ونسعد بتطبيقاتها.

لقد حقق الإسلام المساواة، والعدل في الوقت الذي كان فيه الغرب
غارق في ظلام الجهل والتخلف والتمييز المؤلم ضد المرأة، فالإسلام
حقق المساواة في الحقوق والكرامة البشرية، وفي الدين والتشريع، وكان
التفريق لأجل الاختلاف الطبيعي في المهام والطبائع.. الله سبحانه
تعالى خلقنا وهو أعلم بنا.

ها هم الذين حاولوا تغيير طبيعة المرأة فشلوا منذ قرن ونصف
القرن، فلا بد أن تعود المرأة مخلوقاً رقيقاً حياً تقدم ما لديها حسب
طاقاتها وقدراتها.

أسأل الله الكريم أن ينفع بهذا الكتاب ويثبني ويثيب كل من ساعد
في إنجازهم.

فإن أصبت ففضل من الله تعالى وإن أخطأت فمني والشیطان.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

المصادر والمراجع

- 1- باتريك بوكانان، موت الغرب، الولايات المتحدة، ST. MARTINS PRESS، 2002
- 2- دانيال كريتندن، ما لم تقله لنا أمهاتنا، الولايات المتحدة ER SIMON and SCHUST، 1999م.
- 3- كارول آنوي، بنات الطريق المخالف، Yawana Publications MO. USA، 2002
- 4- أي جي ويلكنسن، دراسة وتلخيص كتاب «سوء التعليم في الغرب» للكاتب البريفسور جيمس تولي، الرياض، كتاب البيان سلسلة تصدرها مجلة البيان 2006م صحيفة الحياة عدد 16486 في 19 - جمادى الأولى 1429 الموافق 24 مايو 2008
- (جريدة الرياض: الخميس 22 ذي الحجة 1427هـ - 11 يناير 2007م - العدد 14080.
- (جريدة الجزيرة الثلاثاء 7 جمادى الأولى 1426 - 14 يونيو 2005 العدد 11947
- جريدة الجزيرة الأحد 5 شعبان 1425 - 19 سبتمبر 2004 العدد 11679
- هامش الكاتبة الإنجليزية ايفون ردلي كيف أصبحت أحب الحجاب، الثلاثاء -31- أكتوبر 2006 www.yvonneridley.org.
- قضايا الديمقراطية، مجلة إلكترونية تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية المجلد 8، العدد 1، أيار/ مايو info.state.gov/journals/itdhr 200s

(موقع قناة الجزيرة net (aljazeera. net).

موقع قناة السي إن إن الأمريكية /arabic. cnn. com/2005/entertainment/
(whore. college/index. html/7/5

موقع الحكومة الأمريكية www. usa. gov

موقع الحكومة الأمريكية stats. govwww. child. td
(الأسرة الأمريكية)

مجلة إلكترونية تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية

1 حزيران /يونيو، 2001 (usinfo. state. gov/ar)

نشرة واشنطن، 15 - مارس - 2007، مكتب الإعلام الخارجي بوزارة
الخارجية الأمريكية

(موقع الأمم المتحدة www.un.org)

موقع صندوق الأمم المتحدة للسكان www. unfpa. org/index. htm

موقع صندوق الأمم المتحدة للسكان www. unfpa. org/index. htm

موقع ولكم باك www. welcome-back. org.

موقع إسلام أون لاين www. islamonline. net!!



منيرة ناصر آل سليمان

نساء في سجون الحرية!!

مكتبة العبيكان

